جـ ـامعة الجـ ـزائر
كلية العلـوم الإجتماعية و الإنسانية
قسـ ـم التـ ـاريخ

إستقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية

(406هـ - 454هـ/ 1016م – 1062م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب :
بن زاوي طارق

إشراف الأستاذة :
د / رافعي نشيدة

السنة الجـامعية
1429 هـ - 1430 هـ / 2008 م – 2009 م

المقدمة

المقـــــــدمـــة :

بـــلاد المغرب قلعة من قلاع الإسلام الحصينة منذ أن أكمل المسلمون الأوائل فتحها نهاية القرن الأول الهجري ، تاريخها حـــافل بالأحداث بعضها يجد المرء افتخـــارا و سعـــادة كبيرين و هو يقرأها أو يكتب عنها ، و بعضها الآخـــر تترك غصة في الحلق و تنكت نكتة ســـوداء في القلب لا ينتزعها إلا إيمان راسخ بعدالـــة الإســـلام و بحث دقيق في المصادر و جهد مضن في تتبع الأخبـــار رواية و دراية ، و بـــين هذه و تلك جاءت هذه الدراسة التاريخية عن مرحلة تاريخية مهمة و حاسمة ، مرحلة صنع فيها البربـــر المسلمون الحدث حين أسسوا أول دولة إســـلامية بربرية في بـــلاد المغـــرب الإسلامي ، إنّها الدولة الصنهاجية الزيرية ، ولن يكون مجـــال الدراسة تاريخ هذه الدولة كاملا ، و إنما يكون الكـــلام خاصة عن العلاقة بين الدولـــة الفاطمية في المشرق و الدولة الصنهاجية الزيرية في المغرب ، كيف بدأت و كيف انتهت ؟ ، و ما هي أسباب بدايتها و ما هي أسباب نهايتها ؟ ، و من الذي كان وراء القطيعة التي حدثت بين القيروان و القاهرة ؟ ، و في أيّ ســـنة وقعت تحديدا ؟ ، و كيف كان ردّ فعل الدولة الفاطمـــية بعد فقدانها بلاد المغرب ؟ ، كلّ هـــذا و غـــيره من الأسئلـــة حـــاولت الإجابة عليها في هذه المذكرة التي جاءت تحت عنـــوان "*إستقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية* (**406هـ-454هـ/1016م-1062م**)".

و حـــول دوافـــع اختـــياري هذا الموضوع أقول : إنّ الدولة الصنهاجية الزيرية لم تحض باهتمام المؤرخين الجزائريين ، معتبرينها شأنا تونسيا خالصا ، و مركّزين في الوقت ذاته جلّ بحوثهم و اهتمامهم حول الدولة الحمّادية التي ظهرت في المغرب الأوسط ، و لمّا أدركت هذا الأمر رأيت أنّه من المناسب أن أبحـــث في تاريخ الزيريين في إفريقية ، و الذين هم في الواقع جزائريون انتقلوا إلى القيروان حاضرة بلاد المغـــرب كلّهـــا في تلك المرحلة بعد أن أصبحوا القوة الأولى في المنطقة ، و في الحقيقة فإنّ الكلام عن الـــدولة الزيرية و البحث في تاريخها ، إنّما هو بحث في تاريخ أجدادنا الذين صنعوا صفحات مجيدة في أدنى المغرب ، و أسهموا إلى حدّ كبير في بلوغه أرقى درجات التمدّن و الحضارة آنذاك ، و هذا بشهادة مؤرخي القطر التونسي المعاصرين .

و هناك عوامل أخرى مهمة جعلتني أعض بالنواجـــذ على هذا الموضوع و منها :

- حـــبي الكـــبير للـــتاريخ الإســـلامي بصفة عامة و كلّ ما يتعلق به ، إذ هو أحـــد مكونات هويتي الأساســـية ، و هو أيضا من العلوم التي حثّ عليها الشـــارع الحكيم ، ولا يزال علماء الإسلام يكتبون في التاريخ و لا يفصلونه عن علوم الشريعة ، و نحن اليـــوم في زمـــن التخصص ، فإذا كنّا بعيدين عن

الكـــتـــابة في التفسير و العقيدة و الفقه و غيرها من العلوم النقلية ، فلن نكون عـــاجزين بإذن الله عن الكتابة في التـــاريخ و في كل خير بإذن الله تعالى .

– محاولـــة الإلمـــام بالأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة خـــلال عهدها الإســـلامي ، و قد يعترض معترض فيقول إنّ المواضيع السياسية دُرست في أغلبها ، فأقول صدقت و لكن هذا لا يعني أن نغلق هذا الـــباب بهـــذه السهولة ، فكثير من الجزئيات لم تنل حقها من الدراسة بعد ، كما أنّ معالجة الأحداث الـــسياسية تختلف من باحث إلى آخر ، و ما على الباحث الحـــاذق إلا أن يترك بصماته واضحة فيما يكـــتب و لا يكـــون إمّعة يحسن إذا أحسن النـــاس و ينسخ ما كتبوا ، بل يوّطن نفسه ، فيحسن إن أحسنوا و يفصّل ما أجملوا ، و يستدرك ما تركوا .

– فهـــم و إدراك حقـــيقة الصراع بين السنة و الشيعة خاصة و أنّه صراع مرير لا يزال قائما إلى حد الساعة ، و بلاد المغرب كانت إحدى الحلبات الرئيسة في العالم الإسلامي التي شهدت منازلات عنيفة بـــين المذهبين السنّي و الشيعي ، وجاء العدوان الأمريكي على العراق و ما أفرزه من صراعات طائفية ليؤجّج نـــار الصراع من جديد و يثير بقوة الحديث عن الخلاف بين أهل السنة و الشيعة .

– رغبتي الملّحة في دراسة تاريخ الفـــرق و المـــذاهب الإســـلامية بصفة عامة و الشيعة بصفة خاصة ، و هـــذا الموضوع جعلني أسلّط الضوء على أهمّ مرحلة تاريخية للشيعة في بلاد المغرب و التي سمحت لهم بتأسيس أكبر دولة لهم في التاريخ الإسلامي و هي الدولة الفاطمية .

– تسليط الضـــوء على دور الـــبربـــر المسلمـــين في تـــاريخ بـــلاد المغـــرب الإســـلامي .

– إدراك دور المعـــز بن باديس في إحداث القطيعة النهائية مع الدولة الفاطمية لا سياسيا فحسب و إنّما عقائديا و مذهبيا أيضا ، و هذا ما يعرف بالقطيعة المذهبية الكبرى حيث لم يعد للشيعة وجود يذكر في بلاد المغرب الإسلامي بعد هذه المرحلة ، و لم تعرف المنطقة بعد ذلك حركات مذهبية أخرى .

– بـــيان دور علماء السنّة خاصة المالكية منهم في التصدّي للفكر الشيعي الإسماعيلي الباطني ، و دورهم الكبير في الأحداث التي شهدتـــها المنطقة خلال القرنين الرابع و الخامس الهجريين ، لاسيما دورهم في إحداث القطيعة بين المعز بن باديس و الدولة الفاطمية .

– بـــيـــان أثـــر الصراعات القبلية على ســـير الأحـــداث في بـــلاد المغـــرب الإســـلامي و تأثيرها على الأوضـــاع السياسية بصفة عـــامة .

و بـــشأن الـــدراسات السابقة فقد أعلمنا مركز البحث و الإعلام العلمي و التقني (CERIST) أنّـــه لا توجد دراسة خاصة حول انفصال المعز بن باديس عن الفاطميين ، و في الواقع فإنّ هناك الكثير مـــن المـــؤرخين الذين كتبوا حول دولة صنهاجة كتابات عامة ، لكنّهم لم يفصّلوا في العلاقات الزيرية

الفاطمية ، الأمر الذي شجعني على المضيّ قدما في هذا الموضوع ، وبالتالي الإسهام في إلقاء الضوء على هذه الحقبة المهمة في تاريخ بـــلاد المغـــرب الإسلامي .

و اعتمدت في كتابة هـــذا الموضوع على المنهج التاريخي الذي يعتمد على جمع المعلومات التاريخية و انتقائها ، ثمّ تحليلها و مناقشتها و نقدها ، و من تمّ محاولة الوصول إلى الحقيقة .

و قـــد واجهت عـــدّة صعـــوبـــات أثنـــاء البحث و هذه بعضها :

- اختلاف آراء المؤرخين السلف منهم و الخلف حول تفاصيل الكثير من أحداث تاريخ هذه الدولة ، خاصـــة تحديد تاريخ استقلال المعز بن باديس عن الفاطميين بدقة ، فحاولت تجنّب التقليد ما استطعت بـــاذلا جهدي في سعيي للوصـــول إلى الحقيقة ، و ذلك اعتمـــادا على أسس علمية مبنية على التدقيق و التمحيص و الترجيح بين الأقوال بالأدلة العلمية البيّنة ، و الله أسأل أن أكون قد وفقت في ذلك .

- صـــعوبة الحـــصول على بعض المصادر و المراجع التاريخية المهمة ، و ذلك لفقدانها أحيانا ، و أحيانا أخـــرى تكون في حالة يرثى لها ممّا يجعل تصفحها صعبا ، و ما يزيد الأمر سوءا أنّ بعض الكتب تكون صفحتها الأولى مبتورة ، و من ذلك مثلا كتاب معالم الإيمان للدباغ الذي لم أجد له أي أثر في المكتبات الوطنية الكبرى ، و هيّأ الله لي أسباب السفر إلى تونس ، و من حسن حظي أني وجدت الكتاب هناك فاقتنيته ، و كان ذلك من خير ما جلبته من تلك البلاد .

- ضيق الوقت من جهة و العمـــل من جهة أخرى ، فلقد كان من الصعب جدا التوفيق بين الأمرين ، و مـــا ذلّـــل علـــيّ هذا المشكل نوعا ما هو العطل المدرسية خـــاصة الصيفية منها ، فقد عملت على استغلالها أحسن استغـــلال سواء في المطـــالعة أو البحث أو التحرير.

و كمـــا يقـــال فإنّ الأزمـــة تلد الهمّة و لا يظهر الفجر إلا بعد الظـــلام الحـــالك ، فبفضل الله أولا و بالإصرار و العزيمة ثانيا و بمساعدة و توجيهات أستاذتي المشرفة الدكتورة رافعي ثالثا ، استطعت تجاوز الكثير من العقبات ، و لن أكون مخطئا إن قلت إنّ هذه الدراسة تعتريها أخطاء كثيرة ، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدّل على أنّ هذا العمل وضعه إنسان و الذي لن يكون عمله إلا ناقصا مهما حاول الإلمـــــام بالموضـــوع ، فـــإن وفقت فالفضل لله وحده ، و إن أخطأت فهو من نفسي المقصّرة و من الشيطان الرجيم .

و قـــسمت الموضـــوع بعد المقدمة كما يقسّم الكلام سباق و سياق و لحاق ، أما السباق ضمّنته الفـــصل الأول و الفصل الثاني ، و أما السياق فجاء في الفصلين الثالث و الرابع ، و أخيرا كان اللحاق الذي أفردت له الفصل الخامس و الأخير ، لتكون الخاتمة في نهاية هذه الدراسة .

أمّا المقـــدمة فتضمنت التعريف بالموضوع و إشكالياته الرئيسية و دوافـــع اختياره و المنهج المتبع فـــيه و أهميته و أهـــمّ الصعـــوبـــات التي واجهتها في البحث ، ثمّ تحليل لأهم المصـــادر و المراجـــع المعتمدة فيه .

و جاء عنوان الفصل الأول العلاقات الفاطمية الصنهاجية قبل تأسيس الدولة الزيرية ، تناولت فيه أولا مـــشاكل الدولة الفاطمية و سياستها الداخلية ، و ذلك من خلال الكلام عن تأسيسها ثمّ علاقتها بالقـــبائل البربـــرية لاسيما كتامة و زناتة ، فسياستها المذهبية و موقف علماء المالكية منها ، أمّا النقطة الرئيسية الثانية في هذا الفصل فكانت حول العلاقات الفاطمية الصنهاجية قبل رحيل المعز لدين الفاطمي إلى مصر ، و تحت هذا العنـــوان عرّفت قبيلة صنهاجة تعريفـــا موجزا ، ثمّ تكلمت عن زيري بن مناد و ابـــتداء أمره و أهمّ الخدمات التي قدّمها للفاطميين ، لأصل أخيرا إلى بلكين بن زيري و أتحدثّ عن ظهوره و خدماته الأولى للدولة الفاطمية في حياة أبيه .

و الفصل الثاني كـــان الحديث فيه عن العلاقات الزيرية الفاطمية قبل عهـــد المعـــز بن باديس ، و قـــسمته أربـــع نقاط أساسية ، أما الأولى فمتعلقة برحيل الفاطميين إلى مصر ، و أمّا الثانية فخاصة بالعلاقات الزيرية الفاطمية خلال عهد بلكين بن زيري ، و بدأتها بالكلام عن تأسيس الدولة الزيرية في بـــلاد المغرب و إفريقية ، ثمّ ذكرت أعمال بلكين و علاقته بالخلافة الفاطمية ، و النقطة الرئيسية الثالثة جاءت حول العلاقات الزيرية الفاطمية خلال عهد المنصور بن بلكين ، و قسمتها شطرين ، أمّا الشطر الأول ففيه الحديث عن ولاية المنصور و علاقته بزناتة و عمّاله ، و أمّا الشطر الثاني فدار حول علاقات المنـــصور ببني عبيد ، و آخر نقطة في هذا الفصل كانت حول العلاقات الزيرية الفاطمية دائما ، و لكن هـــذه المـــرّة في عهد باديس بن المنصور ، و فيها ثلاثة أمـــور، الأول ولاية باديس و الصراعات داخل الأســـرة الزيـــرية ، و الـــثاني الصراع بين صنهاجة و زناتة خلال هذا العهد ، و الثالث علاقة باديس بالعبيديين .

و الفصل الثالث نلج به صلب الموضوع و عنوانه عهد المعز بن باديس و أوضاع البلاد الداخلية ، و جعلـــته في أربعة أقسام ، فالقسم الأول يخص ولادة المعز بن باديس و ولايته العـــرش و علاقاته بآل بيـــته و زواجـــه ، ثمّ أعقبته بالقسم الثاني الذي تناولت فيه علاقة المعز بعمّ أبيه حمّاد بن بلكين و علاقته بعمالـــه كذلك ، مبينا كيفية تعامل الأمير الصغير مع هذه المشـــاكل خاصة تلك التي واجهته في بداية حكمـــه ، و ذكرت في القسم الرابع الاضطرابات و المشاكل الداخلية لا سيما الصراع مع زناتة خلال عهـــد المعـــز ، و ختمت الفصل بالحديث عن الإزدهار الذي بلغته الدولة الزيرية خلال عهد المعز بن باديس .

و في الفـــصل الرابع مواصلة لذكر الأحداث التي كانت خلال عهد المعز و عنوانه الانفصال عن الدولـــة الفاطمية ، و هو فصل مهم جدا إذ هو بيت القصيد و مربض الفرس ، و جعلته ثلاثة أقسام ، الأول يتعلق بأحداث قتل الشيعة في إفريقية و بلاد المغرب التي ابتدأت مع بداية عهد المعز خلال سنواته الأولى ، ثم كان الحديث في القسم الثاني عن إعلان القطيعة مع الفاطميين و الولاء للعباسيين ، و ذكرت فـــيه طبـــيعة العلاقات بين إفريقية و مصر قبل إعلان القطيعة ، ثم أردفت ذلك بذكر أهم الأسباب التي عجلت بإعلانها ، لأصل إلى تحديد تاريخ إعلان القطيعة ، و ذلك بعد أن أتيت على حصر الأقوال في هـــذه المسألة ، ثم رجّحت القول الذي رأيته صحيحا بما توفر لديّ من أدلـــة علمية ، و أخيرا تكلمت عـــن تغيير العملة الزيرية بعد القطيعة ، فذكرت ابتداء شيئا عن العملة الفاطمية التي كانت سائدة طيلة العهد الفاطمي في بلاد المغرب و خلال عهد الأمراء الزيريين الثلاثة الأوائل ، ثمّ إصدار المعز الصنهاجي أوامـــره بتغيير العملة و إسقاط أسماء بني عبيد منها نهائيا ، و لم أغفل في النهاية ذكر الأقوال التي قيلت حول إعادة المعز الخطبة لبني عبيد أواخر سنوات حكمه و ضربه نقودا باسم الخليفة العبيدي المستنصر .

و أمّا الفصل الخامس فكان عنوانه زحف بني هـــلال و بني سليم نحـــو إفريقية و بـــلاد المغرب ، و بدأته بتعريف قبائل بني هلال و بني سليم ، ثمّ رويت كيفية سير عمليات الزحف الهلالي و ما تخلله من أعمال تخريبية ، و بعد ذلك أتيت على ذكر بعض نتائج هذا الزحف سلبياته و إيجابياته ، و جاءت خاتمة الفصل تتحدث عن وفاة المعز بن باديس ، و بالتالي نهاية عهد هذا الأمير الذي وُصف بأنه أحسن عهد عرفته الدولة الزيرية الصنهاجية .

و أخـــيرا كانـــت الخاتمة التي أجملت فيها قول ما ذُكر من أحداث ، و ذكرت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج تخص تاريخ الدولة الزيرية منذ تأسيسها إلى غاية نهاية عهد المعز بن باديس .

نقـــد المصـــادر :

إنّ الباحث في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي يجد أمامه مصادر متنوعة و مهمة تسرد تاريخ المنطقة ، بعـــضها يتناول الأحداث بإسهاب و بعضها يسهب أحيانا و يختصر في أخرى ، و البعض الآخر يكتفي باختـــصار الأحـــداث كلّها ، و لكي يكتمل البحث التاريخي لا بدّ من الإطلاع عليها جميعها ، و تتبع الأخبار و الروايات الواردة فيها تتبعا دقيقا ، و عدم التسليم المطلق لها ، إذ أنّها ليست قرآنا منزلا ، فقد يقـــع المؤرخ في الخطأ و ما هو منه ببعيد ، لأجل هذا سأتعرض لمصادر البحث الرئيسية بالنقد ، مبرزا أهميـــتها و ما ظهر لي فيها من نقائص ، و قبل ذلك يجب أن نذكر لأهل العلم فضلهم ، فهؤلاء الأعلام هم منارات الهدى و مصابيح الدجى الذين لا يمكن أن نخوض في أي موضوع تاريخي دون الرجوع إلى مؤلفاتهم ، و يكفي هذا فضلا و شرفا لهم .

1- كتب التـــاريخ العـــامة :

لقد كان الإعتماد في هذه الدراسة على العديد من المصادر التاريخية العامة التي روت أحداث تاريخ بـــلاد المغـــرب المغاربية – بتعبير العصر – منها و المشرقية ، و لنبـــدأ أولا بالحديث عن أهم المصادر المغاربية التي يأتي في مقدمتها كتاب البيـــان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لابن عذارى المراكشي (ت بعـــد 712 هـــ / 1321 م) ، و الكتاب يكتسي أهمية بالغة إذ لا يمكن لأي مؤرخ يكتب عن تـــاريخ المغـــرب الإسلامي في العصر الوسيط أن يستغني عنه ، و يزيده أهمية أنّه اعتمد على مصـــادر تاريخـــية مفقـــودة عاصـــرت الأحداث و من أهمها كتب ابن شرف و ابن رشيق القيرواني المعاصرين للأحـــداث و المقـــربين جدّا من المعز بن باديس ، إضافة إلى العديد من المصادر الأخرى التي أشار إليها المؤلف في مقدمته ، و قد أفادنا الكتاب بكثير من المعلومات حول تاريخ الدولة الفاطمية ، و ابن عذارى سنيّ المذهب و هو يعبر عن وجهة النظر السنية المناهضة للتشيّع ، و قد بيّن فظائع العبيديين و إظهارهم التشيّع القبيح من إدعاء بعض خلفائهم الألوهية و سبّ الصحابة رضي الله عنهم و الاستهـــزاء بالدين و قتل العلماء ، كما أمدّنا بمعلومات مهمة جدّا و كثيرة عن الدولة الصنهاجية الزيرية ، غير أنّه أعرض عن ذكر تفاصيل الـــنزاع الذي كان دائرا بين المعـــز بن باديس و حمّاد بن بلكين ، و اكتفى بالإشارة إلـــيه في عـــبـــارة موجزة ، و يمتاز كتاب البيان بذكر الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب مرتبة حسب الـــسنين ، و قد يشذّ أحيانا عن هذا المنهج ، و من الأمثلة على ذلك أنّه إذا أتى على مدينة مهمة فإنّه يسرد تاريخها منفصلا .

أمّا كتاب العبر لعبد الرحمان بن خلدون (ت 808 هـــ / 1406 م) فهو كتاب ضخم ، تناول فـــيه مـــؤلفه أخبار المشرق و المغرب و العرب و العجم و البربر ، و من ضمن ما تناوله أخبار الدولة الفاطمية مبديا تعاطفه معها ، و عند الحديث عن الدولة الصنهاجية اختصر في ذكر أخبارها خاصة عهد المعـــز بن باديس الذي يُعتبر العصر الذهبي للزيريين في إفريقية ، و لّما أتى على أخبار الغزو الهلالي نجده أطال في ذلك ، و كلامه عن الأعـــراب من بني هـــلال و بني سليم و المعقل لا يستغني عنه باحث ، و رغـــم أنّ ابن خلدون افتتح كتابه بمقدمته الشهيرة و التي من بين ما جاء فيها نقده اللاذع للمؤرخين الذين ينقلون الأخبـــار دون تمحيص و لا تدقيق ، نراه يقع في أخطاء ما كان لمثله أن يقع فيها ، و من ذلـــك تسليمه بالأصل الشريف للعبيديين دون مناقشة لهـــذه القضية الشائكة التي اختلف حولها الناس كـــثيرا ، و دون تقـــديـــم أدلـــة علمية مقنعة على رأيـــه ، مكتفيا بالقـــول إنّ الناس مصدّقون في أنسابهم .

و يعتبر كتاب المؤنس في أخبار إفريقية و تونس لابن أبي دينار (ت 1110 هـــ / 1699 م) من الكتب التي ذكرت تاريخ الصنهاجيين بإجمال ، و جملة أخبـــاره لا تختلف كثيرا عن المصادر الأخرى ، و لم يشأ الخوض في تاريخ الدولة الحمّادية في القلعة و بجاية ، و كذلك كان شأنه حول الغزو الأعرابي للمنطقة .

و كان كتاب أخبار ملوك بني عبيد لابن حمّاد الصنهاجي (ت 626 هـــ / 1230 م) من الكتب الـــتي أفادتـــنا في التعريف بالخلفاء العبيديين ، و المؤلف يكتفي بذكر الأحداث العامة عن حياتهم دون الخـــوض في تفاصـــيلها بـــشكل واسع ، و أمّا كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب (ت 776 هـــ / 1374 م) فقـــد أمـــدّنا ببعض المعلومات عن سلاطين الدولة الصنهاجية بفرعيها ، أولاد باديس بن المنـــصور في القيروان و المهدية ، و أبناء حمّاد بن بلكين في القلعة و بجاية ، و كتاب الحلل السندسية في الأخبار التونسية للـــوزير السراج (ت 1149 هـــ / 1736 م) فهو من الكتب المتـــأخرة نسبيا ، و أغلب ما جاء فيه لا يضيف شيئا جديدا لموضوع البحث .

و المصادر المشرقية كثيرة و السمة الغالبة عليها إهمال تاريخ بلاد المغرب الإسلامي ، و إن ذكرته فإنّهـــا تذكـــره باختـــصـــار شديد ، و يعتبر كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630 هـــ / 1222 م) من المصادر المشرقية القليلة التي أرخت للمشرق و المغـــرب ، و هو مصدر مهم جدّا ، اتبع فيه مؤلفه أسلوب تأريخ الأحداث حسب السنين ، و قد يتخلّى عن هذا المنهج إذا رأى ضرورة لذلك ، كما فعل عندما تحدّث عن غزو بني هلال بلاد المغرب ، و قد حفل الكتاب بذكر أخبار الدولة الفاطمية

مؤيدا دعواهم في النسب الشريف ، كما أفادنا بمعلومات وافية و مهمة عن الدولة الصنهاجية ، و غالبا لا يذكر مصادره التي استقى منها معلوماته .

و من المصادر المشرقية كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت 733 هـــ / 1333 م) حيث رصد فيه مؤلفه تاريخ بلاد المغرب الإسلامي بالرغم من كونه موسوعة أدبية ضخمة ، و الملاحظة المهمـــة الـــتي يخلص إليها الباحث المتصفح لما جاء في هذه الموسوعة من روايات تاريخية تخص موضوع البحث ، أنّها مطابقة إلى حدّ كبير ما جاء في كتاب الكامل في التاريخ ، و كأنّ ابن الأثير كان مصدره الرئيسي في نقل الأخبار و إن لم يصرّح بذلك .

و مـــن أشمل المصادر التاريخية التي درست تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب و المشرق ، كتاب إتعاظ الحنفاء في أخبار الأئمة الخلفاء للمقريزي (ت 845 هـــ / 1441 م) ، فقد خصّ كل خليفة مـــنهم بتـــرجمة وافية عن حياته ، و من حسن حظّنا أنّ الكتاب قد طبع كاملا حيث أنّ طبعاته الأولى تتوقف في المرحلة المغربية للدولة الفاطمية ، و قد ساعدنا الإطّلاع على الطبعة الكاملة كثيرا في تتبع سير العلاقـــات بين الدولة الفاطمية في القاهرة و الدولة الزيرية في القيروان ، حيث زخر بمعلومات مهمة في هذا المجال ، و يكفي للدلالة على ذلك أنّه من المصادر القليلة جدّا التي أشارت إلى إعادة المعز بن باديس لعلاقاتـــه مـــع القاهرة بعد الغزو الهلالي ، هذا الغزو لم يغفل المؤلف ذكر أحداثه ، و أمّا كتابه الآخر المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار و المعروف اختصارا بالخطط ، فهو كتاب خاص يصف عمارة مصر وصفا مفصلا ، لكنّه تضمّن معلومات تاريخية مختصرة عن الدولة الفاطمية سواء في مرحلتها المغربية و بعد رحيلها إلى مصر .

و لا بـــأس بالإشارة إلى المصادر المشرقية الثانوية التي استفدنا منها بشكل خاص في المراحل الأولى للـــبحث و المتعلقة أساسا بتاريخ الفاطميين في بلاد المغرب و رحيلهم إلى مصر ، و منها كتاب أخبار مـــصر لابن ميسر (ت 677 هـــ / 1278 م) ، و كتاب تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب للداعي عماد الدين إدريس (ت 872 هـــ / 1488 م) ، و كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة لأبي المحاسن (ت 874 هـــ / 1469 م) ، و كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة لجلال الدين السيوطي (ت 911 هـــ / 1511 م) .

2- كتب الطبقـــات و التـــراجـــم :

تعتبر كتب الطبقات و التراجم مصادر تاريخية مهمة ليس فقط لترجمة العلماء و الأعيان ، و إنّما مصـــادر مهمة لاستقـــاء المعلومات التـــاريخية المتنوعة في مختلف نـــواحي الحيـــاة لاسيما الإجتماعية و الإقتصادية منها و التي يتعذر الحصول عليها من كتب التاريخ العامة .

و من أهمّ كتب الطبقات المعتمدة في هذا الموضوع كتاب ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعـــلام مـــذهب مالك للقاضي عياض (ت 544 هـــ / 1149 م) ، و هو من الكتب التي اهتمت بالترجمة لعلماء المالكية دون غيرهم من المذاهب الأخرى ، و إبراز مكانتهم العلمية و تضحياتهم الكبيرة خاصة خلال العهد الفاطمي الذي عرف فيه الصـــراع المـــذهبي بين السنة و الشيعة الإسماعيلية أوجه ، و أثناء الترجمة غالبا ما يشير القاضي عياض إلى محن العلماء و دورهم في ما يجري من أحداث ، فقد بيّن مـــثلا كـــيف شارك العلماء في ثورة أبي يزيد الخارجي و دور الفقيه علي بن خلدون في أحداث قتل الشيعة في القيروان مطلع عهد المعز بن باديس سنة 407 هـــ/ 1016 م ، و قد أفادنا الكتاب كثيرا في تعريف العديد من العلماء الذين كان دور كبير في الحياة السياسية في عهد المعز ، هذا فضلا عمّا جاء في ثناياه من معلومات سياسية مهمة أسهمت إلى حدّ كبير في إثراء الموضوع.

و يكتسي كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للدباغ (ت 696 هـــ / 1296 م) أهمية بالغـــة ، حـــيث أمدّنا بمعلومات تاريخية مهمة جدّا عن عهد المعز بن باديس ، ساعدتنا كثيرا في تحديد تاريخ الإستقلال عن الفاطميين ، و ذلك من خلال تراجمه لعلماء القيروان الذين عاصروا هذا الأمير .

و كـــتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون (ت 799 هـــ / 1369 م) يتـــضح من عنوانه أنّه اتبع منهج القاضي عياض ، حيث جعله خاصا بعلماء المالكية دون غيرهم ، لكن ابـــن فرحون يقتصر غالبا على ذكر الجانب العلمي في حياة المترجم له دون أن يخوض في أمور أخرى خاصة السياسية منها .

و من الكتب المهمة في التراجم العامة كتاب وفيـــات الأعيان و أنبـــاء أبنـــاء الزمان لابن خلكان (ت 681 هـــــ / 1211 م) الـــذي كان مصدرا أساسيا لترجمة العديد من الشخصيات التي ورد ذكرها في البحث ، و تضمّن الكتاب معلمات تاريخية متنوعة ، و أمّا كتاب سير أعـــلام النبلاء للذهبي (ت 748 هـــــ / 1372 م) فقـــد عـــني فيه مؤلفه بالترجمة لعدد كبير من الشخصيات منذ عهد الصحابة إلى زمن المؤلف ، و قد اعتمدنا عليه في التعريف ببعض الشخصيات ، و أمّا كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي (ت 542 هـــ / 1147 م) فهو من كتب التراجم الخاصة التي اهتمت

بفـــئة معيـــنة و هي فئة الوزراء ، و خصّ فيه المؤلف وزراء الدولة الفاطمية بالترجمة ، و كان الكتاب مصدرنا الأساسي في التعريف بهم ، خاصة أولئك الذين كان لهم دور أساسي في صنع الأحداث التي لها علاقة مباشرة بتاريخ بلاد المغرب الإسلامي مثل الوزير الجرجرائي و الوزير اليازوري .

3- كتب الجغـــرافية :

لا يمكن للباحث أن يستغني عن كتب الجغرافية ، فالحدث التاريخي مرتبط دائما بالزمان و المكان ، إضافة إلى أنّ كتب الجغرافية تحـــوي تفاصيل تاريخية مهمة ، خاصة تلك المتعلقة بالجوانب الإقتصادية و الإجتماعـــية ، و قـــد كان كتاب معجم البلـــدان لياقوت الحموي (ت 626 هـــ / 1228 م) المعجم الجغرافي الضخم الذي عرّف فيه مؤلفه مناطق العالم الإسلامي شرقها و غربها ، مصدرنا الأساسي في التعريف بالمـــدن و الأمـــاكن ، و أثناء التعريف بها يـــورد المؤلف وصفا للمدينة و تحديدا لمكانها ، كما أنّه يـــورد شيئا من تـــاريخها ، ثمّ يضيف في النهاية أسمـــاء أبـــرز أعيانها مثل العلماء إن وجدوا ، و كمثال على ذلك مدينة أشـــير عاصمة الزيريين الأولى التي وصفها و صفا دقيقا ثمّ تكلّم عن تاريخها و كيفية تأسيسها .

و إذا لم أجد بغيتي في معجم ياقوت فإنّي ألجأ إلى كتب جغرافية أخرى مهمة ، و منها كتاب ابن حـــوقل (ت 367 هـــ / 977 م) صورة الأرض ، و كتاب أبي عبيد البكري (487 هـــ / 1094 م) المغـــرب في ذكر بـــلاد إفريقية و المغرب و الذي هو قطعة من كتابه المسالك و الممالك ، و كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفـــاق للشريف الإدريسي (ت 560 هـــ / 1165 م) ، و هذه الكتب تضمنت التعريف بالعديد من مدن بلاد المغرب .

4- كتب العلوم الشرعية و الملل و الشعر :

لقد ظهرت أهمية الكتب الشرعية لاسيما كتب الفتاوى و النوازل في الكتابة التاريخية ، و من أهمّ هـــذه الكـــتب كـــتاب المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب للونشريـــسي (ت 914 هـــ / 1508 م) الذي يعدّ موسوعة دينية كبيرة جدّا تضمّ عددا هائلا من فتاوى علماء المغرب في مختلف المسائل الشرعية ، و قد أصبح الكتاب مصدرا أساسيا للباحثين خاصة في التاريخ الإقتصادي و الإجتماعي لما حواه من معلومات مهمة في هذا المجال ، و كان لإحدى فتاواه الأثر الكـــبير في بحثـــنا هـــذا ، و ذلك لأهميتها التـــاريخية البالغة ، و الكـــلام نفسه ينطبق على فتـــاوى الـــبرزلي (ت 841 هـــ / 1438 م) المعنـــونة بـــ " جامع منـــازل الأحكـــام لمـــا نزل من

القـــضايا بالمفـــتين و الحكام " ، و أمّا فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728 هـــ / 1328 م) المجمـــوعة تحـــت عنوان مجموع الفتاوى ، فهي موسوعة شرعية هـــائلة تضمّ فتاوى في مختلف العلوم الشرعية ، و قد اعتمدت عليها في بعض القضايا الشرعية خاصة العقائدية التي وردت عرضا في البحث ، و ذلـــك لمكانـــة الشيخ العلمية عند أهل السنة و الجماعة ، و كتابه الآخر منهـــاج السنة النبـــوية في الـــــرّد علـــى الـــشيعة و القدرية كتاب مهم جدّا تصدّى فيه شيخ الإســـلام للرّد على عقائد الشيعة الإمـــامية بالتفصيل ، و قد استفدت منه كثيرا في معرفـــة و فهم حقيقة و أوجه الخلاف بين أهل السنة و الشيعة .

و فيما يخص كتب الملل و الفرق ، فقد اعتمدت على كتاب الملل و النحل للشهرستاني (ت 548 هـــــ / 1153 م) الذي عرّف أغلب الفرق و المذاهب الإسلامية تعريفات واضحة ، كما استفدت أيـــضا من كتاب الفرق بين الفرق للإسفرائيني (ت 429 هـــ / 1037 م) و كتاب ابن حزم (ت 456 هـــ / 1064 م) الفصل في الأهواء و الملل و النحل .

و أمّا في مجال الشعر فقد حوى كتاب ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـــ / 1064 م) أنموذج الزمان في ذكر شعراء القيروان بعض الأخبار التاريخية المهمة ، و ذلك ضمن ترجمته للعديد من الشعراء على اختـــلاف مذاهبهم ، و من ذلك مثلا أحـــداث مدينة باغاية التي قتل فيها الشيعة سنة 409 هـــ و التي لم يشر إليها المـــؤرخون ، و تـــزداد أهمية الكتاب إذا علمنا أنّ صاحبه كان معاصرا للأحـــداث و ملازما للأمير المعز بن باديس .

الفصل الأول

العلاقات الفاطمية الصنهاجية قبل تأسيس الدولة الزيرية

الفصل الأول : العلاقات الفاطمية الصنهاجية قبل تأسيس الدولة الزيرية :

أولا : مشاكل الـــدولـــة الفـــاطمية في الدور المغربي و سياستها الداخلية :

1- قيـــام الدولـــة الفـــاطمية :

في نهايـــة القرن الثالث الهجري بلغ نشاط الشيعة[1] الإسماعيلية [2]مبلغا عظيما ، فسخّروا عقائدهم لخدمـــة أغراضهم السياسية [3] و عهدوا إلى دعاتهم التكفل بهذه المهمة الخطيرة ، وكان هؤلاء الدعاة على قدر كبير من النشاط و الإخلاص لا يدّخرون جهدا في سبيل خدمة الدعوة التي كانت سرّية جدّا ، حـــيث كان عمال العباسيين[4] يتعقبون آثارهم ، و من أبرز هؤلاء الدعاة أبو عبد الله الشيعي[5] ، الذي تمكن بفضل ذكائه و عزيمته أن يجد له سندا قويا متمثلا في قبيلة كتامة البربرية [6] التي احتضنته و نصرت مذهبه ، و كوّن بفضلها جيشا قويا ، ذلك أنّ التشيّع منذ نشأتـــه أخذ صبغة مضادة للعرب و للعصبية العربية ، فكما اعتمد في المشرق على الموالي من الفـــرس ، اعتمد في بـــلاد المغـــرب على المـــوالي من

(1) الشيعة : هم الذين شايعوا علي بن أبي طالب و قالوا بإمامته و خلافته نصا أو وصيّة ، و اعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده ، و قالـــوا إنّ الإمامة ركن الدين ، و يقولون بعصمة أئمتهم (أبو الفتح الشهرستاني، **الملل و النحل**، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعـــرفة، بـــيروت، ج1، ص 146 . أبو محمد بن حزم، **الفصل في الملل و الأهواء و النحل**، تحقيق د/محمد إبراهيم نصر و د/عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، ج5، ص 35 . بطرس البستاني، **دائرة المعـــارف**، دار المعرفة، بيروت، ج10، ص 661) .

(2) الإسماعيلية : إحدى فرق الشيعة الباطنية ، ساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق و زعموا أنّ الإمام من بعده إبنه إسماعيل ، و افترق هؤلاء فرقتين ، فرقة منتظرة لإسماعيل مع اتفاق المؤرخين على موته في حياة أبيه ، وفرقة ثانية قالت إنّ الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر (الاسفرائيني ، **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ص 63) .

(3) ك.بـــروكلمان، **تـــاريخ الـــشعوب الإسلامية**، تعريب نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، 1993، ص 251 .

(4) الدولـــة العباسية (132هـــ - 656 هـــ / 749 م – 1258 م) : ينتسبون إلى العباس عمّ النبي صلى عليه و سلم ، أول خلفائهم أبو العباس عبد الله بن محمد ، واتخذت بغداد عاصمة لها ، سقطت الدولة في يد المغول التتار سنة 656 هـــ / 1258 م (شاكر مصطفى، **موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ، 1993، ج1، ص127) .

(5) أبو عبد الله الشيعي : الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي ، من أهـــل مدينة صنعاء باليمن ، القائم بدعـــوة عبيد الله المهدي ، تمكن من التوطيد لدولة العبيديين الإسماعيلية في بلاد المغرب ، قتله " المهدي" سنة 298هـــ / 910 م (أبو العباس بن خلكان، **وفيـــات الأعيـــان و أنبـــاء أبنـــاء الزمـــان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج2، ص 192) .

(6) كـــتـــامة : إحدى قبائل البربر الكبرى ، تشعبوا في بلاد المغرب و انبتوا فيها ، أكثرهم موطّنين في أرياف قسنطينة إلى تخـــوم بجاية غربا إلى جبل أوراس من ناحية القبلة (عبد الرحمان بن خلـــدون، **كتاب العبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، ج6، ص301) . و انظـــر حـــول تعريف كتامة بالتفصيل : د/ موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ص 92 و ما بعدها . و انظر أيضا :

R.Basset, **Encyclopédie de l'Islam**, G-p. Maisonneuve, Paris, 1975, T 5 , p 544 .

البربر[1] ، و قد بدأ أبو عبد الله الشيعي أعماله العسكرية من منطقة جبال كتامة إلى سهول الأغالبة [2] في مـــنطقة المغرب الأدنى ، و حاول زيـــادة الله الثالث الأغلبي [3] مقاومة هذا الهجوم ، فأرسل ثلاثة جيوش هزمت كلها ، وانتهى الأمر بفراره إلى مصر و دخول أبي عبد الله الشيعي مدينة القيروان [4] ، فأمـــر و نهـــى و بعث العمال في الأعمال ، ثمّ نزل رقـــادة [5] مستهل رجب سنة 296 هـــ/ أواخر مارس 909 م ، و قتل من يخاف شرّه [6] ، و بذلك انتهت دولة الأغالبة السنية في المغرب الأدنى .

و قـــبل تحقيق هذا النصر الكبير و الحاسم على الأغالبة ، كان أبو عبد الله الشيعي قد أرسل وفدا من كتامة إلى سيدّه عبيد الله [7] يدعوه للقدوم إلى بـــلاد المغرب ، و كـــان الأخير مختفيا ، فجهّز نفسه

---

(1) د/ أيمن فـــؤاد السيد، **الدولة الفاطمية في مصر** ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الثانية، 2000، ص 112 .

(2) دولـــة الأغالبة (184هـــ - 296هـــ / 799 م – 908 م) : أسسها إبراهيم بن الأغلب التميمي سنة 184هـــ / 799 م و أعلـــن الولاء للعباسيين ، و توارث أبناؤه من بعده الملك ، ازدهرت القيروان في عهدهم ، انتهت عي يد أبو عبد الله الشيعي سنة 296 هـــ / 908 م (شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي، ج1، ص55) .

(3) زيادة الله الثالث : أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب آخر ملوك بني الأغلب في إفريقية ، كانت مدّة ملكه إلى أن خرج من القيروان خمس سنين و تسعة أشهر و خمسة عشر يوما ، هرب بعد هزيمة جيوشه أمام الشيعي إلى المشرق ، توفي في الرّقة و حمل جثمانه إلى القـــدس الشريف و دفن بهـــا سنة 296 هـــ/ 908 م (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 193) .

(4) القيروان : مدينة عظيمة بإفريقية بناها الفاتح المسلم عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـــ / 669 م ، ليس في المغرب أجلّ منها ، و عـــندما أعلـــن المعز الصنهاجي انفصاله عن بني عبيد أرسلوا الأعراب ، فخربوا البلاد و منها القيروان (ياقوت الحموي ، **معجم البلـــدان**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995، ج4، ص420 . عبد الحكيم عفيفي ، **موسوعـــة ألف مدينة إســـلامية**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، ص377) .

(5) رقادة : بلدة كانت بإفريقية ، بينها وبين القيروان أربعة أيام ، و المعروف أن الذي بناها هو إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، و كان ابتداء تأسيسه لها سنة 263 هـــ / 876 م ، فلما انتقل عنها عبيد الله إلى المهدية دخلها الوهن ، و انتقل عنها ساكنوها ، و لما ولي معد بن إسماعيل خرّب ما بقي من آثارها ، و لم يبق منها شيء غير بساتينها (ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 55) .

(6) أحمد بن علي المقريزي، **المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار**، بولاق القاهرة، 1270 هـــ/1853 م، ج1، ص 350 .

(7) عبيد الله الشيعي : مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، اختلف الناس في نسبه اختلافا كثيرا ، بين مؤيد لّما ادعاه من النسب الـــشريف ، و أنّه من ولد الحسين بن علي و فاطمة رضي الله عنهما و طاعن في نسبه ، فمن المؤيدين لما قاله و المثبتين له فضلا عن مؤرخي الإسماعيلية ، نجد بعض كبار مؤرخي أهل السنّة على رأسهم ابن الأثير الذي قال : " وهذه الأقوال – الطاعنة في نسب عبيد الله – فـــيها ما فيها فيا ليت شعري ما الذي حمل أتباع أبا عبد الله الشيعي و غيره ممن قام به في إظهار هذه الدعوة حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم و يسلموه إلى ولد يهودي ؟ و هل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده دينا و ثوابا ؟ (ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1995، ج6، ص 453) .

أمّـــا الطاعنون في نسبه و المكذبون لدعواه فكثيرون أيضا ، قال ابن خلكان : " و أهـــل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب (ابن خلكـــان، وفيات الأعيان، ج3، ص117) ، و كذلك ابن عذارى الذي قال : " و قال سائر الناس إنّه دعيّ و أنّ انتسابه للطالبيين دعوة باطلة ، و قد فضح القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني نسبه في كتاب كشف الأسرار و هتك الأستار =

للـــرحيل ، فتخفّى في زيّ التجار لأنّ العباسيين كانوا يجدّون في طلبه ، و حين وصوله إلى بلاد المغرب وجــد أنّ الأغالـــبة مازالـــوا أصـــحاب البلاد و أنّ الداعي الشيعي مازال في حرب معهم ، فاضطر لمواصلـــة المسير غربا ، فوصل سجلماسة [1] في أقصى بـــلاد المغرب ، وهنـــاك قبض عليه أميرها اليسع بن مدرار[2] و سجنه ، و في هذه الأثناء حقق أبو عبد الله نصره الحاسم بقضائه نهائيا على الأغالبة فسار من رقادة إلى سجلماسة يريد عبيد الله غازيا المغرب[3]، و في طريقه إلى هناك مـــرّ بالدولة الرستمية [4] في المغرب الأوسط ، فحاصرها و استولى على عـــاصمتها تاهرت [5] سنة 296 هـــ/ 909 م [6] ، ثمّ أتمّ سيره إلى سجلماسة فحاربه أميرها اليسع يوما كاملا ، فانهـــزم و فـــرّ في خاصته ، فدخل أبو عبد الله المدينة من الغد ، و أخرج عبيد الله و ابنه من السجن و أوقف الدعاة على أنّه الإمام الـــذي دعـــا إليه ، و عرّف الجميع به ، و قـــال : " هـــذا مولاي و مولاكم و وليّ أمركم و إمام هديكم ، و مهديكم المنتظر الذي كنت أبشر به ، قد أظهر الله عزّ و جل أمره كما وعد ، و أيّد حزبه و جنده " [7] .

= و ذكر أنّهم قرامطة "(ابن عذارى المراكشي، **البيـــان المغـــرب في أخبـــار الأنـــدلس و المغـــرب** ، تحقيـــق ج.س كـــولان و ل.بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983، ج1، ص 158) . و انظر حول عبيد الله

H.R Idris, Encyclopédie de l'Islam, T 5, p 1233.

(1) سجلماســـة : مدينـــة في أقصى جنوب المغرب الأقصى ، كثيرة التمـــور و الأعناب و الفواكـــه و الخيرات ، و أهلهـــا أهل سنّة و قوم جياد ، وبها علماء و عقلاء ، و لها عدّة أبواب (أبو عبد الله المقدسي، **أحســـن التقاسيم في معرفة الأقـــاليم**، دار إحياء التـــراث العـــربي، بيروت، 1987، ص190) . و نجح الخوارج الصفرية في تأسيس دولـــة فيها ، انظر : أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **الاستقصـــا لأخبـــار دول المغـــرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج1، ص 123 و ما بعدها .

(2) اليسع بن مدرار : تولى الحكم في سجلماسة سنة 370 هـــ / 980 م ، و تلقب بالمنتصر ، زحف إليه أبو عبد الله الشيعي ففرّ أمامه ثمّ ظفر به فقتله سنة 296 هـــ / 908 م و انقرضت بذلك دولة بني مدرار(ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 157) .

(3) G. Marçais, **La Berbérie orientale sous la dynastie des Benoù – l'Arlab**, Librairie orientaliste, Paris, 1927, p 315.

(4) الـــدولة الرستمية (160هـــ – 296هـــ / 776 م – 908 م) : أسسها في بلاد المغرب الأوسط عبد الرحمان بن رستم ، و كانت على المذهب الإباضي ، اتخذت مدينة تاهرت عاصمة لها و ازدهرت في أيامهم ازدهارا كبيرا ، استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يقضي عليها نهائيا سنة 296 هـــ / 908 م (شاكر مصطفى ، موسوعة دول العالم الإسلامي، ج1، ص 554) .

(5) تاهـــرت : مديـــنة عريقة جنوب شرق تلمسان ، دخلها الإسلام على يد الفاتح عقبة بن نافع ، اتخذها عبد الرحمان بن رستم عاصـــمة له ، فاختطّ فيها أحياء جديدة و حصّنها و أسماها تاهرت ، دخلها الفاطميون سنة 296هـــ / 909 م ، وبعدهم ملكها الحمّاديون ، ثمّ تعاقبت عليها الدول (ياقوت الحموي الرومي ، معجم البلـــدان، ج2، ص7) .

(6) د/ أحمـــد مختـــار العبـــادي، **في التاريـــخ العبـــاسي و الفـــاطمي**، دار النهضة العربيـــة، بيروت، ص230 .

(7) القاضـــي الـــنعمان، **كتـــاب افتتـــاح الدعـــوة**، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، الطبعة الثانية، 1986، ص 287 .

وأقـــام عبـــيد الله في سجلماسة أربعين يوما ، ثم سار إلى المغرب الأدنى في ربيع الآخر297 هــ/ ديـــسمبر 909 م ، ونـــزل برقادة وأمر أن يذكر في الخطبة يوم الجمعة ، حيث تلقب بالمهدي [1] أمير المؤمـــنين ، فدعـــي له بذلك في جميع البلاد [2] و بذلك أعلن قيام الدولة الفاطمية ذات المذهب الشيعي الإسماعيلي 297 هــ/ 909 م [3] ، و كان هذا من أهمّ الأحداث السياسية في القرن الرابع الهجري[4].

وهكـــذا ما كان القرن الثالث الهجري ينتهي إلا و كان الشيعة الذين يوصفون بأنّهم أقدر الفرق الإســـلامية علـــى العمل في الخفاء [5] قد نجحوا في نشاطهم السرّي المكثف الذي قام به تنظيم الدعاة ، فأعلنوا قيام خلافتهم في إفريقية [6] ، و سينحو نحوهم الأمويون بعد ذلك بحوالي عشرين عاما ، فأصبح في العالم الإسلامي ثلاث خلافات ، خلافتان سنيتان العباسية في المشرق و الأموية في الأندلس و خلافة إسماعيلـــية باطنـــية في بلاد المغرب هي الخلافة الفاطمية ، و على الجانب الآخر كانت الدولة البيزنطية تتربص بالمسلمين و تتحيّن الفرص لإستغلال هذا الإنقسام الذي اعترى الإمبراطورية الإسلامية [7] .

ثمّ قـــام عبـــيد الله بإغتيال أكفأ رجاله أبو عبد الله الشيعي ، و سبب ذلك أن الخليفة كان يريد الحكم خالصا لنفسه بينما كان الداعي يريد الإستمرار في إدارة شـــؤون الدولة ، وكان لشقيق أبي عبد الله أبو العباس [8] دور بارز في إذكاء التراع بين الرجلين ، فقد أقبل يزري على المهـــدي في مجلس أخيه و يؤنبه على ما فعل حتى أثّر في نفسه ، فسأل المهدي أن يفوّض له الأمور و يجلس في القصر، مذكّرا بما قام به من أعمال ، و قد نقل الكثير من المؤرخين بعض أقواله و منها : " إنّي قد قوّمت هؤلاء الكتاميين

(1) المهـــدي : يعتقد أهل السنة و الجماعة بالمهدي الذي يظهر في آخر الزمان ، و أنّه من نسل النبي صلّى الله عليه و سلم ، و ذلك للأحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة حوله (مصطفى أبو النصر الشلبي، **صحيـــح أشـــراط الســـاعـــة**، دار ابن حـــزم، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002، ص 185 و ما بعدها) .

(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص 350 .

(3) ابـــن حماد الصنهاجي، **أخبار ملوك بني عبيد**، تحقيق نشيدة سليماني، معهد العلوم الإجتماعية جامعة الجزائر، الجزائر، 1979، ص 159 .

(4) آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ص 73 .

(5) أحمد أمين، **فجـــر الإســـــلام**، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الحادية عشر، 1975، ص 275 .

(6) إفريقيـــة : اسم لبلد واسعة و مملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، و حدّها من طرابلس إلى بجاية (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص288) .

(7) د/ أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 121 .

(8) أبـــو العباس : أحمد بن أحمد بن محمد بن زكريا ، الأخ الأكبر لأبي عبد الله ، أسهم في قيام الدولة العبيدية ، لكنه لم يرض بأن يستأثر المهدي بالحكم وحده ، وانتهى أمره بالقتل سنة 298 هــ / 910 م (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 192) .

و أجريتهم على ما أردت من التقويم ، و أخذهم على ترتيب و تعليم ، فاستقام لي أمرهم ، فلو تركت إلّي أمرهم و كنت في قصرك وادعا لكان ذلك أهيب لك و أشدّ لأمرك و أعظم لسلطانك " (1) .

و كـــان قـــد بلغ عبيد الله ما يجهر به أبو العباس من السوء في حقه ، و أكثر من قوله حتى أغرى المقـــدّمين بعبيد الله ، و قال : " ما هذا الذي كنّا نعتقد طاعته و ندعو إليه ، لأن المهدي يأتي بالآيات الباهـــرة "، فمـــال إليه جماعة من كتامة ، و واجه بعضهم المهدي بذلك ، وقـــال : " إن كنت أنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك " ، فبعد مـــا بين المهـــدي و بين أبي عبد الله الشيعي ، فأوجس كل منهما خيفة من الآخر ، و أخذ أبو العباس يدّبر في قتل عبيد الله ، و عبيد الله يحلّ مـــا كان يبرمه ، ثمّ رتّب رجـــالا ، فلما ركب أبو عبد الله و أخوه إلى قصر عبيد الله ثار بهما الرجال ، فقال أبـــو عبد الله : " لا تفعلـــــــوا " ، فقالوا له : " إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك " ، فقتل هو و أخوه للنصف مـــن جمادى الآخرة سنة 298 هـــ/ 17 فبراير 911 م (2) . و بذلك خلص لعبيد الله الأمر و صفا له الملك ، فملك المغرب بأسره و إفريقية ، و بالتالي أصبحت إمكانية التوجه إلى مصر سهلة (3) ، فوجّه ابنه إلى ديار مصر مرتين ، الأولى سنة 301 هـــ / 913 م ، و الثانية سنة 306 هـــ / 918 م (4) .

ثمّ اخـــتطّ عبيد الله المهدية (5) لأنّه كان بحاجة إلى مكان حصين يحتمي به إذا تغيرت عليه نفوس الـــرعيّة الـــذين كانوا على مذهب أهل السنة (6) ، خاصة أنّ رقادة تقع في وسط سهل فسيح لا يفي بالأغـــراض الدفاعية ، و بنى المهدي عاصمته الجديدة على شاطئ البحر مباشرة ، لأنه رأى أنّ نفـــوذ الفاطميين داخل البـــلاد لا يزال ضعيفا ، و أنّه لا بدّ أن يعتمد على أسطولـــه القوي لحمايـــة العاصمة و تموينها من جهـــة البحر أيـــام الأزمات (7) ، وكذلك مواجهة البيزنطيين الذين حاولوا التحرّش به من

---

(1) الداعي عماد الدين إدريس ، **تاريخ الخلفـــاء الفـــاطميين بالمغـــرب**، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1985، ص 182 .

(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص351 .

(3) د/ عـــبد الله كامـــل موسى، **الفاطميون و آثـــارهم المعمارية في إفريقية و مصر و اليمن**، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001، ص 43 .

(4) ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص 162 .

(5) المهدية : تقع بين سوسة و صفا قس على الساحـــل ، بناها المهدي ، فكـــان ابتداؤه بالنظر فيها سنة 300 هـــ / 912 م ، و انتقل إليها سنة 308 هـــ / 920 م ، و بنا فيها قصره و قصرا لابنه و دارا للصناعة ، و جعل لها أبراجا من جهـــة البحر الغربية و جعل لها بابين من حديد (أبو عبيد البكري، **المغـــرب في ذكر بـــلاد إفريقية و المغـــرب**، مكتبة المثنى، بغداد، ص28) .

(6) أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص28 .

(7) د/ أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي و الفاطمي، ص231 .

جـــنوب إيطالـــيا [1] ،كمـــا كان لقيام أبي عبد الله الشيعي و جماعة كتامة على عبيد الله المهدي و ما حاولوه من خلعه دور مهم في اتخاذ قرار بناء هذه العاصمة الجديدة [2] ، و باكتمال بنائها برزت الدولة الفاطمية كدولة مقتدرة استطاعت أن تنفذ أهدافها البعيدة التي رسمتها [3] .

و قد نجح الخليفة العبيدي الرابع المعز لدين الله [4] في مد النفوذ العبيدي إلى المغرب الأقصى ، و ذلك بعد أن نجحت الدولة الفاطمية في القضـــاء على العديد من الفتـــن الداخلية خـــلال عهدي القائم [5] و المنصور[6] ، فقد أرسل المعز قائده جوهرا [7] على رأس حملة عسكرية كبيرة سنة 347 هـــ/ 958 م لإعادة النفوذ العبيدي إلى أقصى المغرب بعد أن تمكن الأمويون من وضع أقدامهم فيه بقوة [8] .

و تمكن جوهر الصقلي من إخضاع القبائل الضاربة في جبال الأطلس حتى المحيط الأطلسي ، و لكنّه لم يتمكن من الإستيلاء على القواعد العسكرية المطلة على المضيق التي حرص الأمويون على التمسك بها نظرا لأهميتها الإستراتيجية في صدّ أي هجوم يقوم به الفاطميون على الأندلس من الجنوب [9] .

---

(1) د/ أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص125 .

(2) أبو عبيد البكري، المغرب، ص30 .

(3) د/سوادي عبد محمد و د/صالح عمار الحاج، **تـــاريخ المغـــرب الإســـلامي**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004، ص 144 .

(4) المعز لدين الله : أبو تميم معد بن المنصور بن القائم بن عبيد الله المهدي ، ولد بالمهدية سنة 319 هـــ / 930 م بويع سنة 341 هــــ / 952 م ، وطّد حكمه في بلاد المغرب ، سيّر قائده جوهر الصقلي إلى مصر فتمكن من فتحها سنة 358هـــ / 968 م ، فدخلها المعز سنة 362هـــ/ 972 م ، توفي المعز سنة 365هـــ/ 975 م بالقاهرة (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص224 . ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص 200 . أحمد بن يوسف الفرماني، **أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ**، دراسة و تحقيق د/ أحمد حطيط و د/ فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1996، ج2، ص 233) .

(5) القائم : أبو القاسم بن عبيد الله ، ثاني الخلفاء الفاطميين ، ولد بسلمية من بلاد الشام سنة 280 هـــ/ 893 م ، بويع يوم مات أبـــوه سنة 322 هـــ/ 933 م ، خرج في أيامه أبو يزيد الخارجي ، و مات وهو محارب له سنة 334 هـــ / 945 م (ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 170 . الفرماني، المصدر السابق، ج2، ص 231) .

(6) المنـــصور بالله : إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله ، ولد سنة 299هـــ/ 911 م ، ولي بعد وفاة أبيه القـــائم بأمر الله سنة 334هـــ / 945 م ، بنى مدينة صبرة (المنصورية) و واصل حرب أبيه ضد أبي يزيد الخارجي و انتصر عليه انتصارا حاسمـــا ، توفي سنة 341هـــ / 952 م (ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص 176 . الفرماني، المصدر السابق، ج2، ص 232) .

(7) جوهـــر الصقلي : جوهر بن عبد الله الرومي أبو الحسن القائد ، باني القاهرة و الجامع الأزهر ، كان من موالي المعز ، سيّره إلى مصر بعد موت كافور ، فدخلها سنة 358هـــ / 968 م ، وأرسل الجيوش لفتح الشام و ضمّها إلى مصر ، و كان بناؤه القاهرة سنة 358هـــ / 968 م ، و سمّاها المنصورية حتى قدم المعز فسمّاها القاهرة (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 375) .

(8) د/ سعد زغلول عبد الحميد، **تـــاريخ المغرب العـــربي**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ج3، ص231 .

(9) د/ أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي و الفاطمي، ص235 .

2 – عـــلاقة الفاطميين بالقبائل :

أ – عـــلاقـــة الفاطمـــيين بكتامة : إنّ قبيلة كتامة هي عصب الدولة و أساس ظهورها ، فعلى أراضيها نمت الحركة الإسماعيلة و على ســـواعد أبنائها قـــامت الخلافة الفاطمية على حساب الأنظمة السياسية و المذهبية في إفريقية و بـــلاد المغرب ، و تعاون دعاتها على نشر المذهب الإسماعيلي بكلّ همّة و نشاط [1] ، و ذلك منذ أن اختار أبو عبد الله الشيعي منطقة إيكجان [2] بأرض كتامة مقرّا لنشر دعوته بعد أن هيّأ الأسباب و أقنع الكتاميين بشخصه ، سلاحه في ذلك التظاهر بالزهد و الورع ، فازدادوا فيه رغـــبة و جعلوا يمشون حولـــه إذا سار و يترلون حيث نزل و يخدمونه و يعظمونه [3] ، و كان يسألهم عن بـــلادهم و قبائلهم و عن طاعتهم لسلطان إفريقية ، فقالوا لـــه : " ما له علينا طاعة و بيننا و بينه عشرة أيـــام" [4] .

و ادّعى أول الأمر أنّه معلم قرآن و باشر هذه المهنة فعلا ، ثمّ لم يلبث أن جاهر بحقيقة أمره حينما أســـرّ إلى شيخ كتامة بذلك قائلا :" لست معلم قرآن ، إنّما الأمر ما أخبرك به ، إنّما نحن أنصار أهل البيت ، و قد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة ، إنّكم أنصارنا و المقيمون لدولتنا ، و إنّ الله يظهر بكم دينه و يعزّ بكم أهل البيت ، و إنّه سيكون إمام منهم أنتم أنصـــاره ، و إنّ الله سيفتح بكم الدنيا كلّها و يكون لكم أجركم مضاعفا ، فيجتمع لكم أجر الدنيا و الآخرة" ، فقال له الشيخ :" أنا أرغب فيما رغبتني إليه و أبذل فيه مهجتي و مالي أنا و من اتبعني ، و أنا أطوع إليك من يدك فمر بما شئت أمتثله" ، فقـــال الشيعي :" أدع الخاصة من بني عمّك الأقرب فالأقرب" ، فنظر الشيخ فيما قاله و بثّ دعوته في أقاربه و من يختصّ به [5] .

و شـــرع أبـــو عبد الله الشيعي في الإعداد لتحقيق مشروعه الكبير بعد أن اطمأنّ لكتامة و نجح في التمكين لأفكاره ، و لكن ما هي الأسباب التي جعلت هذه القبيلة تنوء بحمل الدعوة الإسماعيلية ؟ .

---

(1) موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص 434 .

(2) إيكجان : تقع في مكـــان حصين يحدّه من الجنوب العين الكبيرة و من الغرب خرّاطة و من الشمال تكسانة و من الجنوب فج مزالة ، و تقع بالضبط في شرق قرية بني عزيز على بعد حوالي 2 كلم ، و كانت في العهد الفرنسي تابعة إداريا لفج مزالة لأنّها من وطن فرجيوة و التي ورد اسمها في المصادر التاريخية بفج الأخيار ، و هو المكان الذي نزل به الشيعي أول الأمر ، و هذه المنطقة تابعة إداريـــا الآن إلى دائـــرة العـــين الكبيرة بولاية سطيف (محمد الصالح مرمول، **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 40) .

(3) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص35 .

(4) ابن الأثير، الكامل، ج6 ، ص450 . القاضي النعمان، المصدر السابق، ص36 .

(5) ابن عذارى، البيان، ج1، ص127 .

ممّا لا شك فيه فإنّه في مقدمة هذه الأسباب قوة شخصية الداعي و ما امتاز به من ذكـــاء سياسي و عسكري ، إذ كان على إطلاّع واسع على كثير من العلوم ، و استطاع أن يفرض طاعته و أصبح محلّ إجلال و تقدير ، و تمكنّ أن يلهب حماس الكتاميين لصالح دعوته ، و يشعرها بأنّ هذه الدعوة بالإضافة إلى مكانـــتها الدينية فهي أداة قوية لوحدها باعتبارها من أقوى الروابط التي تجمع بين أفرادها و تجعلهم يتكتّلون في وجه من يعارضهم من القبائل الأخرى [1] .

و مـــن الأسباب أيضا تسلّط الأمراء الأغالبة على الرعيّة ، و عندما بلغ هذا الأمر الخليفة العباسي المعتـــضد [2] أرســـل إلى إبراهيم بن الأغلب [3] يعنّفه على سوء السيرة و قد قوي أمر الشيعة ، فأظهر إبراهيم التوبة و ردّ المظالم و سرّح المسجونين و تصدّق بالأموال و نفر للجهاد [4] ، و بما أنّ الدعوة إلى آل البـــيت تهدف إلى مقاومة الظلم فإنّ داعيتها أبو عبد الله أظهر العدل و الإنصاف ، فعند تغلّبه على بعض المدن سنة 293 هـــ / 905 م و كان بها الجبـــاة على المغارم ، أتوه بما في أيديهم من الجباية ، فقـــال لأحدهم : " من أين جمعت هذا المـــال " ؟ ، فقال لـــه : " من العشر " ، فقال :" إنّما العشر حبوب و هذا عين" ، ثمّ أمر بأن يرّد المال إلى أهلـــه [5] .

و من أسباب استجابة كتامة للشيعي جهلهم بحقيقة التوحيد [6] ، فقد ذُكر أنّ عبيد الله لّما دخـــل

---

(1) محمد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص 164 .

(2) المعتضد بالله : أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق ، حكم من سنة 279 هـــ / 892 م إلى سنة 289 هـــ / 901 م ، كان مـــن خـــيار خلفـــاء بني العباس فقد عمل على تجديد ملكهم (الفرماني، المصدر السابق، ج2، ص 127 . د/ راغب السرحاني، **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005، ج1، ص297) .

(3) إبـــراهيم بن الأغلب أمير أغلبي حكم من سنة 261 هـــ / 874 م إلى سنة 275 هـــ / 808 م (أحمد بن أبي الضياف ، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمـــان**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ج1، ص 147) .

(4) نفسه، ج1، ص 148 .

(5) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 141 .

(6) التوحـــيد : التوحـــيد بمعناه الصحيح هو الغاية من بعثة الرسل جميعهم من لدن آدم إلى نبينا محمد صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ، وقد قسّمه العلماء إلى ثلاثة أقسام :

1- تـــوحـــيد الرّبوبية : وهو الإقـــرار بأن الله هو الخالق المدبر المحيي المميت الرزّاق ، و هذا لا ينازع فيه أحد من الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم** ﴾ **الزخرف 9** .

2- تـــوحيد الألوهية : هو إفراد الله تعالى بالعبادة و عدم صرف شيء منها لغيره ، و هذا الذي ضلت فيه أقـــوام و زلّت فيه أقدام ، و هو جوهر دعوة الرسل كلّهم ، قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله و اجتنبوا الطاغوت** ﴾ **النحل 36** .

3- تـــوحيد الأسمـــاء و الصفات : بمعنى إثبـــات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له نبيّه من صفـــات الكمـــال ، و نفي ما نفـــاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسولـــه من صفـــات النقص ، قال الله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء و هو السميع البصير** ﴾ **الشـــورى 11 =**

رقادة مدحه الشعراء بالكفر فاستجازه ، و من ذلك ما قاله محمد البديل :

حلّ برقـــــادة المسيح *** حلّ بهـــا آدم و نـــوح
حلّ بها أحمد المصطفى *** حلّ بها الكبش و الذبيح
حلّ بها الله ذو المعالي *** و كلّ شيء سواه ريح [1]

و علـــى هذا المنوال نظم ابن هانىء الأندلسي [2] أبياتا في مدح المعز لدين الله ، يصفه فيها بصفات الخالق عز و جلّ فقال : ما شئت لا ما شاءت الأقدار *** فاحكم فأنت الواحد القهار

و كأنّما أنت النبي محمـــدا *** و كأنّما أنصارك الأنصـــار
أنت الذي كانت تبشرنا به *** في كتبها الأحبار و الأخبار
هذا إمـــام المتقين و من به *** قد دوّخ الطغيان و الكفـــار
هذا الذي ترجى النجاة بحبه *** و بـــه يحطّ الإصر و الأوزار
هذا الذي تجدي شفاعته غدا *** حقا و تخمد أن تراه النـــار [3]

و كانـــت أيمـــان كتامة أول دخولهم إفريقية : "و حق عالم الغيب و الشهادة مولانا المهدي الذي بـــرقادة" [4] ، و مـــا يـــؤكـــد الجهل الذي كان ســـائدا في قبيلة كتامة شهادة الطبيب ابن إسحاق الإسرائيلي طبيب أبي عبد الله الشيعي ، و ذلك حينما سأل عن بعض العلل ، فأجاب القوم فلم يفهموا قوله ، فكرّر جوابه فلم يفهموا فقال لهم:" إنّما أنتم بقر و ليس معكم من الإنسانية إلا الاسم" ، و حين سمع كلامه أبو عبد الله الشيعي هدّده لاستنقاصه منهم قائلا له :" تقابل إخواننا من كتامة بما لا يجب ، و بالله الكريم لولا أنّ عذرك بأنّك جاهل بحقّهم و بقدر ما صار إليهم من الحق لأضربنّ عنقك" [5] .

= و هذا القسم اختلفت الأمة حوله اختلافا كبيرا و افترقت فرقا كثيرة ، و أقوالهم لا تخرج عن إحدى ثلاث ، فإمّا معطل جاحد ، و إمّا مشبه مغال ، و أهل الحق وسط دائما ، و هم الذين التزمـــوا طريق الصحابة و التابعين فحفظوا أنفسهم من الزيغ و الضلال ، فهذه أقسام التوحيد التي قرّرها العلمـــاء في كتبهم (د/ صالح بن عبد الله الفـــوزان، **الإرشـــاد إلى صحيح الاعتقـــاد و الرد على أهل الشرك و الإلحاد**، دار ابن خزيمـــة، الرياض، الطبعة الثانية، 1997، ص30 و ما بعدها) .

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 160 .

(2) ابـــن هانئ الأندلسي : أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي ، برع في الشعر ، شاعر المعز لدين الله ، بالغ في مدحه ، و لما رحل المعـــز إلى مصر رجع ابن هانئ لتوصيل عياله فقتل في برقة سنة 362 هــ / 972 م (ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص 97 . ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص 421) .

(3) ابن هانىء الأندلسي، **ديـــوان ابن هـــانىء**، دار بيروت، بيروت، 1980، ص 146 .

(4) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 160 .

(5) ابن أبي أصيبعة، **عيـــون الأنبـــاء في طبقـــات الأطبـــاء**، تحقيق د/ نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 480 .

و على كل فإنّ دعوة أبي عبد الله قد فشت و انتشرت و أجابه و دخل في أمره طبقات من الناس ، منهم من أراد بذلك وجه الله و ثوابه و أخلص فيه له ، و منهم من أراد بذلك الدين و الدنيا ، و منهم من دخل في ذلك يبتغي الفخر و الشرف و الذكر و الريـــاسة ، و منهم من أراد الكسب و الفائدة ، و منهم من دخله الحسد و المنافسة ، و منهم من صار إليه خوفا و تقية و مداراة [1] .

و بعـــد قيام الدولة الفاطمية و استقرار عبيد الله في رقادة بدأ يتصرّف على أساس الإعتماد على رجـــال كـــتامة في تسيير شؤون الدولة الجديدة و في مواجهة خصومها و أعدائها [2] ، و لكنّ الأمور ستشهد بعض التوتر ، فقد ظهر أول تمرّد كتامي سنة 297 هـــ / 909 م ، غير أنّ عبيد الله نجح في القـــضاء علـــيه [3] ، و لّما حاول أبو عبد الله الشيعي الثورة على عبيد الله استعان بكتامة ، و حينما قُتل أعلن بعض الكتاميين العصيان ، و قدّموا عليهم رجلا يدعى المارطي و اسمه كادو بن معارك ادّعوا بأنّه المهدي المنتظر ، و كتبوا كتابا فيه شريعة زعموا أنّها نزلت عليه ، فقوي أمره و اشتدّت شوكته ، و لم يـــتمكن القـــائم من القضاء عليه إلا بعد جهود كبيرة سنة 300 هـــ / 912 م ، فأخذه أســـيرا إلى القـــيروان و أصحابه ، فطيف بهم على الجمال ، ثمّ قتلوا جميعا في رقادة [4] .

و اســـتغلّ بعض الكتاميين انشغال المنصور بقتال الخـــوارج [5] ، و قاموا بثورة سنة 334 هـــ / 945 م ، و ادّعى صاحبها الألوهية ، فتمكن منه المنصور و أمر بقتله [6] .

إنّ كـــل هذه المحاولات في مجملها كانت تهدف فيما يبدو إلى استعادة النفـــوذ الذي عوّدهم عليه أبـــو عبد الله الشيعي ، و قام بها الذين لم تكن لهم مكانة عند الفاطميين ، و لكنّها لم يكتب لها النجاح لأنّها جهوية و قليلة التنظيم ، و زعماؤها ضعاف الشخصية فلم يتمكنـــوا من استقطاب كلّ الكتاميين

(1) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 118 .

(2) موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص 434 .

(3) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 160 .

(4) نفسه، ج1، ص 166 .

(5) الخوارج : كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان و الأئمة في كل زمان ، و كان أول خروجهم على علي رضي الله عنه حين جرى أمر التحكيم ، واجتمعوا بحروراء (من قرى الكوفة) ، و جاءت أحاديث كثيرة في شأنهم ، فقاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النهراون ، وانتصر عليهم انتصارا ساحقا ، وهم فرق كثيرة أهمها : الأزارقة و الإباضية و الصفرية و الشيبـــانيـــة (الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، ص 114 . دائرة المعارف البستاني، ج 7، ص 492) .

(6) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 324 . ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 200 .

حـــولهم ، الأمــــر الذي جعل الفاطميين يخمدونها بواسطة الكتاميين المـــوالين لهم ، و بالـــرغم من أنّ جوّ الوئام و الودّ قد تكدّر صفوه بين بعض الكتاميين و الفاطميين ، فإنّ هؤلاء الأخيرين بذلوا كل ما في وســعهم للمحافظـــة علـــى العلاقة التقليدية بالكتاميين كي يستغلوا إمكانياتهم القتالية في الحرب ضد خصومهم ، و نجحوا إلى حدّ بعيد في هذه السياسة ، و بذلك لعب الكتاميون الدور الأساسي الأول في أحـــداث تـــاريخ الفاطمـــيين بالمغـــرب في المجال العسكري بالدرجة الأولى ، و يعود إليهم الفضل في الإنتصارات الفاطمية في بلاد المغرب ، و في السيطرة لاحقا على مصر و بلاد الشام [1] .

(1) محمد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص 166 .

ب – عـــلاقة الفاطميين بزناتة [1] : تعتبر قبيلة زناتة من أكبر القبائل البربرية في بلاد المغرب ، و لم يـــتمكن الفاطمـــيون من وضع حدّ للمشاكل التي كانت تثيرها هذه القبيلة باستمرار خاصة في المغربين الأوسط و الأقصى ، و إذا أردنا الخوض في أسباب هذه العلاقة المضطربة بين الطرفين ، فإنّنا نذكر أولا مـــا نقله ابن خلدون من أنّه كانت لمغراوة الزناتية ولاية لعثمان بن عفان رضي الله عنه [2] ، و معروف عـــداوة الشيعة بفرقها الكثيرة لهذا الصحابي الجليل و بغضهم له [3] ، إضافة إلى هذا فإنّ الدولة الفاطمية تمكـــنت من القضاء نهائيا على الدولة الرستمية و لاحقت الخوارج الإباضية الذين ينتمون في أغلبهم إلى زناتـــة ، و الأهمّ من ذلك كلّه أنّ الفاطميين تولوا الصنهاجيين الأعداء الألدّاء و الخصوم الدائمين لزناتة في بلاد المغرب .

لقد أظهر الزناتيون عداءهم للدعوة الإسماعيلية قبل قيام الدولة الفاطمية ، فقد ذكر القاضي النعمان أنّهـــم اعترضوا في تيهرت جماعة أرسلهم أبو عبد الله الشيعي ، عددهم مائة رجل من كتامة تنكروا في زي المسافرين في مهمة لتخليص عبيد الله المهدي الذي كان مسجونا في سجلماسة [4] ، و عندما دخل أبـــو عبد الله القيروان و أقام الدولة الفاطمية ، خرج غازيا المغرب الأقصى قاصدا سجلماسة ، فخافته زناتة و بادرت بتقديم الطاعة له [5] ، و كان على رأسها آنذاك محمد بن خزر الذي طلب الأمان فحصل عليه [6] ، لكنّ ابن خزر هذا حاول قطع خط الرجعة على أبي عبد الله الشيعي ، حيث تواطأ مع جماعة

---

(1) زناتة : إحـــدى القبائل البربرية الكـــبرى ، رحّل في جملتهم و تتفرق قبائلهم في كل بـــلاد البربر ، على أنّ أغلبهـــا في الفيافي و الـــصحراء الممتدة من غدامس إلى المغرب الأقصى ، و منها جراوة و بنو ايفرن و مغراوة (ج.مارسي، **دائرة المعارف الإسلامية**، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى،1998، ج10، ص417) . و حول زناتة و تاريخها منذ الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع الهجري ، انظر : محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركـــة المذهبيـــة بالمغـــرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 15 و ما بعدها) .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 311 . و ذكر صاحب كتاب مفاخر البربر أنّ آل خزر اعتنق جدّهم خزر الإسلام على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فكان أولاده من بعده شيعة لبني مروان القائمين بدعوة عثمان (مجهول، **كتاب مفاخر البربر**، تحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1960، ص 131) .

(3) و أكثـــر الـــتهم و المطاعن التي جرت إلى قتل عثمان أمير المؤمنين و فتح باب الفتنة بين المسلمين ذكرها الشيعة ، و قد كبّروا الـــصغير و فخّموا الحقير و نفخوا في الكير ، و عنهم نقل المؤرخون كلّ ما هبّ و دبّ دون تنقية و دون نقد و تحقيق ، و لم يميّزوا الصدق من التلفيق و الباطل من الحق و الغث من السمين (إحسان إلهي ظهير، **الشيعة و التشيع**، دار الإمام المجدد للنشر و التوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005، ص63) .

(4) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 127 .

(5) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 460 .

(6) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 276 .

من أهل تيهرت على ذلك ، و عملـــوا على الإيقاع بعاملها من قبل الشيعي و هو داوس بن صولات اللهيصي الذي تفطن للمؤامرة و أحبطها بفضل مساعدة أهل تيهرت له (1) .

و في سنة 299 هــ / 911 م أعاد محمد بن خزر الهجوم على تيهرت و استولى عليها ، و لكنّ عبيد الله المهــدي أرسل جيشا كبيرا إلى المدينة نجح في استعـــادتها ، و قتل رجـــالها و سبى نســـاءها و ذراريها ، و بلغ عدد القتلى ثمانية آلاف (2) .

و تعتبر ثورة أبو خزر سنة 358 هــ / 968 م في عهد المعز لدين الله من أكبر و أخطر الثورات الـــزناتية ضد الفاطميين ، حيث اجتمع إليه جموع عظيمة من البربر ، فخرج المعز إليه بنفسه يريد قتاله حـــتى بلغ مدينة باغاية (3) ، وكان أبو خرز قريباً منها وهو يقاتل نائب المعز عليها ، فلما سمع أبو خزر بقرب المعز تفرّقت عنه جموعه ، وسار المعز في طلبه ، فسلك الأوعار ثمّ خفي أثره ، فعاد المعز و وصل إلى مـــستقره بالمنـــصورية (4) ، فلمـــا كان ربيع الآخر 359 هــ / فبراير 970 م وصل أبو خزر الخارجـــي إلى المعز مستأمناً ويطلب الدخول في طاعته ، فقبل منه المعز لدين الله ذلك وفرح به وأجرى عليه رزقا كثيرا (5) .

إنّ الحروب التي شنتها زناتة على الفاطميين كانت في مجموعها نتيجة عاملين ، أحدهما يمثّل صراع الخـــوارج الإباضية مع الفاطميين ، و ذلك على اعتبـــار أنّ كثيرا من الزناتيين على المذهب الإباضي ، و بالـــتالي فـــإنّ حروبهم كانت بدافع الإنتقام لما نال الخوارج الإباضية من القتل و التشريد على أيدي الفاطميين طيلة عهدهم بالمغـــرب ، أمّا العامل الثـــاني فيمثّل نوعـــا من الصراع بين أمويي الأنـــدلس و الفاطمـــيين ، و الـــذي تركز خاصة في المغربين الأوسط و الأقصى ، لأنّ الأمويين كثيرا ما شجعوا الزناتيين و حرّضوهم على الوقوف في وجه الفاطميين و أمدّوهم بالعون المالي و الأدبي (6) .

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 155 .

(2) نفسه، ج1، ص 165 .

(3) باغـــاية : مدينة في بـــلاد المغرب عليها ســـوران من حجر و ربض عليه سور و كانت الأســـواق فيه ثمّ أصبحت الأســـواق في المديـــنة ، و الأربـــاض خالية بعد أن أفسدها الأعراب ، و باغاية أول بلاد التمر (الشريف الإدريسي، **نـــزهـــة المشتـــاق في إختـــراق الآفـــاق**، عـــالم الكتب، بـــيروت، الطبعـــة الأولى، 1989، ج1، ص 276) .

(4) المنصورية : و تعرف أيضا بصبرة ، وهي بلد قريب من القيروان ، بنـــاها إسماعيل بن القائم العبيدي سنة 337 هــ / 948 م و استوطنها ، ثم هجرها الناس فخربت (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 391) .

(5) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 214 .

(6) محمد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص 181 .

3 – سياسة الفاطميين المذهبية و مواقف علماء المالكية منها :

لقـــد كان لعلماء المالكية السنة صولات و جولات ضد المذاهب العقائدية و الفقهية التي وصلت بلاد المغرب قبل قيام الدولة الفاطمية ، و أهمّ هذه المذاهب العقائدية مذهب المعتزلة (1) ، حيث وصلت فتـــنة القـــول بخلق القرآن إلى المنطقة ، فحاربها العلمـــاء محاربـــة شديدة ، و وقفوا ضـــد القائلين بها مـــوقفا صـــارما ، فمثلا نجدهم قد امتنعوا عن الصلاة على من عُرف بالإعتزال ، و كان علماء المغرب مجمعين على ذلك (2) .

و إذا كـــان الصراع في مجال العقائد دائرا بين السنة و المعتزلة فإنّه في مجال الأحكام كان دائرا بين المالكـــية و الأحـــناف (3) ، و كان الصراع سجالا في أيام الدولة الأغلبية ، فقد شُرّد أهل الأهواء من المسجد الجامع في القـــيروان ، و كانت فيه حلقـــا للإباضية (4) و الصفرية (5) ، و الذي تولّى تشريدهم القاضي سحنون (6) .

(1) المعتزلـــة : و يسمون أنفسهم أهل العدل و التوحيد ، نشأ المعتزلـــة في البصرة في القرن الثاني الهجري على يد واصل بن عطاء و كـــان تلميذا للحسن البصري ، و لهم أصـــول خمسة يتفقون حولها و هي : العـــدل و التوحيد و الوعـــد و الوعيد و المنزلة بين المنزلـــتين و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و هم فـــرق كثيرة منهم الواصلية و الهذيلية و النظّامية و الجاحظية (الشهرستاني، الملل و النحل، ج1، ص 43 . د.جيمارات، دائرة المعارف الإسلامية، ج30، ص 9384) .

(2) إبـــراهيم التهامي، **جهـــود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ص 45 .

(3) نـــسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان ، أحد الأئمة الأعلام و أصحاب المذاهب السنية الأربعة المشهورة ، ولد رحمه الله في الكوفة ســـنة 80 هــ/699 م ، و كان عالما زاهدا عابدا ، و كان إماما في القياس و إمـــام أهل الرأي ، توفي أبو حنيفة سنة 150 هــ/767م (ابـــن خلكّـــان، وفيات الأعيان، ج5، ص 135 . ابن كثير، **البـــداية و النهـــاية**، مكتبة المعارف، بيروت، ج10، ص 107 . أبو بكر جابر الجزائري، **العلـــم و العلمـــاء**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 275) .

(4) الإباضية : أصحاب عبد الله بن إبـــاض الذي خـــرج أيام مروان بن محمد ، قـــال إنّ مخالفينا من أهل القبلة كفّار غير مشركين و مناكحتهم جائزة و موارثتهم حلال و غنيمة أموالهم عند الحرب حلال و ما سواه حرام ، و قد تمكنوا من تأسيس الدولة الرستمية في المغرب الأوسط (الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 134) .

(5) الصفرية : إحدى فرق الخوارج ، أتباع زيـــاد بن الأصفر – و ذكرت أقوال أخرى لأسماء أشخاص آخرين تنسب إليهم هذه الفـــرقة – يقولون إنّ أصحاب الذنوب مشركون ، و لا يرون قتل أطفال مخالفيهم و نسائهم ، و إنّ الذنوب التي فيها حدّ لا تكفّر صاحبها ، أمّا الذنب الذي ليس فيه حدّ كترك الصلاة و الصوم فهو كفر (الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق، ص 90) .

(6) القاضي سحنون : الإمام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي ، من شيوخ إفريقية المالكية ، ولد سنة 160 هــ / 776 م ، اجتمعت فيه خلال كثيرة كالفقه البارع و الورع الصادق ، ولي القضاء سنة 234 هــ / 848 م دون أجر ، توفي الإمام سحنون سنة 240 هــ / 854 م (أبو العرب أحمد بن تميم، **طبقات علماء إفريقية و تونس**، تحقيق علي الشابي و نعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الثانية، 1985، ص 184) .

و عندما ولي القضاء الحنفي ابن عبدون لإبراهيم بن الأغلب عمل على إضطهاد المالكية [1] ، و ممّن امـــتحن على يديه أحمد بن متعب الذي ضرب ضربا شديدا [2] ، و أمّا إبراهيم بن الدمنى و أبو القاسم مولى مهرية و أحمد بن عبدون العطار فكان مصيرهم القتل [3] ، و كان حمديس القطان من كبار علماء المالكية لا يصلّي وراء ابن عبدون ، فقد حضر معه فأوتي بجنازة فصلّى عليها و صلّى وراءه ابن عبدون ، ثمّ أوتي بأخـــرى فصلّى عليها القاضي ابن عبدون فلم يصلّ وراءه حمديس ، و عندما عُزل ابن عبدون اجـــتمع الـــناس للشهادة عليه إلا حمديس القطان و كان من أشدّ الناس بغضا له ، فقال له الناس :" ما مـــنعك مـــن الشهادة عليه"، فقال: " إنّما كنتم تطلبون عزله و قد عزل" [4] ، و من شدّة تسلّط ابن عـــبدون على المالكية فإنّ إبراهيم بن الأغلب عندما عرض القضاء على عيسى بن مسكين بن منصور ، رأى منه ترددا فقال له :" إن لم تل لأولينّ ابن عبدون يظهر البدعة و يهين السنة" [5].

و بقيام الدولة الفاطمية سنة 297 هـــ / 909 م يتغير الصراع و يعنف كما لم يعنف من قبل ، و تـــشتدّ المحـــنة على أهل إفريقية المالكية ، فالعنصر الذي جدّ في مناهضتهم كان قويا ، فبني عبيد إلى جانب كرههم لأهل السنة كانوا حاكمين و عملوا على نشر مذهبهم ، لذلك كان على بلاد المغرب أن تـــواجه هذه الدعوة التي سوف لا تترك وسيلة للنفاذ إلا استنفذتها ، و على أهلها إذا أرادوا التمسك بمالكيتهم أن يلاقوا التنكيل و الترويع و القتل [6] .

و حـــاول أبـــو عبد الله الشيعي في أول أمره أن يقنع العلماء بمذهبه و يناظرهم عليه ، و في هذا الإطار فقد تناظر الشيعي مع أبي عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني ، فقال له :" القـــرآن يقرّ بأنّ محمدا ليس بخاتم النبيين" ، فقال له سعيد : أين ذلك ؟ فقال له:" في قوله تعالى : ﴿ **وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** [7] ، فخاتم النبيين غير رسول الله" ، فقال سعيد : "هذه الواو ليست من واوات الإبتداء إنّمـــا هي

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات و المؤلفين التونسيين**، مراجعة و إكمال محمد العروسي المطوي و بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990، ج1، ص 911 .

(2) القاضـــي عـــياض ، **ترتيب المـــدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعـــلام مذهب مالك**، تحقيق د/أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1968، ج3، ص 230 .

(3) نفسه، ج3، ص 233 .

(4) نفسه، ج3، ص 256 .

(5) نفسه، ج3، ص 215 .

(6) أبو العرب تميم، الطبقات، مقدمة المحقق، ص 17 .

(7) سورة الأحزاب، الآية 40 .

من واوات العطف ، كقوله تعالى ﴿ وَهوَ الأَوّلُ وَالآخرُ وَالظَاهرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بكُلِّ شَيءٍ عَلِيم ﴾ (1) ، فهل من أحد غـــير الله يوصف بهذه الصفات" ، و تكلّم عنده يوما ، فغضب من كلامه رجل من كتامة يعرف بأبي موسى شيخ المشايخ ، و قام إليه بالرمح ، فمنعه أبو عبد الله من ذلك ، ثمّ عطف إلى أبي عثمان فقال له :" يـــا شيخ لا تغضب ، إذا غضب هذا الشيخ غضب لغضبه اثنا عشر ألف سيف" (2) ، و اشتهر سعيد بن محمد بمناظراته و ثباته على الحق ، لذلك علا شأنه بين الناس ، أمّا صاحبه أبو بكر بن القمودي الذي كان عارفا بأصـــول المناظرات فلم يدخل في قلوب القوم و لم تكن له المهابة و الإجلال التي كانت لأبي عثمان ، و سبب ذلك أنّه تناظر مع أبي العباس الداعي مناظرة أفحمه فيها ، فجعل أبو عبد الله الشيعي يحـــرّك لـــه أصبعه و يقول له :" إنّك لتظهر لأهل البيت ما أرى منك من البغضاء و تنصب في توهين أمرك ما أسمع من حجاجك " ، فاضطر الرجل إلى الإعتذار و خاف سفك الدم (3) .

و لّمـــا خرج أبو عبد الله الشيعي في طلب عبيد الله استخلف أخاه أبا العباس ، فأطلق يد محمد بن عمر المرودي ، فتصلّب و تكبّر و كانت أيامه صعبة جدّا ، و أخاف أهل السنة و ترك أكثرهم الصلاة في المساجد ، و أخذ أموال الأحباس و الحصون ، و أخذ سلاح الحصون التي على البحر ، و أمر الفقهاء أن لا يفتوا و لا يكتبوا وثيقة إلا من تشرّق (4) و أن يُزال من الحصون و المساجد اسم الذي بناها و أمر بها من السلاطين و يكتب اسم المهدي (5) .

و قد كـــان العلماء من أوائل ضحايا الإنتصار الشيعي الإسماعيلي في إفريقية و بلاد المغرب ، فقد قـــتل أبـــو العباس الشيعي عالمين فاضلين هما ابن البردون و ابن هذيل ، و طيف بهما مربوطين إلى بغل مسحوبين على وجههما في القيروان ثمّ صلبا (6) .

و لّما دخل عبيد الله إفريقية و ملكها أحدث ما لم يعهده السكان السنة ، و من ذلك أنّه قطع صلاة التراويح في رمضان و أمر بصيام يومين قبله ، و قنت في صلاة الجمعة قبل الركوع ، و جهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة ، و أسقط من آذان الصبح " الصـــلاة خير من النوم " و زاد "حي على خير العمـــل

(1) سورة الحديد، الآية 3 .

(2) أبو بكر المالكي، **ريـــاض النفـــوس في طبقـــات علمـــاء القيروان و إفريقية** ، تحقيق بشير البكوش و محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1994، ج2، ص 72 .

(3) محمد بن حارث الخشني، **طبقـــات علمـــاء إفـــريقية**، نشر محمد بن أبي شنب، طبعة باريس، 1915، ص 214 .

(4) قـــــال القاضي النعمان : " و اشتهر أمـــر أبي عبد الله ببلد كتامة و سمّي المشرقي لقدومه من المشرق ، ثمّ نسب إليه كل من بايعـــه و دخل في دعوته و سمّـــوا المشـــارقـــة " (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 79) .

(5) المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 55 .

(6) نفسه، ج2، ص 48 .

ومحمد و علي خير البشر" ، ثمّ يقول المــؤذن :" أحيـــاك الله يا مولانـــا حافظ نظـــام الدنيا و الدين و جـــامع شمل الإسلام و المسلمين و أعزّ بسلطانك جانب الموحدين و أبـــاد بسيوفك كافة الملحدين و صلى الله عليك و على آبائك الطاهرين و أبنائك الأكرمين صـــلاة دائمة إلى يوم الدين و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العـــالمين" (1) .

و فعل أكثر من ذلك فقد جـــاهر بسب أصحـــاب النبيّ و أزواجـــه الطاهرين و حكم بكفرهم و ارتـــدادهم عن الإسلام و لم يستثن إلا عليّا و قليلا ممن أيّده و ناصره (2) ، و نصّب حسينا السبّاب لعـــنه الله تعـــالى في الأسواق للسبّ بأسجاع لقّنها يوصل منها إلى سبّ النبي صلى الله عليه و سلم ، كقوله : " العنوا الغـــار و ما وعى و الكساء و ما حـــوى " ، و غير ذلك ، و علّقت رؤوس الأكباش و الحمر على الحوانيت عليها قراطيس معلقة فيها أسماء الصحابة رضي الله عنهم (3) .

و هـــذا ما دفع علماء بلاد المغرب إلى إعلان معارضتهم الصريحة للعبيديين و التي أخذت أشكالا مختلفة ، و كـــان أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمـــان على رأس المعارضين ، حيث ترك رباطه و أتى القيروان ليسكنها ، فسُأل عن سبب ذلك ، فقال : "كنّا نحـــرس عدوا بينه و بينه البحر فتركناه و أقبلـــنا على حراسة هذا الذي حلّ بساحتنا ، لأنّه أشدّ علينا من الروم " ، و لم يكن في وقته أكثر منه اجـــتهادا مـــنه في مجاهدة عبيد الله و شيعته ، و كان لا يداري أحدا في ذلك (4) ، و عندما حضر أول خطبة لهم في جامع القيروان جلس عند المنبر فسمع خطبتهم ، فلمّا سمع ما لا يجوز سماعه قام و كشف عـــن رأسه حتى رآه الناس و مشى من المنبر إلى آخر باب في الجامع و الناس ينظرون إليه وهو يقول: " قطعوها قطعهم الله"، فمن حينئذ ترك العلماء حضور جمعهم و هو أول من نبّه من العلماء على ذلك(5) .

و إذا كان أبو يوسف قد سلّمه الله من الأذى ، فإنّ أبا محمد بن العباس بن الوليد المعروف بالهذلي فقـــد ضـــرب عريانا حتى سال الدم من رأسه ، ثمّ أُركب على حمار عريانا أيضا و طيف به في أسواق القيروان ، ثمّ حُبس و تُـــرك بعد ذلك ، و حدث لـــه هذا بعد وشـــاية مفادها أنّه يفتي بمذهب المالكية و يطعن على المهدي (6) ، و سُجن حكم بن محمد بن هشام القرّشي لصلابته في السنة و إنكـــاره على

(1) ابن حمـــاد، أخبار ملوك بني عبيد، ص 168 .

(2) ابن عذارى، البيان، ج 1 ، ص159 .

(3) القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 318 .

(4) المالكي، رياض النفوس، ج2، ص 37 .

(5) نفسه، ج2، ص 43 . القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 247 .

(6) المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 265 .

أهـــل البدع ، ثمّ هجر إفريقية و استقرّ في الأندلس (1) ، و كذلك فعل حباشة بن حسن اليحصبي الذي كان يحدّث في الأندلس أنّ السنة تعرض سرّا في القيروان (2) .

و لقي عروس المؤذن حتفه مقتولا بالرماح بأمر عبيد الله الشيعي سنة 307 هـــ / 919 م بعد أن قطـــع لـــسانه و طيف به في القيروان و لسانه بين عينيه ، و ذنبه أنّـــه لم يقل في آذانه حي على خير العمل(3) ، و أمّا أبو عبد الله محمد بن عبد الله السدري المجاهر بعداوة الشيعة المبايع على جهادهم ، فقد أرســـل عبيد الله الشيعي من يأتيه به إليه ، و لمّا أوقف بين يديه قال له عبيد الله:" أنت الشاتم لنا الذاكر عنّا أنا أحدثنا في الإسلام الحوادث" ، فقال له :" نعم أنا القائل بذلك "، فقال لـــه :" و ما الذي رأيته مـــنّا ؟ " ، فأخـــبره بكلّ ما يعتقده في الدين و الإسلام و كلّ ما أحدث فيهما ، فقال حينئذ عبيد الله لأوليائه :" اضربوا عنقه "، فقُتل رحمه الله سنة 309 هـــ / 921 م (4) .

و أمّا من لم يستطع المقاومة من العلماء فاختار الفرار بدينه ، و من هؤلاء يونس بن محمد الورداني الـــذي فـــضّل رعي البقر في البوادي بعيدا عن أعين الشيعة ، و ذلك حين طلبوا أهل العلم و الفضل ، فخـــاف على نفسه ، و كان هذا سببا لأن يكون مخمول الذكر عند علماء القيروان (5) ، و يبدو أنّ أبا جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي أحد أئمة المالكية بالمغرب قد اختار الفرار بدينه هو الآخر ، حيث نجـــده ينكر على معاصريه القيروانيين سكناهم في مملكة بني عبيد و بقاؤهم بين أظهرهم ، و أنّه كتب إلـــيهم مرّة بذلك ، فأجابوه بأنّ بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام و بقية صالحة للإيمان ، و أنّه لو خرج من إفريقية لتشيّع من بقي فيها من العامة ، فرجّحوا خير الشرّين (6) .

و حامت حول بعض العلماء شبهة التعاطف مع بني عبيد ، و من هؤلاء أبو القاسم بن خلف بن أبي القاســـم الأسدي المعروف بالبرادعي ، حيث لم تحل له رئاسة في القيروان رغم أنّه كان من حفّاظ المـــذهب المالكي المؤلفين فيه ، و كان مبغضا عند أصحابه بسبب صحبة سلاطين الشيعة ، و يقال إنّ الفقهاء أفتوا برفض كتبه و ترك قراءتها لأنّه وُجد بخطّ يده في ذكر بعض العبيديين ، أو أنّه ألف كتابا في

(1) ابن الفرضي، **تـــاريخ علمـــاء الأنـــدلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1989، ج1، ص 222، ترجمة رقم 275 .

(2) نفسه، ج1، ص 236، ترجمة رقم 393 .

(3) المالكي، رياض النفوس، ج2، ص 152 .

(4) نفسه، ج2، ص 170 .

(5) نفسه، ج2، ص 45 .

(6) القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 709 .

تصحيح نسبهم و أنّهم كانت تأتيهم إمامة (1) .

و فضلّ بعض أهل العلم القيروانيين التشيّع طمعا في المناصب و طلبا للدنيا ، فأبو جعفر بن خيرون ألّف في نسب عبيد الله فرشّحه للقضاء ، و لكنّ القاضي محمد بن عمر المرودي سعى بابن خيرون هذا حـــتى قـــتل (2) ، و أمّا عبد الملك بن محمد الضبي فتشيّع لحبّه المال ، و كانت خطّة كتابة الوثائق تكفل ذلك ، و الشيعة لا يمنحونها إلا لمن تشيّع ، فنالها الضبي و صار ثرّيا بما التزمه من أخذ الدراهم في كتابة الوثائق (3) ، و نال علي بن المنصور منصب القضاء بعد تشيّعه هو الآخر(4) .

إنّ سياسة الإضطهاد التي اتبعها الفاطميون في إفريقية و بـــلاد المغـــرب لم تكن ضد السنة المالكية وحـــدهم ، بل شملت جميع المـــذاهب الأخرى لاسيما الخوارج الذين من أخصّ صفاهم الخروج على الحكـــام ، فهم لا يحتاجون إلى فتاوى كثيرة و تفكير عميق ليفعلوا ذلك ، و على النقيض منهم أهـــل السنة و الجماعة الذين يضيّقون هذا الباب كثيرا ، لذلك فإنّ الخوارج بعد أن استجمعوا قواهم و نظّموا أنفسهم لم يتأخروا في إعـــلان التمرّد ضد الـــدولة الفاطمية مستغلين وفاة عبيد الله المهدي ، و عرفت ثورهم هذه بثورة صاحب الحمار أبي يزيد مخلد بن كيداد الخـــارجي الزناتي ، و كان يغلب عليه الزهد و التقشف ولـــد و نشأ في قسطيلة (5) و خالط النكارية و هم من الصفرية ، و سافر إلى تاهرت حيث كـــان معلما للصبيان فيها ، خرج بناحية جبـــل أوراس و تلقب بشيخ المؤمنين ، و قاتله عساكر القائم بأمـــر الله العبـــيدي صـــاحب المغـــرب ، و عظم أمره ثمّ زحف على رقـــادة فامتلكها ثمّ خضعت له القيـــــروان ســـنة 333هـــ / 944 م و حاصر الخليفة العبيدي في المهدية ، و بعدها بدأت هزائمه تـــتوالى بانتقاض بعض البربر عليه ، فرجع إلى القـــيروان سنة 334هـــ / 945 م و غنم أهل المهدية معـــسكره ، و تـــوالت المعارك ، و مات القائم فتولى ابنه المنصور فأخفى موت أبـــيه و خـــرج من المهدية فالتقى بمخلد في سوسة (6) فكانت الحرب سجالا ، ثم انهزم مخلد و قتل من أصحابه عدد كبـــير،

(1) القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 710 .

(2) الخشني، طبقات علماء إفريقية، ص 175 .

(3) نفسه، ص 218 .

(4) نفسه، ص 217 .

(5) قـــسطيلية : في بلاد الجريد من أرض الزاب الكبيرة ، و هي مدينة كبيرة عليها سور حصين ، و بها تمر يجلب إلى إفريقية ، لكنّ ماءها غير طيّب و سعرها غال و أهلها شراة (خوارج) وهبيه و إباضية (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 348) .

(6) سوسة : مدينة بإفريقية طيبة على نحـــر البحر ، و لـــها سور حصين و ماؤها معين و بهـــا أعمال صالحة نبيلة ، و لها أســـواق حسنة و فنـــادق و حمـــامات ، و هي من القيـــروان على مرحلة (أبو القاسم بن حوقل النصيبي، **صـــورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، ص 74) .

و تعقبه المنصور إلى أن قبض عليه حيـّا بعد أن أثخنته الجــراح ، فجعل في قفص من حديد ، و حمل إلى المهدية ، ثمّ قتله الخليفة و صلبه و أمر بسلخه سنة 336 هـ/ 947 م [1] ، و يمكن القول إنّ هذه الثورة الخارجية لم تعرف الدولة الفاطمية أخطر منها ، حيث كادت تهدم أركانها و تقضي عليها .

و مـا يميّـز هـذه الـثورة الخارجية عن غيرها من الثورات مشاركة أهل السنة فيها ، فقد رأى فقهاء القيروان و صلحاؤهم أنّ الخروج مع أبي يزيد متعيّن لكفر بني عبيد ، و منهم أبو إسحاق السبائي مـن فقهاء القيروان و من أشدّ النـاس بغضا للشيعة ، فقد رُوي عنه أنّه كان إذا رقي أحدا يقـرأ في رقيته الفاتحة و المعوذتين كلّ سورة سبع مرّات ، ثمّ يقول في آخـر رقيته : "ببغضي بني عبيـد و ذويه و حبّي في نبيّك و أصحابه و أهل بيته" ، و كان يشير إلى أصحاب أبي يزيد و يقول :" هؤلاء من أهل القبلة ، فإن ظفرنا بهم – أي بالشيعة العبيديين – لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد ، و الله يسلّط عليه إماما عـادلا يخرجه عنّا "[2] ، و حكى أبو عبد الله المالكي فيمن خرج معه أبـو الفضل الممسي الذي كان يقـول : "إنّ الخـوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام و يورثون و يرثون ، و بنو عبيد ليسوا كذلك لأنّهم مجوس زال عنهم اسم الإسلام ، فلا يتوارث معهم و لا ينسب إليهم" [3] ، و ربيع بن سليمان القطان الذي جعل على نفسه أن لا يشبع من طعام حتى يقطع الله دولة بني عبيد ، و عندما عوتب في خروجه قال : "كيف لا أخرج و قد سمعت الكفر بأذني ، فمن ذلك أني حضرت يوما إشهادا فيه جمع كثير أهل سنة و مشارقة ، و كان بالقرب منّي أبو قضاعة الداعي ، فأتى إليه رجل مشرقي من أعظـم المشارقة ، فقام إليه رجل منهم و قال له : إلى ها هنا يا سيدي ارتفع إلى جانب رسـول الله ، يعـني أبا قضـاعة ، فكيف يسعني أن أتـرك القيـام عليهم" [4] ، و أبو العرب بن تميم الذي حسم الأمر عندما تناظر الناس حول شرعية الخروج ، فقال لهم : اسكتوا ، فسكت النـاس فقال :" حدثني عيـسى بـن مـسكين عن محمد بن عبد الله يرفعه إلى النبي صلى الله عليه و سلم أنّه قال :" **يكون في آخـر الزمان قوم يسمون الـرافضة ، فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفّـار**"[5] ، فلما تمّ الحديث

---

(1) ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد، ص171 و ما بعدها . ابن عذارى، البيان، ج 1، ص 216 و ما بعدها .
(2) المالكي، رياض النفوس، ج2، ص 469 . القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 376 .
(3) المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 298 .
(4) نفسه، ج2، ص 323 و ما بعدها .
(5) رُوي هـذا الحديث في كتب أهل الحديث ، و ممّن رواه مسندا و بألفاظ مختلفة الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني في كتابه السنة قال : باب في ذكر الرافضة أذّلهم الله ، و علّق على أسانيدها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مبينا ضعفها ، و في تخريج الحديث رقم 981 و نصّه كـاملا : حدّثنـا إسماعيل بن سالم حدثنا يونس بن محمد حدثنا عمران بن زيد عن الحجاج بن تميم =

كبّـــر النـــاس و ارتفعت أصـــواهم ثمّ خرجوا [1] ، و حتى أصحاب الأعذار أرادوا المشاركة في القتال و لو بشكل رمـــزي ، فأبو ميسرة الضرير مشى شاهرا السلاح في القيروان [2] .

ثمّ اجـــتمعوا و ركـــبـــوا بالسلاح التام و البنود و الطبول ، و أتوا حتى ركّزوا بنـــودهم قبالة الجامع و كانت سبعة بنود ، و حضرت صلاة الجمعة فخطب خطيبهم أحمد بن أبي الوليد خطبة بليغة ، و حـــرّض الناس على الجهاد و سبّ بني عبيد و أعلم الناس بالخروج من غدهم ، فخرج الناس مع أبي يزيد لجهادهم ، و حصروهم في المهدية ، فلما رأى أبو يزيد ذلك و لم يشك في غلبته أظهر ما أكنّه من الخارجية ، فقال لأصحابه :" إذا لقيتم القوم فانكشفوا عن علماء القيروان حتى يتمكن أعداؤهم منهم" ، فقتلوا منهم من أراد الله سعادته و رزقه الشهادة ، فمنهم الممسي و ربيع القطان في خمسة و ثلاثين من الفقهاء و الصالحين ، و ذلك في رجب سنة 333 هـ / 944 م ، ففـــارق الناس أبا يزيد الخارجي و أظهروا السنة و حلّقوا بالجامع [3] ، و قـــالوا : "قتل أوليـــاء الله شهداء " ، و اشتـــدّ بغضهم له [4] ، و كانت هذه إحدى أهم الأسباب التي أدّت إلى هزيمة أبي يزيد و قتله ، و كما هو متوقع لم يستتبع هذه الثورة إلا المزيد من العداء بين الفاطميين و العلماء [5] .

لقد بذل علماء المالكية السنة جهودا كبيرة للدفاع عن عقيدهم أمام المدّ الشيعي الإسماعيلي الذي اجتاح المنطقة ، و وقفوا له بالمرصاد و ستستمر مقاومتهم للشيعة الفاطميين ما بقيت رايتهم تعلو في سماء بلاد المغرب و إفريقية .

= عـــن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله يقول : " **يكون في آخـــر الزمـــان قوم ينبزون الرافضة يرفضون الإســـلام و يلفظونه فاقتلوهم فإنّهم مشركون** " . قال الألباني : و الحديث أخرجه أبو يعلى من طريق أخرى عن عمران بن زيد بـــه ، و قـــال الهيثمي رواه أبو يعلى و البزار و الطبراني ، و رجاله وثقوا و في بعضهم خلاف ، ثمّ ساقه بلفظ آخر عنه : " **يا علي سيكون قـــوم في أمتي ينتحلون حبّ أهل البيت ، لهم نبز يسمون الرافضة ، قاتلوهم فإنهم مشركون** " ، و قـــال : رواه الطبراني و إسناده حسن (أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحّاك بن مخلد الشيباني، **كتـــاب السنـــة**، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993، ص460) .

(1) المالكي، رياض النفوس، ج2، ص 309 .

(2) القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 317 .

(3) نفسه، ج3، ص 318 . و حول مشاركة علماء السنة المالكية في ثورة صاحب الحمار أنظر أيضا : المالكي، المصدر السابق، ج 2، ص 340 و ما بعدها .

(4) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 218 .

(5) محمـــد محمود عبد الله بن بية، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، دار الأندلس الخضراء، جدّة، الطبعة الأولى، 2000، ص28 .

ثانيا : العلاقات الفاطمية الصنهاجية قبل رحيل المعز لدين الله إلى مصر :

1 – تعريف صنهاجة :

صـــنهاجة قبيلة بربرية كبيرة ، اختلف النسّابون في أصلها ، فقد نسبها ابن أبي الزرع إلى صنهاج من ولد عبد شمس بن وائل من حمير ، و قيل هي فخذ من هوارة و هوارة فخذ من حمير [1] ، و إلى هذا الـــرأي مـــال ابن أبي دينار [2] ، و كذلك النويري ناسبا قوله إلى ابن شداد بن الأمير تميم ابن المعز بن بـــاديس [3] ، و ذكر ابن خلدون أولا القول بأنّ صنهاجة من أصل عربي [4] ، ثمّ قال في موضع آخر إنّ ابن الكلبي و الطبري ذكرا ذلك ، و أردف قائلا :"و بعض النسّابة يزعم أنّ صنهاج بن المثنى بن المنصور بـــن المصباح بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير و ليس كما ذُكر و الله أعلم" [5] ، و يظهر أنّ ابن خلدون يؤيد القول بأنّ صنهاجة ليست من أصل عربي و ذلك في قوله :" و أمّا المحققّون من نسّابة البربر يقولـــون هو صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن كيمتا بن سدر بن مولان بن يصلين بن يبرس بن مكسيلة بن دهيوص بن حلحال بن نسروين بن مصرايم بن حام" [6] ، أما ابن حـــزم فقد أنكر أنّهم من حمير ، و قـــــال: "إن هـــذا باطل لاشك فيه ، فما كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في أكاذيب مؤرخي الـــيمن" [7] ، و أمّا صاحب مفـــاخر البربر بعد أن نقل عن الطبري أنّ صنهاجة يرتفع نسبها إلى يعرب بن قحطان قال :" و أنكر غيره من أهل العلم بالأنســـاب اتصال نسب صنهاج بحمير و الله أعلم" [8] .

و هـــم أوفر قبائل البربر فلا يكاد قطر من المغرب يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط [9] ، وعدد قبائل صنهاجة تصل إلى سبعين قبيلة ، و في كل قبيلة بطون و أفخاذ [10] ، و مواطنها بالتحديد

(1) ابـــن أبي الـــــزرع، **الأنيـــس المطـــرب بروض القرطـــاس في أخبـــار ملـــوك المغرب و تاريخ مدينـــة فـــاس**، طبعـــة أبسالـــة، 1843، ص75 .

(2) ابن أبي دينار، **المـــؤنس في أخبـــار إفريقية و تـــونس**، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993، ص93 .

(3) أحمـــد بن عبد الوهاب النويري، **نهـــايـــة الأرب في فنـــون الأدب** ، تحقيق عبد المجيد ترحيي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004 ، ج24، ص 88 .

(4) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 301 .

(5) نفسه، ج6، ص 309 .

(6) نفسه، ج6، ص 310 .

(7) أبو محمد علي بن حـــزم الأندلسي، **جمهـــرة أنســـاب العـــرب**، دار الكتب العلمية، بـــيروت، الطبعـــة الأولى، 1983 ، ص 495 .

(8) مجهول، مفاخر البربر، ص 191 .

(9) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص309 .

(10) ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص75 .

إلى غـــرب كتامة في المنطقة الجبلية الممتدة من جنوب بجاية إلى مدينة الجزائر ، و يسمّي الفرنسيون هذه المـــنطقة القـــبائل الكبرى ، كما سكنت بعض فروعها جبل قلعة بني حمّاد ، و إلى جانب بلاد الجزائر حاليا استوطنت جماعـــة كبيرة من صنهاجة جبـــال درن الشرقية (الأطلس الوسطى) في بـــلاد المغرب الأقصى [1] .

وكـــــان الملـــك فـــيهم في طبقتين ، مسوفة و لمتونة من الملثمين ملوك المغرب الأقصى المسمّون بالمـــرابطين [2] ، و أمّا صنهاجة الذين ملكوا في إفريقية و المغـــرب الأوسط فهم تلكاتة ، و عرّفهم ابن خلـــدون بأنّهم بنو تلكات بن كرت بن صنهاج الأكبر[3] .

و إذا رجعنا إلى المصادر التاريخية فإننّا نقف أمام رواية النويري التي تروي ابتداء أمر بني زيري أهمّ ممثلي قبيلة صنهاجة ، و كيف انتقلوا من الجزيرة العربية إلى شمـــال إفريقيا ، و نصّ الرواية كما يلي : " إنّ أول من دخل منهم بلاد المغرب المثنى بن المسور، وكان سبب دخوله أنه لّما رأى الحبشة قد غلبت على اليمن وأخرجت حمير عن ملكها ، سار إلى الشّحر فوجد به كاهن من حمير، فلما رأى المثنى سلّم علـــيه وســـأله عن خبره وما الذي أتى به ، فأعلمه أنّ الحبشة غلبتهم على ملكهم ، فقال له الكاهن: اذهـــب إلى المغـــرب واتخذه قراراً ، فوالله ليكوننّ لولدك فيه شأن ، وليملكنّ منهم جماعة ويتوارثونه ، ويطول ملكهم ، فهاج ذلك المثنى على دخول المغرب فدخله وأعلم المثنى بنيه بذلك وأعلم بنوه بنيهم ، فما زالوا يتوقعون الملك إلى أن ولد مناد بن منقوش ونشأ ، فجاء شديد القوة كثير المال والبنين ، فأخذ في الإفضال على من يمرّ به ، فاشتهر ذكره وشاع خبره في الناس ، وكان له مسجد يطرقه كلّ من يأتي إليه ، فإذا خرج إلى الصلاة سلّم على من يترل المسجد من الأضياف وحمله إلى داره ، ويضيفه ويكرمه ، ويقيم عنده ما شاء الله أن يقيم ، فإذا أراد الانصراف زوّده وكساه ووصله وصرفه ، فإنّه على ذلك إذ أتـــاه آت فقال له : إنّ في المسجد رجلاً وصل في هذه الساعة ، وهو يذكر أنّه جاء من الحج ، وكان وقت صلاة الظهر فخرج مناد إلى المسجد فصلّى وسلّم على الرجل ، وسأله عن حاله ومن يكون ومن أين أقبل فقال إنّه من أهل المغرب ، و إنّه انصـــرف من الحج فخرج عليه لصوص ، وأخذوا مـــا كان معه فانقطع عن أصحابه ، ووصل إلى إفريقية فسمع بمناد وما يفعل مع أبناء السبيل ، فقصده ليعينه على الوصـــول إلى أهلـــه ، فقال له مناد : قد وصلت فأبشر بالخير إن شاء الله ، و مضى به مناد إلى مترله ، فأكل ونام ، وأمر مناد بشاة فذبحت وعمل طعام ثان وأيقظ الرجل وأتي بالطعام فأكل منه ، ونظر إلى

(1) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج1، ص96 .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 309 .

(3) و كانت مواطنهم بالمسيلة إلى حمزة إلى الجزائر و المدية و مليانة (ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 312) .

كتف الشـــاة فأخذه وقلبه ونظر فيه و إلى مناد ، وأقبل يتعجب ، فقال لـــه مناد : لأي شيء تنظر في الكـــتف وتنظر إلي ؟ ، قال: لا لشيء ، فعزم مناد عليه أن يخبره ممّ تعجّبه ، فقال : ألك امرأة حامل؟، قال: بلى ، قال : فلك منها أولاد ؟ ، قال: لا ولكن من غيرها ، قال : فاعرضهم عليّ ، فعرضهم مناد عليه ، فقال: ألك غير هؤلاء ؟ ، قال : ليس لي ذكر إلا من رأيت ، قال : احتفظ بالمرأة الحامل ، فوالله لتلدنّ ولداً يملك المغرب جميعه ، ويملك بنوه من بعده ، فقال له مناد : والله ما زلنا نتوكّف زمان هذا القائم منّا ، رواية عندنا عن أســـلافنا ، وكنا لا نعلم من أي فخذ من أفخاذنا يكون ، والآن فقد أنبأتني بنـــبأ ما كنّا ننتظر من هذا القائم ، قال : وأكرم مناد الرجل وصرفه" [1]، و ذكر ابن خلدون عن بعض مؤرخـــي المغرب أنّ منـــاد بن منقوش هذا ملك جانبا من إفريقية و المغـــرب الأوسط مقيما لدعـــوة بني العباس و راجعا إلى أمر الأغالبة [2].

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 88 .
(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 312 .

2 – زيري بن مناد و عـــلاقته بالخلافة الفاطمية :

أ – إبتـــداء أمر زيري بن مناد :

استكمالا لرواية النويري الأخيرة فقد وُلد لمناد زيري فخرج من أجمل مولود رآه الناس ، وكذلك كـــان أولاده يـــضرب بجمالهم المثل في المغرب فيقال : " لو أنّك من بني مناد" ، فلما صار له من العمر عـــشر سنين ، كان من رآه يظنه أنّه ابن عشرين سنة لبهائه ، وكانت الصبيان يدورون حوله ويدعونه بالـــسلطان ، ويركبون العيدان يتشبهون بالعساكر ويأمرهم بالقتال بين يديه ، يغري بعضهم ببعض ، ويـــأتي بهـــم إلى أمّه فتصنع لهم الطعام ، فيقف على رؤوسهم ويطعمهم ولا يأكل ، فلما تكامل شبابه وقـــوي أمره ، جمع إليه جماعة من بني عمه ومن كان له نجدة ، فكان يشنّ بهم الغارات على القبائل من زناتة فيقتل ويسبي ويقسم على أصحابه فلا يؤثر نفسه بشيء ، فحسده كثير من قبائل صنهاجة لأنّ كلّ قبيل كان يطمع أن يكون القائم منهم ، فلما تحقّقوا أنّه القائم اجتمعت القبائل من صنهاجة على زيري وحاربوه ، وطالت الحرب بينهم فظفر بهم وقتل وسبي ورجع بالغنائم إلى الجبل(1)، فتكرّست زعامته ، فلمّـــا سمعت بذلك زناتة اجتمعوا وتحالفوا وكاتبوا من كان خلافه من صنهاجة وحالفوهم على حرب زيـــري ، فاتصل ذلك به فخرج إليهم وضرب على زناتة بأرض مغيلة في الليل وهم مطمئنون ، فقتلهم وســـباهم ، وقطع منهم رؤوساً كثيرة (2) ، و عندما تسامع الناس بـــها وفد إليه كل من رأى في نفسه قدرة على القتال (3) ، و هذا ما أسهم في لفت نظر الخلافة الفاطمية إليه على عهد القائم .

و قـــد اجتمعت في صنهاجة صفات على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للفاطميين جعلتهم يولونها أهمـــية كـــبيرة ، في مقدمتها عداوتها لزناتة و ولايتها لآل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (4) ، وقوتها العسكرية المتنامية في المغرب الأوسط ، و موقعها الجغـــرافي الممتاز ، و استقرارها في منـــاطق الـــزراعة و تأسيسها لمـــدن كثيرة (5) ، كلّ ذلك أهّلها لأن تصبح في مقـــدمة إهتمامات الخليفة الفاطمي ليجعل

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 89 .

(2) نفسه، ج24، ص 100 .

(3) جعل غولفان زيري بن مناد مرتزقا قائلا إنّه أسّس ميليشيا عسكرية ، وكان على استعداد لأن يضع سيفه في خدمة من يدفع لـــه الأجر ، أنظر :

L. Golvin, **Le Magrib central à l'époque des zirides "recherche d'archéologie et d'histoire",** arts et métiers graphiques, Paris, p28 .

(4) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 311 .

(5) عز الدين أحمد موسى، **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1982، ص 72 .

منها الحليف الجديد و البديل المرتقب لقبيلة كتامة التي بدأت تظهر عليها مظاهر الضعف و عدم قدرتها على مجاراة الأحداث التي تشهدها المنطقة لاسيما الحرب ضد زناتة .

و اتخذت صنهاجة تحت قيادة زيري شكل الجماعة المنظمة خاصة بعد بناء مدينة أشير سنة 324 هــ / 935 م (1) ، التي مع مرور الوقت كانت تزداد تحضرا ، و لم يكن الناس إذ ذاك يتعاملون بالذهب والفضة وإنما بالبعير والبقرة والشاة ، فضرب زيري السكة و بسط العطاء في الجند وجعل لهم الأرزاق ، فكثرت الدنانير والدراهم في أيدي الناس ، واطمأنت نفوس أهل البادية للحرث والزراعة (2) ، و لا بأس أن يكـــون ذلـــك قـــد تمّ بموافقة الفاطميين ، حيث أن سك النقود يعتبر من شعارات السيادة ، فكان بـــنـــاؤها يعتبر بمثابة تأسيس لكيـــان صنهاجي خـــاص له سمـــة ما يعرف بالحكم الذاتي ، و إن لم يرق إلى مستوى الدولة التامة النمو التي تستطيع أن تدافع عن حدودها و أن تكون لها علاقاتها الخارجية الخاصة بها (3) ، و لذلك نجد ابن خلكان يصف زيري بن مناد بأنّه أول ملك من صنهاجة (4) .

---

(1) و كان زيري قبل ذلك يسكن الجبال ، وبعد أن تسيـّـد قومه بعد نجاحاته في حرب زناتة ، ضاق عليه و على أصحابه مكانهم فخرج يبحث عن موضع ينزل فيه ، فرأى موضع أشير ، و كان خاليا ليس به أحد على كثرة عيونه و سعة فضائه و حسن منظره ، فجاء بالبنّائين من المدن التي حوله و هي المسيلة و طبنة و غيرهما ، و شرع في بناء المدينة سنة 324 هــ / 935 م ، فقصدها الناس من تلك النواحي فصارت مدينة مشهورة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 202) .

و يقـــع موقعها حاليا على المنحدر الجنوبي الشرقي من جبال التيطري عند الكاف لخضر دائرة عين بوسيف ولاية المدية (موسى هيصام، **أشـــير عاصمة الـــزيريين الأولى**، مجلـــة الثقافـــة، عدد 12، جوان 2007، تصدرها وزارة الثقافة، الجزائر، ص 84) .

و قـــد أسعد بناء أشير الفاطميين ، فقد نقل النويري أنّ زناتة قد استطالت على أهل تلك الناحية من أيام بني الأغلب ثم تزايد ضررهم في أيام المهدي والقائم ، فلما سمع القائم ببناء زيري هذه المدينة ، حمد الله على ذلك وقال : مجاورة العرب خير لنا من مجاورة البربر (النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 90) .

و قال محمد بن يوسف إنّ الذي بنى أشير زيري ، و الدليل على ذلك ما أنشده عبد الملك بن عيشون :

يا أيها السائل عن غربنا *** و عن محـــل الكفر أشير

عن دار فسق ظالم أهلها *** قد شيدت للإفك و الزور

أسّسها الملعون زيريهـــا *** فلعنـــة الله على زيـــري (أبو عبيد البكري، المغرب، ص 60) .

(2) النويري، المصدر السابق، ج24، ص 91 .

(3) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3، ص 294 .

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص343 .

ب – خدمات زيري بن مناد للخلافة الفاطمية :

لقـــد أحـــسن الفاطميون عندما تمكنوا من ضمان ولاء صنهاجة لهم ، و ظهرت أهمية هذه القبيلة بـــشكل خاص عندما اضطربت أحوال إفريقية و بلاد المغرب أثناء ثورة الخوارج ، فقد كان لزيري بن مناد الزعيم الصنهاجي دور مهم في تمكن الدولة الفاطمية من القضاء على ثورة أبي يزيد ، فعند حصار المهديـــة يبدأ زيري بن مناد في تقديم أولى خدماته للفاطميين ، حيث حاول فك الحصار المضروب على المدينة [1] ، و يبدو أنّ جهوده الأولية قد أثمرت هدفا مهما ، إذ تمكنت من النجـــاح في الحدّ من شدّته ، و كـــان الخليفة القائم قد كتب إليه يعلمه ما الناس فيه من الجهد والغلاء ، فبعث إليه زيري بألف حمل حـــنطة ، وأخـــرج معها مائتي فارس من صنهاجة وخمسمائة من عبيده ، فلما وصل ذلك إلى المهدية ، بعـــث القائم له هدية لم يسمع بمثلها ،كسي جليلة وخيل مسومة بسروج محلاة ، و كان هذا سببا في اتصال المودّة بين زيري والقائم بأمر الله [2] .

و بوفاة القائم و تولّي المنصور تمكن الفاطميون من استعادة المبادرة العسكرية تدريجيا ، فقد تمكنوا من دخول القـــيروان سنة 334 هـــ/945 م ، و كاتب المنصـــور زيري بن مناد و ماكسن بن سعد و بعث إليهما أمـــوالا جمّة و ثيـــابا جميلة ، و من الذهب و العين و التحف ما استمـــال به النفـــوس و استلان به القلوب ، فأجاباه و حشدا الجمّ الغفير من صنهاجة و عجيسة ، و وصلا إليه بكلّ ما قدرا علـــيه [3] ، و يزداد كرم المنصور تجاه زيري ، و الأكيد أنّ مردّ ذلك هو تلك المجهـــودات الكبيرة التي يـــبذلها الأميـــر الصنهاجي و إخلاصه للفاطميين ، فعندما نزل المنصور في مكان يعرف بحائط حمزة [4] وصل إليه زيري في عساكر صنهاجة ، فوصله و فضّله و خلع عليه ثيابا كثيرة من لباسه ، و أعطاه من الطيب و الطرائف الملوكية ما لا يحيـــط به الوصف و لا يعمّه الحصر ، و حمله و حمل أولاده و أخواته و بـــني عمّـــه و وجوه أصحابه على الخيل العتاق بالسرج و اللجم المحلاة بالذهب و الفضة ، و أفاض عليهم و على كافة صنهاجة الواصلين معه الأموال إفاضة ، و استخلص بذلك عيوهم ، فصفت نيّـــاهم و خلصت طوياهم ، و حسنت فيه معتقداهم [5] ، و ذكر ابن الأثير أنّ زيري طارد أبا يزيد و أدركه ثمّ

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 192 .

(2) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 91 .

(3) ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص 184 .

(4) حـــائط حمـــزة : يعرف اليوم ببرج حمزة ، و يقع بين البيبان و سور الغزلان (ابن حماد، المصدر السابق، ص 270، هامش 81) .

(5) نفسه، ص 186 .

طعـــنه ، لكنّ أصحابه تمكنوا من تخليصه بعد أن قتل منهم المنصور نحو عشرة آلاف رجل [1] ، و واصل الخلــيفة الفاطمي و حلفاؤه و في مقدمتهم زيري مطاردة الخارجي إلى أن ألقي عليه القبض و قتل سنة 336 هـــ / 947 م .

و لم تنـــته ثـــورة الخـــوارج بمقـــتل صاحب الحمار ، حيث واصل ابنه فضل بن أبي يزيد حرب الفاطميين بالتحالف مع معبد بن خزر أحد أبرز زعماء زناتة ، فبعث المنصور إليهما عساكره مع موليه شـــفيع و قيصر و معهما زيري بن مناد في صنهاجة ، فانهزم فضل و معبد و افترق جمعهم ، ثمّ انتفض حميد بن يصل عامل المغرب و انحرف عن دعوة الشيعة و دعا للأموية ، و زحف إلى تاهرت فحاصرها فـــنهض إليه المنصور سنة 336 هـــ/ 947 م ، و جاء إلى سوق حمزة [2] فأقام بها و حشد زيري بن مـــناد في جمـــوع صنهاجة من كل ناحية ، و رحل مع المنصور فأفرج حميد عن تاهرت ، و عقد عليها ليعلى بن محمد اليفرني ، و عقد لزيري بن مناد على قومه و على سائر بلادهم [3] ، ثمّ رحل المنصور إلى القيروان بعد أن خلع على زيري بن مناد ، و دخل المنصورية في جمادى الآخرة سنة 336 هـــ /ديسمبر 947 م ، فـــبلغه أنّ فـــضل بن أبي يزيد جاء إلى جبل الأوراس و داخل البربر في الثورة ، فخرج إليه المنـــصور و حاصره في باغاية إلى أن قتله أحد أتباعه و يدعى باطيط بن يعلى الزناتي و بعث برأسه إلى المنصور و طيف به في القيروان في شهر ذي القعدة سنة 336 هـــ / ماي 948 م [4] ، و أمّا معبد بن خـــزر فقد كان مصيره القتل هو الآخر سنة 341 هـــ / 952 م بعد أن أســـر في بعض الوقائع رفقة ابنه ، ثمّ سيقا إلى المنصور فطيف بهما في أسواق المنصورية ثمّ قتلا [5] .

و اســـتمرت الحـــرب بين زناتة و صنهاجة ، حيث نزل على أشير كمات بن مديني الزناتي سيد زناتة ، فخرج إليه زيري وكانت بينهم حروب ، وكان لزيري ولد صغير اسمه كباب استخلفه على البلد ومنعه من الخروج لصغر سنه ، فلمّا سمع الصياح وضرب الطبول ، لبس لامة الحرب وركب – وهو إذ ذاك لم يـــبلغ الحلم – وخرج من باب المدينة ، وكان كمات قد أبلى في ذلك اليوم بلاء حسنا ، وقتل جماعة من أصحاب زيري ، فوقعت عين كباب عليه فقصده ، وعلا عليه من فوق ربوة ، فضربـــه على

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 200 .

(2) سوق حمزة : بلد بالمغرب الأوسط عليها سور تنزلها صنهاجة ، منسوبة إلى حمزة بن حسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 302) .

(3) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 93 .

(4) نفسه، ج4، ص 94 . ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص 198 .

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 95 .

عاتقـــه ، وكانت على كمات درع فقدّت الضربة الدرع والعاتق ، وسقطت ذراع كمات إلى الأرض فخر صريعاً والناس ينظرون إليه ولا يعلمون من هو قاتله ، فلما صرع انهزم أصحابه ، ورجع كباب إلى المدينة ودخل من الباب الذي خرج منه ، فسمى باب كباب ، ولما قتل كمات وقع التكبير والصياح ، فجـــاء بعض الجند إلى زيري – وكان قد نظر كباب وعرفه عند ضربه لكمات – وقال له :" إنّ ابنك كـــباب قاتلـــه" ، وأتى بجماعة من أصحابه أســـارى ، فأمر زيري بضرب أعناقهم وصلب جماعة من كبارهم [1] .

وفي أيـــام المعز لدين الله ازداد أمر زيري بن مناد علـــوّا في المغرب الأوسط ، فقد اصطحبه المعز عـــند خروجه للمغرب سنة 342 هــ/ 953 م [2] ، و في السنة الموالية 343 هــ/ 954 م قدم من أشير زيري بن مناد بطلب من المعز فأجزل الخليفة الفاطمي صلته و ردّه إلى عمله [3] .

و في سنة 347 هــ/ 958 م اضطرب أمر المغرب الأقصى من جديد ، حيث تمكن الأمويون من الـــسيطرة على هذه المنطقة و امتدّ نفوذهم إلى تاهرت ، و كان اعتمادهم على بني يفرن و خاصة منهم يعلـــى بن محمد [4] ، فأرســـل المعز قوات كبيرة بقيادة جوهر الصقلي مرفوقا بزيري بن مناد [5] و أمير منطقة الزاب جعفر بن علي بن حمدون [6] ، فسار جوهر إلى تاهرت فحضر عنده يعلى بن محمد الزناتي فأكرمـــه وأحسن إليه ، ثمّ خالف على جوهر فقبض عليه وثـــار أصحابه ، فقـــاتلهم جوهر فانهزموا ،

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 92 .

(2) ابـــن أبي ديـــنار، المـــؤنس، ص 94 . و كـــان خـــروج المعـــز لجبل أوراس سنة 342 هـ / 953 م حيث صالت فيه عـــساكره و اســـتأمن إلـــيه بـــنو كمـــلان و مليلة من هوارة و دخلوا في طاعته ، فأمنّهم و أحسن إليهم ، و استأمن إليه محمد بن خزر بعد قتل أخيه معبد فأمنّه و رجع إلى القيروان (ابن خلدون، العبر، ج4، ص 95) .

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 96 .

(4) محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية، ص 230 .

(5) H.Terrasse, **Histoire du Maroc des origines l'établissement du protectorat Français,** Editions Atlantides, Casablanca, 1949, p 186 .

(6) جعفـــر بـــن علـــي بـــن أحمـــد بـــن حمـــدون الأندلسي : أبـــو علي ، ابن غلبون أمير الزاب من أعمال إفريقية و صاحب المـــسيلة ، كـــان جـــوادا ، لابـــن هانـــئ فيه مدائح ، نشأت بينه و بين زيري فتنة ، انتهى به الأمر بالفرار إلى الأندلس التي قتل بهـــا ســـنة 364 هــــ / 974 م (ابـــن خلكـــان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 360) . و ذكر ابن عذارى أنّ المنصور ابن أبي عامـــر قـــد قـــتل جعفـــر بـــن علي و بعث برأسه إلى بلكين بن زيري سنة 367 هــ/ 977 م عندما حاصر سبتة ، يريد أن يرضـــيه بـــذلك (ابـــن عـــذارى، البـــيان، ج1، ص 231) . و قد ذكر صاحب البيان في الجزء الثاني شيئا من أخبار جعفر بن علي بن حمدون و أخيه يحي (ابن عذارى، البيان، ج2، ص 256) .

وتـــبعهم جوهــــر إلى مديــــنة أفكـــان [1] فدخلهـــا بالسيف ونهبها ، ونهب قصور يعلى وأخذ ولده – وكـــان صـــبيا – وأمـــر بهـــدم أفكـــان وإحـــراقها بالنار ، وكان ذلك في جمادى الآخرة ثم سار مـــنها إلى فـــاس [2] ، وبهـــا صـــاحبها أحمد بن بكر ، فاغلق أبوابها فنازلها جوهر وقاتلها مدة ، فلم يقـــدر علـــيها ، وأشـــاروا علـــى جوهر وأصحابه بالرحيل إلى سجلماسة ، وكان صاحبها محمد بن واســـول قـــد تلقـــب بالـــشاكر لله ، ويخاطب بأمير المؤمنين وضرب السكة باسمه – وهو على ذلك ســـت عـــشرة ســـنة – فلمـــا سمع بجوهر هرب ثمّ أراد الرجوع إلى سجلماسة ، فلقيه أقوام فأخذوه أســـيراً وحملـــوه إلى جوهـــر ، ومـــضى جوهـــر حتى انتهى إلى البحر المحيط فأمر أن يصطاد له من سمكـــه ، فاصـــطادوا لـــه فجعلـــه في قـــلال المـــاء وحملـــه إلى المعز ، وسلك تلك البلاد جميعها ، فافتـــتحها وعـــاد إلى فـــاس فقاتلـــها مـــدة طويلة ، فقام زيري بن مناد فاختار من قومه رجالا لهم شـــجاعة وأمـــرهم أن يأخـــذوا الـــسلالم وقصدوا البلد فصعدوا إلى السور الأدنى في السلالم وأهل فـــاس آمـــنون ، فلمـــا صـــعدوا على السور قتلوا من عليه ، ونزلوا إلى السور الثاني وفتحوا الأبواب وأشـــعلوا المـــشاعل وضـــربوا الطـــبول ، وكانـــت الإمـــارة بين زيري وجوهر فلمّا سمعها جوهر ركـــب في العـــساكر ، فـــدخل فـــاس فاستخفى صاحبها ، وأخذ بعد يومين ، وجعل مع صاحب سجلماســـة ، وكـــان فـــتحها في رمـــضان سنة 348هـــ / نوفمبر 958 م ، فحملهما في قفصين إلى المعز بالمهدية وأعطى تاهرت لزيري بن مناد [3] .

و عـــندما ثـــار أبـــو خـــزر الـــزناتي ســـنة 358 هـــــ / 968 م خرج إليه المعز لدين الله الفاطمـــي بنفـــسه لملاحقـــته ، فانهـــزمت جمـــوع أبي خـــزر و عاد المعز إلى مدينة المنصورية و أمر زيـــري بـــن مـــناد أن يطـــارده ، فـــسار في أثره حتى خفي عنه أثره ، و في ربيع الآخر سنة 359 هـــــ / فبرايـــر 972 م قـــدم أبـــو خـــزر على المعز و هو بعاصمته ، فأنزله مكانة رفيعة و بقي إلى جـــانبه [4] .

و بعد توجيه جوهر الصقلي لفتح مصر أرسل المعز العبيدي زيري بن مناد في قوة كبيرة من قبيلة

(1) أفكـــان : مدينة كانت لها أرحاء و حمامات و قصور و فواكه كثيرة ، و كان عليها ســـور من تراب لكنّه تهـــدّم ، و واديها يشقها نصفين و يمضي منها إلى تاهرت ، و منها إلى معسكر مرحلة (الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 250) .

(2) فاس : مدينة مشهورة كبيرة على برّ المغرب الأقصى ، تطل على نهر سبو (يـــاقوت الحموي، المعجم، ج4، ص230) .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 261 .

(4) محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية، ص 235 .

صـــنهاجة و عقـــد لـــه علـــى المغـــرب و أقطع له ما افتتح من أقطاره ، و ذلك لحرب زناتة بعد أن أقـــام الدعـــوة الأمـــوية في المغـــرب الأوســـط محمـــد بن الخير بن محمد بن خزر ، و دارت بينهم حـــرب شـــديدة و اخـــتلّ صـــف زناتة ، و لّما أيقن محمد بن الخير بالمهلكة و علم أنّه أحيط به مال إلى ناحـــية مـــن المعـــسكر و تحامـــل علـــى ســـيفه فذبح نفسه ، و هلك بضعة عشر أميرا زناتيا ، وبعث زيري برؤوسهم إلى المعز[1] .

و اســـتطال زيـــري علـــى بـــوادي المغـــرب و بسط على قبائل زناتة النازلين على جعفر بن علـــي صـــاحب المـــسيلة [2] وبـــــلاد الـــزاب [3]، فأذّله زيري فيهم ، فتغيّر جعفر لذلك و أحقده علـــى الدولـــة العبـــيدية ، و تحـــوّل عـــن المـــسيلة مظهرا اللحاق بالمنصورية ، و ذلك في جمـــادى الأخـــير 360 هـــــ / مـــارس 971 م ، ثمّ مـــال بأهلـــه و مالـــه وعدده إلى زناتة و خلع طاعة المعز و قام بدعوة الأمويين [4].

و بعـــد خـــروج جعفر بن علي تجمعت حوله زناتة ، فبادر إليهم زيري و ذلك في رمضان سنة 360 هـــ / جوان 971 م فاشتدّ القتال بين الطرفين و زيري في صدر خيله يحرّضهـــا بفضل نخـــوته و شدّة جرأته إلى أن كبا به فرسه ، و انهـــزم في هذه المعركة و جدّت زناتة في القبض عليه ، فتمكنت منه و قطعت رأســـه و أرسلتهـــا مع يحي بن علي [5] أخي جعفر و طائفة من وجوه رجالها إلى الحكم

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 314 .

(2) المـــسيلة : مديـــنة بالمغـــرب الأوســـط ، تـــسمّى أيـــضا المحمدية ، اختطها أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي سنة 315 هـــــ/ 927 م (ياقـــوت الحمـــوي، معجـــم الـــبلـــدان، ج5، ص 130 .عـــبد الحكيم عفيفي، موسوعة ألف مدينة إسلامية، ص 459) . و كـــان المـــتوليّ لبـــنائها علـــي بـــن حمدون بن سماك المعروف بابن الأندلسي ، و استعمله القائم عليها ، فلم يزل بهـــا إلى أن هلـــك في فتـــنة أبي يـــزيد و بقـــي ابـــنه جعفر فيهـــا ، و صار أميرا على الـــزاب كلّه (أبو عبيد البكري، المغرب، ص 59) .

(3)بـــلاد الـــزاب : اســـم لإقلـــيم واســـع في بلاد المغرب يضم عدة مدن أهمها طبنة و المسيلة (ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 265) .

(4) مجهول، مفاخر البربر، ص 133 .

(5) يحـــي بـــن علـــي بـــن حمـــــدون : الجذامـــي الأندلـــسي ، كانـــت له و لأبيه ولأخيه جعفر رئاسة و نباهة في أيام الدولة العبـــيدية (ابـــن الأبـــار، **الحلـــــة الـــسـيراء**، تحقـــيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985، ج2، ص 305) .

المستنصر الأموي [1] في الأندلس [2] ، فعظمت النعمة على الحكم و أنفذ الأموال و الخلع إلى زناتة ، و أذن لجعفر في الدخول إليه، و أعظم جوائز يحي و الوفد معه [3] .

وكان زيري حسن السيرة في الرعية ، وكان له أشير التي بناها ، وأعطاه المنصور تاهرت وأعمالها وباغاية وأعمالها ، وكان شديداً على البربر، وأقام على ذلك ستا وعشرين سنة [4] .

---

(1) الحكم المستنصر : الحكم بن عبد الرحمان ، يلقب بالمستنصر بالله ، ولي و له سبع و أربعون سنة بعد وفاة والده الناصر سنة 350 هـ / 961 م ، يكنى أبا العاص ، وكان حسن السيرة جامعا للعلوم محبا لها مكرما لأهلها ، و جمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله ، و كان يرسل من يأتيه بها من الأقطار البعيدة و يشتريها بأغلى الأثمان ، و كان قد رام قطع الخمر من بلاد الأندلس و تشدّد في ذلك ، و كان مواصلا لغزو الروم و من خالفه من المحاربين ، فاتصلت ولايته إلى أن مات سنة 366 هـ / 976 م (أبو عبد الله بن محمد بن أبي النصر الحميدي ، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،** تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1989، ج1، ص 43) .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص316 .

(3) مجهول، مفاخر البربر، ص 134 .

(4) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 93 .

3 – ظهور بلكين بن زيري و خدماته للدولة الفاطمية :

لقد رزق زيري بن مناد بعدد كبير من الأولاد ما يزيد على المائة ، كلهم أنجاد فرسان كرماء كان يكتفي بهم في بعض حروبه [1] ، و لعلّ أكثرهم شهرة ابنه بلكين ، و لا تحدثنا المصادر التاريخية عن تاريخ ولادته أو طفولته ، و يبدأ ذكره مقترنا بأبيه حيث كان يشاركه حروبه لاسيما الحرب ضد زناتة ، و من أولى الأعمال التي قام بها بلكين في حياة أبيه نجاحه في القضاء على سعيد بن يوسف الخارجي الذي ثار في جبل الأوراس ضد المنصور الفاطمي ، حيث تمكن بلكين من قتل هذا الثائر قرب باغاية مع عدد كبير من أنصاره المنتمين في أغلبهم إلى هوارة ، و أرسل رؤوسهم إلى المنصور[2] .

و يبدو أنّ أهل الأوراس قد ثاروا على الفاطميين مرّة أخرى مستغلين وفاة المنصور ، ذلك أنّ هوارة هي إحدى أهمّ القبائل الداعمة للخوارج ، و لم يزالوا قائلين بأبي يزيد مقيمين على الحروب و الخلاف ، فخرج إليهم المعـــز في جيش عظيم ، فلمّا سمعوا بخروجه جمعوا لـــه ، فلمّا وصل الأربس [3] جهّز بلكين و وجهه إليهم و رجع هو إلى القيروان ، فهزمهم بلكين و فرّق جموعهم و شتّتهم [4].

و ازدادت مكانـــة بلكين بن زيري و شهرته بما حقّقه إلى جانب أبيه من إنتصارت ، و ارتبط اسمه بالمـــدن الثلاثـــة التي أسسها ، و هي الجزائـــر[5] و المديـــة [6] و مليانـــة [7] التي استقـــرّ فيها بأمـــر

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 93

(2) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 333 . النويري، المصدر السابق، ج24، ص 92 .

(3) الأربس : مدينة و كورة بإفريقية ، بها معدن الحديد ، بينها و بين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب (ياقوت الحموي، المعجم، ج1، ص 136) .

(4) ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص 200 .

(5) الجزائـــر : كانت تسمّى في القديم ايكوسيم ، و هي على ضفة البحر ، و شرب أهلها من عيون على البحر عذبة ، و هي عامرة آهلة و تجارتها مربحة و أســـواقها قائمة و صناعاتها نافقة ، و لها بادية كبيرة و جبال (أبو عبيد البكري، المغرب، ص 66 . الإدريسي، نزهة المشتـــاق، ج1، ص 258 . عبد الحكيم عفيفي، موسوعة ألف مدينة إسلامية، ص 188) .

(6) المديـــة : بلـــد جليل قديم ، منها إلى أشير ، و تقع على مسافة 100 كم جنوب الجزائر غرب جبال أطلس في منطقة السهول الـــزراعية الخـــصبة ، و تحيط بها الحقول و البساتين (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 53 . عبد الحكيم عفيفي، المرجع السابق، ص 448) .

(7) ملـــيانة : مدينـــة ذات أشجار ، و هي عامرة على بعد 110 كم جنوب غرب الجزائر (الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 253 . عبد الحكيم عفيفي، المرجع السابق، ص 468) .

من أبيه [1] ، و هذه المدن في ذلك العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط [2] .

و عندما ثار أبو خزر الزناتي سنة 358 هـــ / 968 م خرج المعز لدين الله بنفسه لحربه ، و نجح في تـــشتيت جمعه ، ثمّ كلّف بلكين بمطاردة فلول الثائرين [3] ، و أسهم بلكين في القضاء على ثائر زناتي آخر سنة 360 هـــ / 970 م ، و هو محمد بن الخير وجماعة من أهله وبني عمّه ، وكان قد عصى علـــى المعز لدين الله بإفريقية، وكثر جمعه من زناتة والبربر، فأهمّ المعز أمره لأنّه أراد الخروج إلى مصر، فخـــاف أن يخلف محمدا في البلاد عاصيا ، وكان جبّارا عاتيا طاغيا ، وأمّا كيفية قتله فإنّه كان يشرب هـــو وجماعة من أهله وأصحابه ، فعلم بلكين به فسار إليه متخفيا فلم يشعر به محمد حتى دخل عليه ، فلمـــا رآه محمـــد قتل نفسه بسيف وقتل بلكين الباقين وأسر منهم ، فحلّ ذلك عند المعز محلاً عظيماً ، وقعد للهناء به ثلاثة أيـــام [4] .

و في هذه السنة – 360 هـــ/ 970 م – قُتل زيـــري بن مناد ، و لّما كان بلكين أحـــد أولاده و أبـــرز قادته انتقلت إليه زعامة قبيلة صنهاجة ، فكان أول عمل قام به هو الإنتقام لمقتل أبيه ، و كان آنذاك مقيما بأشير ، فأنجده المعز بالرجال و الأموال و أخرجه إلى بلاد المغرب أوائـــل سنة 361 هـــ / 971 م ، فاستولى على مـــدن تـــاهرت و المسيلة و طبنة [5] و باغاية و بسكرة [6] ، و قتـــل من زناتة و جميع أصناف البربر و جعل يقول : " لا أمان عندي لبربري ركب خيلا أبدا " ، فأجفلت قبائل البربر قدّامـــه و أقصرت عن معارضته [7] ، بعد أن قتلهم قتلا ذريعا و سبى نساءهم و أطفالهم و أجلاهم من البلاد ، ثمّ قصد بلكين محمد بن الحسين بن خزر الزناتي الخارج عن طاعة المعز ، و كان قد كثر جمعه

---

(1) أبو عبيد البكري، المغرب، ص 61 .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 314 .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 214 .

(4) مجهول، مفاخر البربر، ص 131 . ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص 327 .

(5) طبنة : بضم أوله ثم السكون و نون مفتوحة ، و طبنة بلـــدة في طرف إفريقية مما يلي بلاد المغرب على ضفة الزاب ، فتحها القائد المـــسلم موســـى بن نصير ، و ســـورها مبني بالطوب ، و بها قصر و أرباض ، وليس بين القيروان إلى سجلماسة في أقصى المغرب مدينـــة أكبر منها (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 21) .

(6) يسكرة : بلدة بالمغرب من نواحي الزاب جنوب جبال الأوراس ، فيها بساتين و واحات النخيل ، تبعد مسافة 400 كلم جنوب مديـــنة الجزائر وبها قبر عقبة بن نافع (ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 422 . عبد الحكيم عفيفي، موسوعة ألف مدينة إسلامية، ص 112) .

(7) مجهول، المصدر السابق، ص 135 .

و عظم شأنه ، فظفر به بلكين و أكثر القتل في أصحابه (1) ، و بعد أن بلغت هذه الأخبار المعز الفاطمي سرّه ما فعل و أرسل إليه يأمره بردّ السبي و القدوم عليه ، فقدم على المعز بعد أن استخلف على عمله من يثق به ، و نفدت كتبه إلى عماله ، و لم يترك في المغـــرب عند أحد من البربر فرسا و لا جملا ، و لم يتـــرك إلا من يحـــرث و يحصد ، و قدم إلى المنصورية ، و لّما وصل إلى المعز جلس له في الإيوان فدخل عليه ، فقبله المعز أحسن قبول و شكر أفعاله و قلّده سيفه و خلع عليه خلعة من لباسه ، و قاد بين يديه أربعين فرسا بسروج الذهب المثقلة و أربعين تختا بالثياب الفاخرة ، و خلع على جميع أصحابه و أكرمهم غاية الإكرام (2) .

لقد تمكنّ بلكين أن يواصل مسيرة أبيه بنجاح ، و استطاع أن يجعل من قبيلته صنهاجة القوة الأكبر في بلاد المغرب ، و ذلك بفضل عزيمته و نجاحه في تحقيق انتصارات عسكرية كبيرة على زناتة ، و هذا ما زاد في رفـــع مكانته عند المعز لدين الله ، و في هذه الأثناء تواترت الأنباء بفتح مصر و بلاد الشام و أنّها صـــارت خالصة للفاطميين ، فما كان على المعز إلا الإستعداد للرحيل باتجاه المشرق و اتخاذ القرار فيمن يعهد إليه حكم بلاد المغرب نيابة عنه .

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 334 .

(2) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 95 .

الفصل الثاني

العلاقات الزيرية الفاطمية قبل عهد المعز بن باديس

362هـ-406هـ/972م-1015م

الفصل الثاني : العلاقات الزيرية الفاطمية قبل عهد المعز بن باديس (362 هـ – 406 هـ / 972 م – 1015 م) :

1 – رحيـــــل الفاطميين إلى مصـــر:

رغم نجاح دعاة الإسماعيلية نجاحا باهرا في إقامة الدولة الفاطمية ، إلا أنّ هذا النجاح لا يخلو من مخاطـــر عديدة كادت تعصف بهذه الدولة في أيـــامها الأولى ، فقد كانت المنطقة تشهد صراعا مذهبيا عنيفا ، زاد من حدّته تلك المقاومة الشرسة التي أبداها أهل السنة و على رأسهم علماء المالكية للشيعة ، لـــذلك أدرك عبـــيد الله أنّ بــــلاد المغـــرب لن تحقق له هدفه الرئيسي ، و هو أن ينفرد بحكم العالم الإســـلامي ، و يقـــضي على الخلافة العباسية في المشرق ليحل محلها [1] ، و لن يتحقق هذا الهدف إلا بالعبـــور عبر مصر ، و قال سعدون الورجيني مادحا المهدي و حاثا له على غزو المشرق :

هذا الإمـــام الفاطمي و من بـــه *** أمنت مغاربنـــا من المحــــذور

و الشـــرق ليس لشامه و عراقـــه *** من مهرب من جنده المنصـــور

حتى يفـــوز من الـــخلافة بالمـــنى *** و يفاز منه بعدلـــه المنشــــور [2]

و قـــد سبق ذكر الحملتين اللتين وجههما عبيد الله إلى مصر بقيادة ابنه و ولي عهده مرتين ، وفي عهد القائم و المنصور توقفت محاولات الفاطميين لغزو مصر بسبب ثورة أبي يزيد التي هزت بلاد المغرب بأسرها ، و استدعت تظافر الجهود و تسخير كامل إمكانيات الدولة للقضاء عليها ، و قد أثبت المنصور حـــزمه و حسن تدبيره ، حيث تمكن من إخماد الثورة و إرجاع الأمور إلى نصابها ، و من تمّ الإعداد لما هـــو آت ، غـــير أن المنيّـــة عاجلته ، وكان قد عهد لابنه معد بولاية العهد ، و بتولّي المعز لدين الله ، سيبعث مشروع الدولة العبيدية الرئيسي من جديد ، وكان لثورات البربر المتتالية و الحركات الخارجية الـــثورية التي وجدت تأييدا مؤقتا من طرف بعض أهل السنّة ، و نجاح حملة القائد جوهر الصقلي في بـــلاد المغـــرب الأقصى ، و ما كان لها من تأثير في علوّ شأن هذا المولى لدى الخليفة ، و أنّه هو القائد العسكري الفذّ الذي لم يعرف الفاطميون طيلة تاريخهم أكفأ منه ، دور مهم في الإعداد للحملة الكبرى و هي فتح مصر[3] .

---

(1) M.Bergé, **Les Arabes « histoire et civilisation des Arabes et du monde Musulman des origines à la chute du royaume de Grenade »**,Edition Lidis, Paris , p123 .

(2) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 301 . الداعي عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص 176 .

(3) د/ أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 127 .

لقــد كانت مصر خلال عهد الإخشيديين [1] في يد كافور[2] الذي أصبح قائد جيوشهم و مدّبر أمر مملكتهم و في آخــر عهده ساءت أحوال البــلاد الإقتصادية و دبّ الضعف في الدولــة العباسية ، و جــاءت وفــاته في ظل الغــلاء الشديد الذي أصاب البــلاد [3] ، و لم يبق في مصر من تجتمع عليه القلـــوب [4] ، فــزالت بوفاته عقبة مهمة أمام الفاطميين كانت حائلا بينهم و بين مصر ، كما ينبغي الــتذكير بالــدور الذي قام به شيعتها في تأييد العبيديين ، فقد كتبوا إلى المعز يطلبون منه إرسال جيش لفــتح الــبــلاد ، و كــان لابن كلّس اليهــودي [5] الذي استــوزره كافــور ثم هرب إلى بــلاد المغــرب و اتصل بالمعز ، أثر كبير في بيان حال الضعف الذي ساد مصر إثر وفاة كافور و حثّ الخليفة الفاطمي على المبادرة بإرسال جيوشه لفتحها [6] ، و هذا ما يشكّل للفاطميين هدفا استراتيجيا في تعبيد طريق المشرق أمامهم [7] .

---

(1) الإخشيديــون (323 – 358 هــ / 934 – 968 م) : من أصل تركي ، مؤسس هذه الأسرة الحاكمة في مصر محمد بن طغج الذي برز أثناء غزو العبيديين ، ثم منح لقب الإخشيد بطلب منه ليدعى له به على المنابر بعد أن نجح في صدّ الفاطميين و عقد الهدنــة معهم ، و في سنة 349 هــ / 960 م تولى الحكم أبو الحسن الذي حكم ست سنوات و كان المتصرّف في شؤون الدولة الحقيقي كــافور و تولاها مستقلا سنتين و أربعــة أشهــر و بوفاته انقطع أمر هذه الدولة في مصر سنة357 هــ/ 967 م (شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي، ج1، ص 345) .

(2) كافور الإخشيدي (292 – 357 هــ / 904 – 967 م) : كافور بن عبد الله الإخشيدي أبو المسك ، كان عبدا حبشيا اشــتراه الإخشيدي ملك مصر سنة 312 هــ/ 924 م فنسب إليه ، ثم أعتقــه فترقىّ عنده حتى تغلّب على مصر ، و كان فطنا ذكيا حسن السياسة و دعي له على المنابر بمكة و مصر و الشام إلى أن توفي سنة 357 هــ/ 967 م بالقــاهرة (ابن خلكــان، وفيات الأعيان، ج4، ص 99) .

(3) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، **صبــح الأعشى في صنــاعــة الإنشــا**، المؤسسة المصرية العامــة للتأليف و الترجمــة و الطباعة و النشر، ج3، ص 345 . ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 309 .

(4) جلال الدين السيوطي، **حســن المحاضــرة في أخبــار مصر و القــاهرة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى،1967، ج1، ص 599 .

(5) ابن كلّس (318 – 380 هــ / 930 – 990 م) : يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلّس أبو الفرج وزير مــن الكتــاب ، ولد ببغداد و سافر به أبوه إلى الشام ثمّ أرسله إلى مصر ، فاتصل بكافور الإخشيدي فولاه ديوانه بالشام و وثق به فكان يشاوره في أكثر أموره ، و كــان يهوديا فأسلم سنة 356 هــ/ 966 م ، ثم انتقل إلى المغرب بعد مصادرة أمواله فخدم المعز و تولى أموره و حرّضه على غزو مصر ، صنّف كتابا في الفقه على مذهب الباطنية يعرف بالرسالة الوزيرية ، و كان يعقد المجالس في الجامــع العتيق فيقرر المسائل على حسب مذهب الباطنية الإسماعيلي ، توفي سنة 380هــ / 990 م (شمس الدين الذهبي، **ســير أعــلام النبلاء**، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003، ج10، ص 246) .

(6) حسن إبراهيم حسن، **تــاريخ الإســلام السياسي و الــديني و الثقــافي و الإجتمــاعي**، دار الجيـــل، بيــروت، الطبعة الثالثة عشر، 1991، ج3، ص 155 .

(7) د/ سوادي عبد محمد و د/ صالح عمار الحاج، تاريخ المغرب الإسلامي، ص 147 .

و قــد بدأت الإجراءات العملية العبيدية للفتح المنشود ابتداء من سنة 355 هــ / 965 م ، فقد أمــر المعــز بحفر الآبار في الطريق و أن يبنى له في كل موضع قصرا [1] ، و كشفت حفائر أثرية حديثة بمدينة أجدابية الليبية عن أطلال أحد هذه القصور الذي نقلت زخارفه الرائعة إلى أحد المتاحف الليبية[2] ، و في المحرّم من سنة 358 هــ / نوفمبر 968 م جمع المعز قرب رقادة نحو مائة ألف فارس أغلبهم من القــبائل البربرية خاصة كتامة [3] و منحهم رواتبهم التي تراوحت بين عشرين دينارا إلى ألف دينار[4] ، وعــيّن جوهــرا أميرا على الجيش الذي أعدّ بعنــاية فائقة ، و حملت الأموال الضخمة لضمان نجــاح الحملة و التي بلغت حسب بعض المؤرخين أكثر من مائتي و ألف صندوق مليء بالذهب و الفضة [5] ، و ذكر آخرون أنّ المبلغ الذي أنفق على الحملة بلغ أربعة و عشرين ألف ألف دينار[6] ، كما أنّ الحملة صاحبها أسطول مشتمل على المراكب المحملة بالحبوب المخصصة للسكان الجوعى في مصر[7] .

و هكذا كان مسير جوهر القائد باتجاه مصر يوم 14 ربيع الأول 358 هــ /04 فبراير 969 م في احتفال عظيم حضره الخليفة المعز الذي ودّعه جوهر مقبّلا يديه و حافر فرسه ، كما قدّم المعز لجوهر ما يليق بمكانه من التعظيم و التبجيل من كبار رجال الدولة و على رأسهم أبناء الخليفة [8] ، فتحقّق الفتح دون مقاومة تذكر ، و دخل جوهر بجيوشــه مصر يوم 17 شعبان 358 هــ / 05 جويلية 969 م وهــرب أعيــان الإخشيد إلى الشــام و أقيمت الدعوة للمعز لدين الله [9] الذي بقي في قصره يتلقّى أنــباء الفتح ، و كانت أول بشارة وصلته في النصف من رمضان سنة 358هــ / 01 أوت 969 م فعمّه السرور، وصار في كل وقت تصل إليه كتب القائد جوهر الصقلي تحثّه على الرحيل إلى مصر و أنّ الشــام و الحجاز أصبحت تحت طاعته و قامت له الدعوة في تلك البــلاد [10] .

---

(1) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 81 .

(2) د/ أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 138 .

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 345 .

(4) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص81 .

(5) المقريزي، الخطط، ج1، ص378 . الداعي عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص666 .

(6) ابــن ســعيد المغربي و آخرون، **النجــوم الزاهرة في حلى حضــرة القــاهرة**، تحقيق د/ حسين بصار، مطبعة دار الكتب، 1970، ص41 .

(7) ل. ا . سيمينوفــا، **تــاريــخ مصــر الفــاطمية**، ترجمة و تحقيق حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، 2001، ص 39 .

(8) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص375 .

(9) ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص 202 .

(10) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص81 .

و بعــد أن تثبّت المعز لدين الله من استقرار الفتح و ضمن تهدئــة الأوضــاع في إفريقية و بــلاد المغـــرب و تنظــيم شؤونــه السياسية و الإدارية قــرّر الرحيل ، جمع أهل بيته و حاشيته و أعــدّ موكبه الفخم تتقدمــه توابيت آبائه كناية عن الرحيــل دون التفكير في العــودة (1) ، و في سابــع رمضــان سنة 262 هــ / 10 جوان 973 م دخل المعز القــاهرة (2) ، و ذكر ناصر خسرو أنّه دخل مصر و كبار حاشيته عن طريق البحر ، و عندما اقترب موكبه من القــاهرة أمر بإخــلاء تلك السفن و وضعها على اليابسة ليتفرّج عليها الناس ، و لم يأذن لأحد باستعمال تلك السفن بعد ذلك (3) ، وكان قــد أخــرج من قصور آبائه بالمهدية من الأمــوال خمسمائة حمل (4) ، و بذلك صارت مصر و بــلاد المغرب مملكة واحدة (5) .

و أضــحت هــذه المملكة أقوى من الدولة العباسية إلا أنّها ظلّت دونها في المكانة ، لأنّ أسلوب الحكــم الذي جرت عليه بعد انتقالها إلى مصر لم يكن أسلوب دولــة عامة ، و قد كــان من المنتظر مثلا أن تتصدّى للجهــاد و تحمل رايته و تكمل الهدف الذي كان المسلمون جميعا يتطلبونه من دولــة عامــة جديدة و هو كسر الموجة الرومية التي تهدّد الإسلام بشرّ خطير أيام المقدونيين ، ثمّ الصمود إلى قلب دولة الروم و القضاء عليها و تأمين جهة الإســلام من هذه الناحية و فتح السبل أمامه للإنتشار ، و لو فعلت ذلك لانتقلت إليها راية الدولة العامة دون منازع (6) .

(1) د/ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3، ص 282 .

(2) القــاهــرة : المدينة العظمى على النيل ، بناها جوهر فانتقل إليها المعز و صارت عاصمة العبيديين ، تضم العديد من المنشآت المعمارية و فيها الأزهر الشريف الجامعة الإسلامية الكبرى (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص301 . عبد الحكيم العفيفي، موسوعة ألف مدينة إسلامية، ص364) .

(3) أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي، **سفــر نــامــة " رحلة ناصر حسرو القبادياني "**، ترجمة و تقديم د/أحمد خالد البدلي، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، 1983، ص 93 .

(4) أبو المحاسن يوسف بن ثغري بــردي، **النجــوم الزاهــرة في ملــوك مصر و القــاهرة**، المؤسسة العــامة للتأليف والترجمــة و الطباعة و النشر، ج4 ، ص 71 .

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 426 .

(6) حسين مؤنس، **تــاريخ المغــرب و حضــارته**، العصر الحديث للنشر و التوزيــع، بيروت، الطبعة الأولى، 1992، ج2، ص 560 .

2 – العلاقات الزيرية الفاطمية خلال عهـــد بلكـــين بن زيـــري (362 هــ – 374 هــ / 972 – 984 م) :

أ – تأسيس الدولة الزيرية الصنهاجية :

قـــبل رحـــيل المعـــز إلى مصر أحكم تنظيم شؤون البلاد إداريا و سياسيا ، و كان أول شخص تـــوجهت إليه الأنظار في أنّه المستخلف على البلاد جوذر[1]، فالمعز عند خروجه لمطـــاردة أبو خزر أمر جوذرا بالخروج إلى المهدية لأحكام ما بها من الخزائن ، فأشـــاع الناس أنه هو المستخلف على إفريقية ، فكـــتب إلى المعز بذلك ، طالبا إعفاءه و عدم مفارقته ، فرد عليه المعز لدين الله قائلا :" يا جوذر وقفنا علـــى رقعـــتك ، هذا كلام يقوله الجهّال ، و لا و الله ما رأينا هذا فيك لوجوه ، أولها إنا نحب أن لا ندّخـــــر علـــيك نعـــم الله عندنـــا و أن تكون مشاهدها ، و الثانية : أنك لست ممن نستثقله فيجب الـــــراحة منه ، و الثالثة : كبر سنك في طاعة الله و طاعتنا ، و الرابعة : أنك لا تجـــد من يصفو لك على ما تريد من فســـاد أطماع الناس و طباعهم الآن ، فأنت لا تجد معينا و لا عضدا ولا من يقوم بين يديك ، و ليتنا نجد فيمن نتركه هاهنا مثل نيّتك و حبّك لدولتنا " [2] .

فمن أهمّ الشروط التي وضعها المعز لدين الله فيمن يوليه ، أن لا يكون كبير السن و مخلصا للدولة و لـــه عـــصبة قـــوية تحميه ، لذلك فقد قيل إنّه عرض الأمر على جعفر بن علي ، و أسرّ إليه أنّه يريد اســـتخلافه على المغرب ، فقال جعفر :" تترك معي أحد أولادك أو إخوتك يجلس في القصر و أنا أدبّر الأمـــر ، و لا تسألني عن شيء من الأموال لأن ما أجبيه يكون بإزاء ما أنفقه من الأموال و إذا أردت أمرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك فيه لبعد ما بين مصر و المغرب ، و يكون تقليد الخراج و القضاء إليّ "، فغضب المعز و قال : " يا جعفر عزلتـــني عن ملكي و أردت أن تجعل لي فيه شريكا في أمري ، و استبددت بالأعمال و الأموال دوني ، قم فقد أخطأت حظك و ما أصبت رشدك " ، فخرج عنه [3] .

---

(1) جـــوذر : الـــصقلبي الأستاذ ، من رجال الدولة العبيدية ، كان في صباه عبدا لعبيد الله فأهداه لابنه القائم ، و تقدّم عنده حتى استخلفه وهو لا يزال وليا للعهد سنة 300هــ/ 912 م ، و جعله بعد ولايته الخلافة صاحب بيت ماله و الموّكل بخزائن الكســـاء و السفير بينه و بين الناس ، و لمّا خرج المنصور لحرب أبي يزيد استخلف جوذرا على دار الملك و سائر البلاد و سلّمه مفاتيح الخزائن، ولمّا أخمد المنصور الثورة أعتق جوذرا من الرّق و لقّبه مولى أمير المؤمنين ، و هو أول من كان له هذا اللقب ، و أمر أن لا يقدم على اسمـــه أحد إلا الخليفة و ولي عهده المعز ، ثمّ كان مع المعز مع ما كان مع سابقيه ، و سافر مع المعز إلى مصر فمات في الطريق سنة 362 هــ/972 م (خير الدين الزركلي، **الأعـــلام** ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1992 ، ج2، ص 144) .

(2) أبـــو علـــي منصور العزيزي الجوذري، **ســـيرة الأستـــاذ جـــوذر**، تقديم و تحقيق د/محمد كامل حسين و د/محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948، ص 109 .

(3) المقريزي، الخطط، ج1، ص353 .

و يتطـــرّق الشك إلى هذه الرواية ، لأنّ الخلافات بين الرجلين كانت قائمة بشدّة ، خاصة حول تصرفات ابن حمدون المالية في مقاطعته التي كان يحكمها حكما مطلقا ، كما علم الخليفة بوجود أعوان أمـــويين في بلاطـــه حـــتى اضطر جوذر لاقتراح عزله ، و الأدهى من ذلك أن جعفرا كان مرتبطا مع الـــزناتيين أولئك المتمردين على الخلافة بعلاقات ودية [1] ، و إن كانت هذه الواقعة قد حدثت فعلا فلا تعدو أن تكون محاولة من المعز لدين الله للتخلّص من جعفر بن حمدون الذي ازداد نفوذه بشكل كبير ، فـــلا بدّ حينئذ من إيجاد ذريعة تبرّر له هذا التصرّف ، خاصة إذا علمنا أنّ جعفر بن حمدون كان شديد النـــصب لزيـــري بن مناد [2] أخلص و أقوى أتباع الفاطميين في المنطقة ، و من هنا يتضح مدى ذكاء الخليفة المعز الذي أراد أن يقضي على الصراع الدائر بين الرجلين في المغرب الأوسط قبل أن يترك المنطقة باتجاه المشرق ، و بالتالي يصفو الأمر لزيري خالصا .

و فعلا فقد اتخذ المعز قرار التخلّص من جعفر بن علي بن حمدون ، لكن نجّاه من القتل بعض عيونه الـــذين أخبروه بما يبيّت له الفاطميون ، و كتب المعز إلى جعفر بعزله عن المسيلة ، و يأمره بالقفول إليه بجميع أهله و ولده و ماله إلى حضرته ، فعند ذلك أيقن جعفر بالموت لا محالة ، فبادر بنفسه و خرج من المـــسيلة مع أخيه يحي و جميع أهله و ولده و عبيده و خاصته في جمادى الآخرة سنة 360 هـــ/ أفريل 971 م ، و صار عند بني خزر أمراء زناتة القائمين بدعوة الأمويين [3] ، فكان خروجه هذا عن طاعة الفاطميين السبب المباشر الذي أدّى إلى مقتل زيري بن مناد عندما خرج لطلبه كما مرّ معنا من قبل .

و هكذا أضحت قبيلة صنهاجة البربرية الركيزة الأساسية للنظـــام العبيدي إلى جانب قبيلة كتامة و بعض الأسر العربية المخلصة [4] بدرجـــة أقل ، و ذلك نظرا لـــدور زيري بن مناد في نصرة الخـــلافة و مكانة قبيلته و قوّتها ، إلى جانب موقع أراضيها الممتاز الذي يؤهلها لأن تكون خط الدفاع الأول في صـــد أي هجـــوم قـــد تقـــوم به زناتة ضد الدولة الفاطمية ، لذلك استدعى الخليفة بلكين بن زيري الصنهاجي ، و قال له :" تأهب لخلافة المغرب" ، فأكبر ذلك ، و قال : " يا مولانا أنت و أبناؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه و سلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لي و أنا صنهاجي بربري ،

---

(1) فرحـــات الـــدشـــراوي، **الخـــلافـــة الفاطمية بالمغـــرب " التـــاريخ السيـــاسي و المؤسسات"**، تعريب حماد الساحلي، دار الغـــرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994، ص400 .

(2) ابن حيان القرطبي، **المقتبس في أخبار بلد الأنـــدلس**، تحقيق عبد الرحمان علي حجر، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 35 .

(3) نفسه، ص 36 .

(4) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 401 .

قتلـــتني يا مـــولاي بغير سيف و لا رمح " ، فما زال به حتى أجـــاب شريطة أن يولّي المعز لدين الله القضـــاء و الخـــراج لمن يراه و يختاره ، فأحبّ المعز ما قاله و شكره (1) .

غير أنّ سير الأحداث فيما بعد على ما سنرى ، يدلّ على أن كـــلام بلكين بن زيري لم يكن إلا مجـــرّد كلمات هدفها زيادة ثقة المعز لدين الله به ، حيث سيدخل في صراع كبير مع عامل الخلافـــة حول شؤون الحكم ، و المهم بالنسبة لبلكين حـــاليا هو نيل الشرعية في تولّي أمـــر إفريقية و المغرب ، و فعـــلا فقد حصل عليها باستثناء صقلية (2) و طرابلس (3) ، وجعل المعز عليهما على التوالي حسن بن علي بن أبي الحسين و عبد الله بن يخلف الكتامي (4) ، و سمّى المعـــزُ بلكين يوسفا وكنّـــاه أبـــا الفتوح و لقبه سيف العزيز بالله (5) .

و ذكـــر التجاني في رحلته عن ابن بسّام أنّ المعز الفاطمي دعا زيري بن مناد و كان له عشر من الـــولد ، فقـــال :" ادع لي بنيك ، فقد علمت رأيي فيهم و فيك"، و كان أصغرهم سنّا و أهونهم عليه شـــأنا يوسف ، فدعا له ولده ما عداه و المعز ما يريد سواه ، و كانت عند المعز – زعموا – أثارة من الحـــدثان قد علم بها مصائر أحواله ، و كانت عنده لخليفته على إفريقية إذا صار إليه ملك مصر علامة يأنس بها ، فنظر في وجوه بني زيري فأنكرها حين تفقّد العلامة فلم يرها ، فقال لزيري : " هل غادرت من بنيك أحـــدا" ، فقال له :" إلا غلاما " ، و طفق يصغّر من شأنه ، فقال له المعز :"لا أراك حتى أراه فلـــست أريـــد سواه" ، فلمّا رآه عرفه و فوّض إليه من حينه و استخلفه (6)، وهذه الرواية تبدو أقرب للخيال منها للحقيقة ، لأنّ أعمال بلكين في حياة أبيه و بعد أن تسيّد قومه هي التي رفعت مكانته عند المعز ، و أهلّته دون غيرها لأن يكون نائب الفاطميين على إفريقية و بلاد المغرب .

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص 353 .

(2) صقلية : من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية ، كانت قبل الإسلام قليلة العمارة ، فلما فتحها المسلمون أيام بني الأغلب على يد القاضـــي أسد بن الفرات سنة 212هـــ / 827 م عمرّوها ، فأحسنوا عمارتها ، ثمّ استرجعها النصـــارى و طردوا المسلمين منها نهائيا (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص416) .

(3) طرابلس : مدينة ليبية قديمة بناها الفينيقيون في القرن الخامس قبل الميلاد ، دخلها المسلمون و فتحوها في القرن الأول الهجري ، وهي عامرة بالبساتين و فيها الأسواق و المساجد ، و ميناء المدينة مزدهر نشـــط (ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص25) .

(4) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 332 .

(5) لســـان الدين بن الخطيب، **أعمـــال الأعـــلام " القسم الثالث"**، تحقيق د/ أحمـــد مختـــار العبادي، دار الكتـــاب، الـــدار البيضاء، ص61 .

(6) أبـــو محمـــد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، **رحلـــة التجـــاني**، قدّم لها حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1958، ص 16 .

و عـــند توديع بلكين الخليفة العبيدي إلى مصر قال له المعز : " إن نسيت شيئا مما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء : لا ترفع الجباية عن أهل البـــادية ، و لا ترفع السيف عن البربر ، و لا تولّ أحدا من بـــني إخوتك و بني عمك ، فإنّهم يرون أنّهم أحقّ بهذا الأمر منك و استوص بالحضر خيرا " [1] ، و لم ينس أن يوصيه بمواصلة حرب زناتة فقال له : " اشفني في أولاد المجـــوس زناتة " [2] .

و بعـــد الفـــراغ من توديع المعز في 11 ربيع الأول 362هـــ / 19 ديسمبر 972 م ، أقـــام الأمير بلكين بن زيري [3] يعقد الولايـــات العامة للعمال على البـــلاد ، و يباشر أعمال الدولة و يطيّب قلوب الناس من إقامته بالمنصورية [4] .

و للمــــــرة الأولى في التـــاريخ أصبح رجل من صميم أهل بلاد المغـــرب رئيس دولـــة إسلامية كبيرة مستقرة السلطان ، و كـــان عليه أن يستكمل استقـــلال هذه الدولة و يهيئ لها سبـــل النظـــام و القـــوة و بذلك دخلت تجارب الحكم الإسلامي في المغرب دورا جديدا ، إنه دور استقـــلال المغاربة بأمور الحكم في بلادهم [5] ، و في الواقع فإنّه لم يعد في مقدور الفاطميين بعد أن استقر سلطانهم في مصر و اتخذوها مقرا لهم أن يتدخلوا تدخلا مباشرا في شؤون المغرب [6] .

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص317 .

(2) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، **طبقـــات المشـــايخ بالمغـــرب**، تحقيق إبـــراهيم طـــلاّي، مطبعة البعث، قسنطينة، ج1، ص 138 .

(3) و حول حياة بلكين بن زيري انظر :

المهـــدي بوعبدلي، **العيد الألفي للجزائر و المدية و مليانة و حياة مؤسسها بلقين بن زيري**، محاضرات و تعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، 1972، المجلد الأول، ص 349 .

H.R.Idris, Encyclopédie de L'Islam, T 1, p 1349 .

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، 286 .

(5) حسين مؤنس، تاريخ المغرب العربي و حضارته، ج2، ص 568 .

(6) د/ صـــابر محمد دياب، **سيـــاســـة الـــدول الإســـلامية في حـــوض البحـــر الأبيض المتـــوسط من أوائـــل القرن الثاني الهجري إلى نهـــايـــة الفاطميين**، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1973، ص 127 .

ب – أعمـــال بلكين بن زيري و علاقته بالخـــلافـــة الفاطمية :

كان دخول بلكين بن زيري إلى المنصورية في يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة 362 هـــ / 19 ديسمبر 972 م ، فنزل بقصر السلطان وخرج إليه أهل القيروان وتلقوه ، وأظهروا الفرح بمقدمه والبشر والسرور، فاستقامت الأمور بحسن تدبيره ، ولما رتّب ذلك كلّه رحل إلى المغـــرب في شـــعبان من السنة ، فوصل إلى باغاية فولىّ عليها عاملاً ، وأمره أن يلطف بأهلها ففعل ، فدخلـــوا في الطاعـــة ، ثمّ خالفوا فقاتلهم العامل، فتحصّنوا بمدينتهم ، فهمّ يوسف أن يرجع إليهم ، فوافاه رسول خلوف بن محمد عامله على تيهرت يذكر أنّ أهلها خالفوا ، فسار إليهم وقاتلهم ، ودخل البلد بالسيف في شهر رمضان ، فقتل وسبى ونهب وأحرق البلد ، وأراد الرجوع إلى باغاية ، فأتاه الخبر أنّ زناتة قد نزلوا على تلمسان ، فرحل إليهم فهربوا بين يديه ، فحصر تلمسان مدة فنزلوا على حكمه ، فعفا عنهم من القتل ونقلهم إلى آشير، فبنوا بقربها مدينة سموها تلمسان [1] ، و عاد إلى القيروان بعد أن نهاه المعز عن التوغل في المغرب الأقصى [2] .

و في سنة 367هـــ /977 م عقد له الخليفة الفاطمي على طرابلس و نواحيها [3] ، فزاد ملكـــه و اتسع سلطانه ، و عاد الزناتيون مرّة أخرى للثورة ، فقد زحف خزرون بن فلفل بن خزر الزناتي في هـــذه السنة إلى سجلماسة في جيش كبير فخرج إليه عاملها المعتز فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقُتل المعتز في رمضان و ملك خزرون سجلماسة و أخذ منها أموالا جليلة و بعث خزرون رأس المعتز إلى الأندلس[4] ، و في ســـنة 368 هـــ / 978 م دخل أبو الفتوح المغرب الأقصى و استولى عليه ، و كان رحيله إلى الغرب في شعبان ، فوصل بجيوشه الضخمة إلى فاس فاستولى عليها و ملك سجلماسة و طرد منها عمال بني أمية ، ثمّ رحل إلى سبتة [5] في طلب من لجأ إليها من زناتة ، فلمّا أشرف عليها تأمّل الوصول إليها ، فرأى من تحصينها و منعتها ما لا يستطاع إدراكه إلا بالمراكب البحرية فرجع عنها و لم يعوزه من بلاد المغرب غيرها [6] ، و بهـــذا يكون الزناتيون قد تمكنوا من إثـــارة المتاعب في وجه بني زيري عمـــال

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 332 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 95 .

(2) السيد عبد العزيز سالم، **المغـــرب الكبـــير " العصر الإسلامي**"، دار النهضـــة العربيـــة، بـــيروت، 1981، ج2، ص643 .

(3) ابن عذارى، البيان، ج1، ص230 .

(4) نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

(5) ســـبتة : بلدة مشهورة من بلاد المغرب الأقصى و مرساها أجود مرسى على البحر ، و هي مدينة حصينة ، بينها و بين فـــاس عشرة أيام ، وهي على برّ البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقـــاق (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 182) .

(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص231 .

الفاطمـــيين العبيديين ، و ذلك بمساعدة الأمويين الذين يرون في المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي نادى به الفاطميون نوعا من الكفر و الخروج عن الإسلام ، أي أنّهم يعتبرون حربهم جهادا في سبيل الله (1) .

و إضـــافـــة إلى هـــذه التحديات الخارجية التي واجهها بلكين ، فإن التحديات الداخلية كانت حاضـــرة بقـــوة ، فالمعروف أنّ الخليفة المعز عندما استخلفه أمر الكتّاب أن يكتبوا إلى العمال و ولاة الأشغال بالسمع و الطاعة لأبي الفتوح (2) ، و إلى جانب يوسف بلكين ولّى المعز أيضا على الخراج عبد الجبار الخراساني ، وحسين بن خلف الموصدي وأمرهم بالإنقياد لابن زيري (3) ، و ولّى أبا نصر زيادة الله بـــن عبد الله بن القديم نظر الدواوين بسائر الكور ، و أكّد المعز لدين الله ذلك بقوله :" إني تركت زيـــــادة الله بـــن القديم عونا لك على جميع الأموال بإفريقية " (4) ، وهذا ما سيستثقله بلكين و يعتبره مـــشاركة له في الحكم ، و سيسعى للإطاحة بابن القديم ، و قد سنحت له الفرصة عندما شبّ خلاف كـــبير بـــين عامل المنصوريـــة و القيروان عبد الله بن محمد الكاتب و ابن القديم عامل الخـــلافة على الـــشؤون المالية ،حتى وصفها البعض بالفتنة العظيمة (5) التي أدّت إلى المحاربة ، واجتمع مع كل واحد منهما جماعة ، وكان بينهما حروب عدّة دفعات ، وكان يوسف بلكين مائلاً مع عبد الله لصحبة قديمة بيـــنهما ، ثّم إنّ أبا عبد الله قبض على ابن القديم وسجنه واستبدّ بالأمور بعده وبقي ابن القديم محبوساً حتى توفي المعز بمصر، وقوي أمر بلكين (6) .

ولّما بلغ المعز أنّ يوسف بن زيرى خليفته على المغرب قبض على صاحب خراجه بالمغرب غضب واســـتدعى إسماعيل بن أسباط ودفع إليه كتاباً مختوماً ، وقال له :" أنت عندي موثوق به غير مستراب بـــك ، قل له : يا يوسف تغّير ما أمرتك به وتنسب ما فعلته لي ، والله لئن هممت بالعود إليك لآتينّك ولئن أتيتك لا تركت من آل مناد أحدا بل من تلكاته لا بل من صنهاجة ، أخرج ابن القديم فاردده إلى النظـــر في الخراج على رسمه و امتثل جميع ما أمرتك به ولا تخالف شيئاً منه" ، قال :" فسرت بأحسن حال حتى دخلت القيروان فلم أجده فسرت إليه ، فلما رآني نزل و قبّل الأرض لّما ترجلت له وقبّل بين

(1) حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته، ج2، ص576 .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص228 .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 332 .

(4) النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 95 .

(5) نفسه، ج 24، ص 96 .

(6) ابـــن الأثـــير، المصدر السابق، ج7، ص 332 . وقد قيل إنّ ابن القديم توفي في السجن سنة 366 هـــ / 976 م بعد تعرّضه للتعذيب (ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 230) .

عيني وقـــال : هذه العين الذي رأت مولانـــا وأوصلت إليه السجّل ، فقرأه سرا مع كاتبه وترجمانه ، و أدّيت إليه الرسالـــة بيني وبينه فعهدي به يرتعد وينتفخ ويسود ويقول: نفعل والله ، وكتب بردّ زيادة الله بـــن القديم إلى نظره وأقمنا مدة " ، قال ابن سباط : " فأنا راكب معه ذات يوم إذ ورد إليه كتاب لطيف فقرأه عليه راكبا الترجمان ، فرأيته ضرب الفرس وحركه فأقامه وأقعده وهزّ رمحه في وجوه رجاله يميـــنا وشمالا وجعل يقول : أبلكين أمليح اسم أمه ، أزيرى أمليح اسم أبيه ، أمناد أمليح اسم جـــدّه ، قـــال : فقلت في نفسي : خبر ورد إليه سرّه وأدرت فكري فوقف فيّ أنّ مولانا المعز مات ، فنظر إلي وجهي متغيّرا فأخذني و نزل إلى دار إمارته فأدار إلي وجهه وقال : مالك تغير وجهك ، مات مـــولانا المعـــز فأحسن الله عزاك عنه ، فقال : من أخبرك ، قلت : أنت أخبرتني ، قال: وكيف ! قلت : رأيتك قـــد عملت بعد قراءة الكتاب عليك ما لا أعرفه منك ، فقال: قد صدقت قد مات مولانـــا المعز، قلت لـــه : فـــيقدر أنّ أحـــدا لا يقوى من بعده في مجلسه ، ينبغي أن تنتظر كتاب ولده الذي أتى من بعد فـــسيأتيك ما تحب ، قال : صدقت واكتم ما جرى ، ولكن يا ابن اسباط بعدت مصر من المغرب وقد صـــار المغرب والله في أيدينا إلى دهر طويل ، وأقمت فورد كتاب العزيز إليه يعزيه ويوّليه ، فسرّ وخلع عليّ وسّيرني " [1] .

أما عن رد فعل كتامة من سجن ابن القديم فقد قامت فيها حركة مناهضة لعامل القيروان عبد الله الكاتـــب ، تـــزعمها أحد أنصار ابن القديم يدعى خلف بن خير ، و بدأت حركته في بني هراس حيث اعتصم بقلعة منيعة هناك [2] ، و التف حوله عدد كبير من قبائل البربر ، فسار بلكين إلى المنطقة و أخمد الـــثورة خـــلال أربعة أيام فقط أنهاها بالانتقام من الثوار بالإسراف في القتل حتى جمع سبعة آلاف من رؤوســـهم بعث بها لتشهر في القـــيروان قبل أن يرسلهـــا إلى مصر [3] ، و لكن بمجرّد أن وجّه يوسف بلكين التحذير الشديد بـــبراءة الذمة ممّن يأوي الثـــائر أو يناصره ، تحفظ الكتاميـــون على خلف مع ابـــنه و خمسة من بني عمه و أتوا بهم إلى بلكين فكافأهم ، ثمّ إنّه بعث بخلف و قرابتـــه إلى عبـــد الله الكاتب الذي شهّـــر بهم و صلبهم أحياء قبل أن يضرب رقابهم و يبعث برؤوسهم إلى مصر [4] .

---

(1) المقريـــزي، **اتعـــاظ الحنفـــاء بأخبـــار الأئمـــة الفـــاطميين الخلفـــاء**، تحقيق د/جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإســـلامية لجنة إحياء التراث الإســـلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1996، ج1، ص 233 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص333 .

(3) النويـــري، نهاية الأرب، ج 24، ص 96 . و ذكر المقريزي أنّ عدد الرؤوس التي أرسلت إلى القاهرة و طيف بها بلغت ثلاثة آلاف رأس (المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص 218) .

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 334 .

و هكذا تمكّن يوسف من إضعاف نفوذ العبيدين في مملكته و خطى خطوة عملاقة نحو تحقيق آماله التي أبطنها يوم عرض عليه المعز الولاية لأول مرّة ، و ما هي إلا سنين معدودة حتى أظهر ما كان يخطط لــه ، إنّــه الانفراد بحكم بلاد المغرب ، و لكنّه في المقابل لم يكن متعجلا في ذلك ، حيث حافظ على العلاقــات الشكلية مع القاهرة ، فبمجرّد أن أتاه نبأ تولية العزيز بالله [1] ، إلا و سارع في جمادى الثانية 365هـــ/ فبراير 976 م إلى إرسال هدية إلى الخليفة الجديد مع تجديد البيعة ، و خرج معها ليقوم بتشييعها [2] .

و في سنة 366 هـــ / 977 م نادى عامل إفريقية و القيروان عبد الله الكاتب فاجتمع الناس إليه فأخــذ من أعيانهم نحو الستمائة رجل من أغنيائهم و أغرمهم الأموال بالتعيين ، فأخذ من الواحد عشرة آلاف ديـــنار و مـــن آخر دينارا واحدا ، فاجتمعت له بالقيروان أموال كثيرة ، و عمّ هذا الغرم سائر أعمـــال إفريقية ما عدا الفقهاء و الصلحاء و الأدباء و أولياء السلطان ، و كان الذي جُبي من القيروان نيفا على أربعمائة ألف دينار عينا ، و بقي الأمر كذلك في الطلب إلى أن وصل من مصر إلى أبي الفتوح بـــرفع الغـــرم عن الناس ، فأطلقهم عبد الله الكاتب في أواخر شوّال ، و في سنة 367 هـــ / 978 م بعـــث هـــذا المال إلى ملك مصر العزيز بأمر أبي الفتوح و كتب على كلّ صرّة اسم صاحبها ، فكان خروج المال من المنصورية لخمس بقين من جمادى الآخرة ، و لّما وصل المال إلى مصر ردّ العزيز بعض الصرر لأصحابها [3] ، و لعلّ بلكين فعل ذلك حتى ينسى الخليفة العبيدي العزيز بالله ما فعله بابن القديم متولّي النظـــر في دواوين إفريقية و بـــلاد المغرب ، حيث كان عبد الله الكاتب سببا في نكبة ابن القديم و هلاكه في السجن .

و سارع العزيز بالله إلى إرضاء بلكين و الإقرار بما تحته من أراض ، بل أضاف إليها ولاية طرابلس ونواحيها سنة 367هـــ / 977 م [4] ، و هكذا اتسعت ولاية بلكين حتى وصلت حدود برقة[5] شرقا .

---

(1) العزيز بالله العبيدي : أبو منصور نزار بن المعز بن المنصور بن القائم بن عبيد الله ، صاحب مصر و بلاد المغرب و إفريقية ، ولي العهـــد بمصر سنة365 هـــ / 975 م ، و استقل بالأمر بعد وفاة أبيه المعز لدين الله ، و اتسعت مملكته و وصلت الموصل في شمال العـــراق و خطب له باليمن ، توفي العزيز بالله بعد مرض أصابه في شهر رمضان سنة 386 هـــ / سبتمبر 996 م (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5، ص 371 . ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص 211) .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 229 .

(3) نفسه، ج1، ص230 .

(4) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 318 .

(5) برقـــة : اسم صقع كبير يشتمل على مـــدن و قـــرى بين الإسكندرية و إفريقية (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 388) .

وفي سـنة 369 هـ / 979 م رحل أبو الفتوح إلى فاس وسجلماسة ، فملك ذلك كلّه وطرد منه عمال بني أمية ، ثمّ بعث إلى سبتة في طلب من لجأ إليها من زناتة ، فلقي فيما قرب منها جبالاً شامخة وشعاري غامضة فأمر بقطعها وإطلاق النيران فيها حتى وجد العسكر فيها مسلكاً ، وأمر عساكره بالوقوف ، ومضى هو بنفسه وخواص أصحابه حتى أشرف على مدينة سبتة من جبل عال مطل عليها ، فخاف أهل سبتة منه وغلقوا أبوابهم ، فنظر إليها ورأى منعتها ، فعلم أنّه لا يستطيعها إلا بالمراكب فرجع عنها ومضى يريد مدينة البصرة [1] ، فلمّا علمت به زناتة رحلوا بأجمعهم إلى الرمال والصحاري هاربين منه ، ودخل البصرة وكانت قد عمرت عمارة عظيمة مع بني الأغلب فأمر بنهبها وهدمها ، فهدمّت وأحرقت ، ورحل بعساكره إلى بلد برغواطة [2] ، وكان ملكهم عيسى بن أبي الأنصار شعوذياً ساحراً ، فسحر من عقولهم حتى جعلوه نبياً وأطاعوه في كلّ ما أمرهم به ، وشرع لهم شريعة وأتاهم بغير دين الإسلام ، فاتبعوه فضلّ وأضلّهم ، فغزاهم يوسف أبو الفتوح ، وكانت بينهم حرب شديدة لم يُر مثلها ،كان الظفر للمسلمين ، وقتل عيسى الكافر وتفرقت عساكره ، فقتلوا قتلاً ذريعاً وسبي من نسائهم وذراريهم ما لا يحصى كثرة ، وأرسل بسبيهم إلى إفريقية ، ورجع أبو الفتوح وملك فاس وسجلماسة وجميع بلدان المغرب ، وأقام في تلك النواحي من سنة 369 هـ/979 م إلى سنة 373 هـ / 983 م [3] .

و كان الخليفة العزيز بالله يتدخل في التراعات العائلية أحيانا فقد هرب كتاب و مغنين أولاد زيري سنة 369 هـ/ 979 م من قصر أخيهما السلطان أبي الفتوح الذي كانا محبوسين فيه و قد لبسا ثياب النساء ، و خرجا في نسوة دخلن إليهما لزيارتهما ، فوجدا عبيدهما قد أعدّوا لهما خيلا و سلاحا ، فركبا و مضيا نحو المشرق حتى وصلا مصر فأنزلهما العزيز و خلع عليهما و وصلهما ، و بقيا عنده

---

(1) البصرة : بلد في المغرب الأقصى قرب السوس ، عليه سور ليس بالمنيع ، و لها عيون خارجها عليها بساتين يسيرة ، و أهلها ينسبون إلى السلامة و الخير (ياقوت الحموي، المعجم، ج1، ص 440) .

(2) برغواطة : اسم يطلق على مجموعة من قبائل المصامدة ، وقد استقر هؤلاء في إقليم تامسنا من سلا و آزمور إلى آسفي ، اعتنقت هذه القبائل آراء الخوارج و اشتركت في حروبها ضد العرب ، ظهر فيهم صالح بن طريف ، فأتى بدين جديد ، و زعم أنّه صالح المؤمنين المذكور في سورة التحريم ، و كان ذلك في القرن الثاني الهجري ، و شرع لأتباعه صوم رجب و فرض لهم خمس صلوات في اليوم و خمس في الليلة ، ويوم النحر الحادي عشر من محرم ، و صلاة الجمعة حولها إلى يوم الخميس ، و ألف قرآنا بالبربرية من ثمانين سورة ، و غير ذلك من البدع ، و امتدت دولة برغواطة زمنا طويلا ، و استقلت في تسيير شؤونها ، إلى أن قامت دولة المرابطين فبدأت بجهادهم ، وقتل في حربهم مؤسسها عبد الله بن ياسين ، ولم يبق المرابطون لهم شأن يذكر (أبو عبيد البكري، المغرب، ص 134) .

(3) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 97 .

بقية السنة (1) ، و في سنة 370 هــ / 980 م صرفهما العزيز إلى أبي الفتوح و أمـــره أن يعفو عنهما و لا يتعرض لهما ففعل ذلك (2) ، في حين لم يجب حينمـــا طلب منــــه الخليفة أثنـــاء محاربته زناتة سنة 371هــ / 981 م أن يتخيـــّر ألف فارس من أبطال صنهاجة و على رأسهـــم حبـــوس و ماكسن وزاوي و حمامـــة بنو زيري و يرسلهم إلى القـــاهرة ، و رفض ذلك دون أن يثير العزيز بالله ، معللا رفضه بتغلب بني أمية على المغرب الأقصى و أنّ الدعاء لهم على المنابر ، و أنّه قد خرج لحاربتهم بهؤلاء الرجال ، فإن عزم على بعثهم إليه ترك الغرب و سار بنفسه في جملتهم (3) ، و قبل وفاة بلكين أرسل إليه العزيـــز الفاطمي يطلب منه أن يساعد الحسن بن قنون (4) في إثارة المغرب الأقصى على الأمويين ، و قد نفذّ بلكين أوامر الخليفة ، فقد أمدّ الحسن بن قنون بالمال و وعده بالمزيد في حال ظهور الدعوة ، فاقتحم الحسن و من معه ديار المغرب ، و لم يستطع أن يحقّق أهدافه ، حيث انتهت ثورته هذه بالفشل (5) .

و تـــوفي أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيري يوم الأحد لتسع بقين من ذي الحجة سنة 373هــ/ 24 مـــاي 984 م (6) ، بعـــد أن حكم اثني عشر عاما ، استطاع خلالها أن يدعم وجود الدولة و أن يفرض هيبتها و سلطانها على الأنحاء التي كانت تخضع للنفوذ الفاطمي ، وعارك زناتة ، و استطاع أن يضع اللبنة الأساسية نحو إنشاء دولة بربرية إسلامية في إفريقية و المغرب الأوسط (7) .

و هكذا نرى كيف أظهر هذا الأمير نشاطا واسعا و قام بالمهمة التي عهد إليه الفاطميون القيام بها خـــير قـــيام و لكنّه في الحقيقة لم يكن يخدم الخلافة الفاطمية فقط ، بل كان يثبت أركان ملكه و يمهد لاستقلاله بالمغرب الأوسط كله ، و بهذا يكون قد وفق في إقامة أول دولة بربرية مستعربة كبيرة إسلامية في بلاد المغرب ، و نقطة الضعف في هذه الدولة أنّها قامت على أساس قبلي (8) .

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص 253 . ابن عذارى، البيان، ج1، ص 237 .

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 238 .

(3) نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

(4) الحـــسن بـــن قنون : من بقايا الأدارسة في المغرب الأقصى ، تحالف أولا مع الأمويين ضدّ الفاطميين ، ثمّ تزّعم ثورة فاشلة ضدّ الأمـــويين سنة 362 هــ / 972 م ، استسلم بعـــدها ، و مكث بالأندلس إلى أن رحل إلى مصر سنة 365 هــ / 975 م ، ثمّ عاد إلى المغرب للثورة على بني أمية بتحريض من الفاطميين ، لكنّه فشل هذه المرّة أيضا و هرب ، و أخيرا تمكّن من قتله المنصور بن أبي عامر سنة 375 هــ / 985 م (ابن حيان، المقتبس، ص 79 و ما بعدها) .

(5) مجهول، مفاخر البربر، ص 150 .

(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 239 .

(7) عبد الفتاح مقلـــد الغنيمي، **موسوعـــة تاريـــخ المغـــرب العـــربي**، مكتبة مدبـــولي، القـــاهرة، 1994، ج4، ص 29 .

(8) حسين مؤنس، تاريخ المغرب العربي و حضارته، ج2، ص577 .

3 – العـــلاقـــات الـــزيـــرية الفـــاطمية خلال عهـــد المنصـــور بن بلكين بن زيـــري (374 هـــ – 386 هـــ / 984 م – 996 م) :

أ – ولايـــة المنصـــور و عـــلاقته بزنـــاتة و بعمـّـــاله :

المنصور بن بلكين ثاني الأمراء الصنهاجيين على إفريقية و بلاد المغرب ، يكنى أبو الفتح و يلقب عدة العزيز بالله (1) ، كان واليا بأشير عندما بلغه نبأ وفاة والده بلكين بن زيري ، فتولى الحكم في شهر المحـــرّم ســـنة 374 هـــ / جوان 984 م ، فعقد لعمّه أبي البهار على تاهرت ، و لأخيه يطوفت على أشـــير(2) ، و أول عمل سيقوم به مباشرة بعد توليته ، هو محاولة القضاء على التمرد الدائم للزناتيين في المغـــرب الأقـــصى ، فقد بلغه أنّ زيري بن عطية قد قام هناك و استولى على فاس ، و أصبح أمير زناتة كلّها ، و دعا لبني أمية حكام الأندلس ، فأمر المنصور أخاه يطوفت بالخروج على رأس جيش كبير إلى فاس و سجلماسة لإعادتهما إلى الطاعة ، فوصل إلى فاس و لّما علم زيري بن عطية بقدومه بادر بالهجوم عليه ، فألحق به هزيمة نكراء و قتل من الصنهاجيين عددا كبيرا (3) ، و بعد هذه الهزيمة الكبيرة لم يتعرّض المنصور إلى بلاد زناتة (4) .

و بـــذلك هدأت الصراعات الصنهاجية الزناتية نوعا ما طيلة عهد المنصور تقريبا ، بل سارت في الإتجاه المعاكس ، و يتجلّى ذلك بوضوح عند قدوم الزعيم الزناتي المعروف سعيد بن خزرون سنة 379 هـــــ / 989 م الـــذي كان أباه قد استولى على سجلماسة قبل ذلك طالبا الدخول في طاعة الأمير الصنهاجي ، فأحسن المنصور استقباله و قرّبه إليه و اختصّ به ، و قال له يوما :" يا سعيد : هل تعرف أحـــدا أكرم منّي؟ " ، و كان قد وصله بمال كثير ، فقال له سعيد :" أنا أكرم منك" ، فقال المنصور: "و كيف ذلك "؟ ، قال : " لأنّك جدت عليّ بالمال و أنا جدت عليك بنفسي" (5) ، ثم استعمله المنصور على مدينة طبنة (6) عاصمة الزاب العريقة ، و تأكدّ هذا التقارب بين الرجلين بإقامة علاقـــة مصاهرة

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 239 .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 320 .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 441 . ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 320 .

(4) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 241 .

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص 441 .

(6) طبـــنة : بضم أوله ثم السكون و نون مفتوحة ، و طبنة بلـــدة في طرف إفريقية مما يلي بلاد المغرب على ضفة الزاب ، فتحها القائد المسلم موسى بن نصير ، و ســـورها مبني بالطوب ، و بها قصر و أرباض ، وليس بين القيروان إلى سجلماسة في أقصى المغرب مدينـــة أكبر منها (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 21) .

بيـــنهما ، حيث زوّج المنصور أحد أبنائه بإحدى بنـــات سعيد بن خزرون ، فلامه بعض أهله على ما فعل ، فقال : "كان أبي و جـــدّي يستتبعاهم بالسيف ، أمّا أنـــا فمن رمـــاني برمح رميتـــه بكيس ، حتى تكون مودقم طبعا و اختيـــارا " (1) .

و في سنة 382 هـــ / 992م كان وصول سعيد بن خزرون من طبنة إلى المنصورية فلقيه المنصور و عانقه ثمّ دخل معه إلى قصره و أنزله و أجرى عليه الأرزاق الواسعة ، فاعتلّ سعيد بن خزرون أيـــاما و مـــات في أول رجب ، فكفنه المنصور في سبعين ثوبا ، و في السنة نفسها وصل إلى المنصور فلفل بن سعيد بن خزرون بعد موت أبيه ، فأعطاه ثلاثين حملا من المال و ثمانين تختا من أنواع الكسى و خيلا بسروج محلاة و عشرون من البنود المذهبة ، و ردّه إلى طبنة أميرا عليها (2) .

و بهـــذا يمكن القول إنّ المنصور عرف كيف يغلق على نفسه جبهة من الصراعات التي أنفق فيها أبـــوه و جدّه جهدا كبيرا في محاولة بسط سيادهم عليها دون تحقيق فائدة كبيرة تذكر ، ما عدا بعض الانتصارات الظرفية التي لم تكن حاسمة .

و فيما يخص تسيير الشؤون الدولة الداخلية ، فإنّ العلاقة بين المنصور بن بلكين و عامل العبيديين في القيروان عبد الله بن محمد الكاتب ستشهد توترا لافتا ، خاصة و أنّ هذا الأخير قوي نفوذه و عظم أمره مـــستغلا علاقته الحسنة بالقاهرة ، و ظهر ذلك جليا عندما تمكن من تشكيل حرس خاص به من العبيد السودان ، فقبل وفاة بلكين بن زيري سنة 373هـــ / 984 م كان قد أحاط نفسه بأعداد ضخمة من هـــؤلاء الذين تحصّل عليهم عن طريق إصدار أوامره لمن تحته من العمال و أصحاب الخراج و وجوه رجاله أن يقدّمـــوا له من ثلاثين عبدا إلى ما دون ذلك ، و بهـــذه الطرق تمكن من جمع الألوف منهم و أســـكنهم المنـــصورية (3) ، و هـــذا ما أثار حفيظة المنصور الذي رأى في هذا العمل منازلة له على الـــسلطان و الحكم ، لذلك نراه مباشرة بعد ولايته بعث أخاه يطوفت من مدينة أشير و أمره أن يطوي المـــراحل إلى القيروان و المنصورية برسم القبض على عبد الله بن محمد الكاتب و كان بالمهدية و نائبيه علـــى المنصورية و على القيروان ، فصبّحهم يطوفت سحر يوم الثلاثاء منتصف المحرّم سنة 374 هـــ / 17 جوان 984 م ، فنظر إلى الخزائن مغلقة وإلى بيت المال مقفلا ، و فتح بيت المال و بيت السلاح ، و فرّق على أصحابه ، و ركّب من كان مترجّلا من الصنهاجيين بالمنصورية ، ثمّ خرج و التقى مع عبد

(1) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 441 .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص246 .

(3) نفسه، ج1، ص 238 .

الله الكاتـــب في بعض الطريق ، فوثب عليه و أرجله عن فرســـه و انتهبت أسبابه و اعتقل بالمنصورية أيــامـــا، ثمّ أمر المنصـــور بإطلاقه و رفع يده عن البلد ، ثمّ عاد الأمر إلى عبد الله و ذمّ المنصور فعل أخيه بـــه [1].

وفي يـــوم الاثـــنين 15 المحرّم سنة 377 هـــ / 16 ماي 987 م وصل المنصـــور من أشير إلى إفـــريقية ، ونـــزل في قصره الذي بُني له ، ونزل عبد الله الكاتب وجميع القواد حوله ، ووصل كتاب السلطان نزار إلى المنصور يعلمه أنّه جعل الدعوة لعبد الله بن محمد الكاتب ويأمره بذلك ، ففعل المنصور ذلـــك وأمـــر أن يفرش له قصر السلطان في الموضع المعروف بقصر الحجر وذلك في يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة / الثالث من أكتوبر ، وجلس فيه المنصور وأقرباؤه ووجوه بني عمه ، ثمّ دخل عبد الله فأخذ عليهم الدعوة ، وصار عبد الله داعياً ، فذكر أنّه لّما تمّ هذا له مسح بيده على رأسه وقال : " الآن قـــد خلصت من القتل وأمنت على شعري وبشري" [2] ، فكبر ذلك في نفسه و أصبح يتصرف دون أن يعـــبأ بأحـــد ، و انحصرت أمور المنصور كلّها تحت قبضته ، وعقد الغدر بالأمير الصنهاجي ، وكـــان لا يـــداري أحدا من أولاد زيري و وجوه بني مناد و غيرهم من أكابر الدولة [3] ، مما أثار عليه الأحقاد و الضغائن ، و هذا ما سيكون سبب نكبته ، فالمنصور ليس بخاف عليه ما يحدث ، و إنما همّـــه هو التفكير في الطريقة المناسبة لوضع حدّ لتصرفات عامل الخلافة الفاطمية ، فأمره أن يصطحبه إلى أشير بعد أقام قليلا في رقادة ، و استخلف ابن الكاتب إبنه يوسف على القيروان ، و عندما قدم المنصور إلى العاصمة خرج وجوه أهلها لاستقباله فوعدهم خيرا و أتاه عمال البلاد بالهدايا الثمينة ، و من الواضح أنّ اصطحاب المنصور لعبد الله بن الكاتب معه إلى أشير يعني حرمانه من الاستقلال الذي تهيئه له الإقـــامة في القيروان كممثل شرعي للخـــلافة في القاهرة ، مع إمكـــانية السيطرة على إبنه يوسف في القيروان ، بعد أن يجد نفسه مجـــردا من سنده جوار والده [4] ، و لم يتردد المنصور بن بلكين بعد أن انفرد بعبد الله ابـــن الكاتـــب أن يأمره باعتـــزال ولاية إفريقية ، فقال له : " اعتزل عمل إفريقية واقتصر على الخاتم والكتابة ، وكلّ من تـــولّى فهو متصرف تحت أمـــرك ونهيـــك" ، فكان جوابه أن قال : " القتلة ولا العزلـــة " [5] .

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 239 .

(2) النويري، نهاية الأرب، ج24 ، ص 99 .

(3) نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

(4) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3 ، ص 312 .

(5) النويري، المصدر السايق، ج 24، ص 99 .

و ربمـــا ما كان يظن أن القتل ينتظره ، و أن المنصور لن يجـــرؤ على المساس بعامل الفاطميين ، لكن حدث العكس فقد تمت تصفية ابن الكاتب ، حيث قتل في رجب 377هـــ / نوفمبر 987 م ، و لقـــي إبنه نفس المصير [1] حتى لاتكون له فرصة للثورة أو الاتصال بالعبيديين في مصر، و هذا ما يدّل على عزم المنصور التخلص من أيّ شخص يكون نفوذه في نفس مستوى نفـــوذ الأمير ، ممّا قد يشكّل عائقا أمامـــه في سبيل تحقيق طموحه السياسي المتمثل في الانفـــراد التام بحكـــم الأراضي التي هي تحت سيطرته .

و قد أثار هذا الإغتيال أعمال عنف في القيروان كان وراءها الجنود ، حيث نهبوا الناس و سلبوهم و قطعوا الطريق ، فأخذوا من وجدوا من المسافرين ، فذهبت في ذلك اليوم أموال المسلمين و قتل خلق ممّن دافع عن نفسه و ماله ، ثمّ ولّى المنصور أعمال إفريقية يوسف بن أبي محمد يوم الخميس لخمس بقين مـــن شعبان سنة 377 هـــ / 19 نوفمبر 987 م [2] ، ثمّ عزله و ولّى مكانه محمد بن أبي العرب سنة 382 هـــ / 992 م [3] .

و في ســـنة 379هـــ / 989 م خالف أبو البهار بن زيري عمّ المنصور عليه لشيء جرى عليه من المنـــصـــور لم يحمله لـــه لعزة نفسه [4] ، فسار المنصـــور إليه في تاهرت ، ففارقها عمّه إلى الغرب بمّن معه من أهله و أصحابه و دخل عسكر المنصـــور بن بلكين مدينة تاهرت فانتهبوها ، ثمّ طلب أهلهـــا

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 242 .

وجـــاءت روايـــة النويري تذكر أن ابن الكاتب و ولده قتـــلا في حضرة المنصور و بيده في نفس الوقت ، و نصها كما يلي : " فلمّا كان يوم الأحد 11 رجب 377 هـــ / 05 نوفمبر 987 م ، ركب المنصور فركب عبد الله وهو يقـــول :

و من يأمن الدنيا يكن مثل قابض *** على الماء خانته فروج الأصابع .

فلمّـــا نـــزل المنصور نزل عبد الله فقبل يده ، ثمّ وقف ودار بينهما كلام كثير لم يقف أحد على صحته ، فطعنه المنصور برمحه ، فجعـــل أكمامه على وجهه وقال :" على ملة الله وملة رسوله " ، و لم يسمع منه غير ذلك ، وطعنه عبد الله أخو المنصور برمحه بين كتفـــيه فأخرجه من بين ثدييه ، فسقط إلى الأرض ، ثم أتي بابنه يوسف ، فصاح واستغاث وقال :" العفو" ، فضربه المنصور برمحه ، وضربه ماكسن بن زيري ، وضربه سائر من حضر فماتا جميعاً ، ولما قتلا جاء القاضي وشيوخ القيروان واجتمعـــوا بالمنصور ، فقال لهم :" ما قتلت عبد الله على مال ولا شيء اغتنمه وإنما خفته على نفسي فقتلته " ، فدعوا له بطول البقاء ثم انصرفوا ، ودفن عبد الله وابنه بغيـــر غسل ولا كفن ، وإنّما رد عليهما التراب في إسطبل كان للمنصور بالقرب من قصره " (النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 100) .

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 243 .

(3) نفسه، ج1، ص 246 .

(4) ابن خلدون، العبر، ج6، ص321 .

الأمـــــان فأمنّهم ، ثمّ جـــاوز تاهرت بسبع عشرة مرحلة [1] في طلب عمّه [2] ، و لقي العسكر شدّة و قصد أبو البهـــار زيري بن عطية صاحب فاس الذي كان مـــواليا للمنصور بن أبي عامر[3] المتغلّب على الأندلس فأكرمه و أعلى محلّه [4] ، و لم يلبث أن عاد أبو البهار إلى المنصور بن بلكين بعد اختلافه مع زيري بن عطية الـــزناتي في فاس معلنا الطاعة [5] ، فرحب به المنصـــور و أعطـــاه كسي و جواري و فرشـــا ، و سرّ به أعظم سرور و أنزله أحسن نزول ، و كان وصول أبي البهار إلى مدينة المنصورية ليلة الاثنين منتصف شعبان سنة 383 هـــ / 04 أكتوبر 993 م [6] .

---

(1) المرحلة : وحدة لقياس المسافة ، و مرحلة واحدة تساوي تقريبا 47,5 كلم (محمد فاحوري و صلاح الدين خوام، **موسوعة وحـــدات القيـــاس العـــربية و الإســـلامية**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2002، ص 155) .

(2) ابـــن خلدون، العبر، ج6، ص321 . و بعملية حســـابية بسيطة ، فإنّ سبع عشرة مرحلة تفوق مسافة ثمانمائة كلـــم ، و هي مـــسافة كبيرة تعني أنّ المنصور قد توغل في المغرب الأقصى ، و هذا ما يناقض الخبر الذي يذكر أنّ المنصور لم يغز زناتة بعد هزيمته الكـــبيرة سنة 374 هـــ / 984 م (انظر صفحة 53) . و ذكر ابن عذارى أن المنصور رجع عن تتبع عمّه عند تيهرت التي ولّى عليها أخاه يطوفت ، و مضى إلى مدينة أشير (ابن عذارى، البيان، ح1، ص 244) .

(3) المنصـــور بن أبي عامر : محمد بن أبي عامر ، أمير الأندلس في دولة هشـــام المؤيد ، كان أصله فيما يقال من الجزيرة الخضراء ، و له بها قدر و أبوّة ، ورد شابا على قرطبة ، فطلب العلم و الأدب و سمع الحديث و تميّز في ذلك ، و كانت له همة يحدّث بها نفسه بإدراك معالي الأمور ، ثم علت حاله و تعلق بوكـــالة صبح أم هشام المؤيد ، و زاد في الترقي معها إلى أن مـــات الحكم المستنصر ، و كان هشام صغيرا و خيف الإضطراب ، فضمن لصبح سكون الحال و زوال الخوف و استقرار الملك لابنها ، و استمال العساكر و جرت أحـــوال علت فيها قدمه حتى صار صاحب التدبير و المتغلّب على الأمـــور ، و صحب هشـــام المؤيد و تلقب بالمنصور ، و دانت له الأندلس كلها و أمنت به .

و كـــان محبـــا للعلم مؤثرا للأدب ، و كان لـــه مجلس في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلم للكلام فيه بحضرته ما كان مقيما في قـــرطبة ، لأنه كان ذا همّة عالية في الجهاد مواصلا لغزو الروم ، فقد غزا أكثر من خمسين غزوة ، و فتح فتوحا كثيرة ، و وصل إلى مواقع جمّـــة امتنعت على من كان قبله ، و ملأ الأندلس بالغنائـــم و السبي ، و كان كلما انصرف من قتال العدو يأمر بنفض غبار ثـــيابه التي حضر فيها معركة القتال ، و أن يجمع و يحتفظ به ، فلما حضرته منيّته أمر بما اجتمع إليه من ذلك أن ينثر على كفنه إذا وضع في قبره ، توفي المنصور بن أبي عامر في طريق الغزو في أقصى الثغور بمدينة سالم سنة 393 هـــ / 1002 م (أحمد بن حيان بن أحمـــد بن عميرة الضبي، **بغيـــة الملتمس في تـــاريخ رجـــال الأنـــدلس**، تحقيق إبـــراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1989، ج 1، ص 152) .

(4) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص441 .

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص321 .

(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ح1، ص 246 .

ب – عـــلاقة المنصـــور بالخـــلافة الفاطمية :

مـــن الواضح أن المنصور كان جريئا في إظهار طموحاته السياسية منذ تولّيه الحكم ، و لم يستطع إخفاء ما كان يضمره ، فقد أعلن ذلك أمام مشايخ الدولة و كبار مسؤوليها ، فعندما كان بأشير يتلقّى العزاء في أبيه ، أتى وفد إفريقية و سائر البلاد من مشايخ و كبار جباة الخراج و على رأسهم عبد الله بن الكاتب ممثل الخلافة لأداء العزاء ثمّ التهنئة بالولاية ، فأحسن إليهم ثم قال لهم :" إن أبي يوسف و جدي كانا يأخذان الناس بالسيف و أنا لا آخذ إلا بالإحسان ، و ما أنا في هذا الملك ممن يولّى بكتاب و يعزل بكتاب ، لأنّي ورثته عن آبائي و أجدادي وورثوه عن آبـــائهم و أجدادهم" [1] ، في إشارة إلى خليفة مصر أنّه لا يقدر على عزله بكتاب [2] ، و الظاهر أن هذه العبارات الصريحة و التي توحي بأنّه لا سلطان للخلـــيفة العبيدي عليه أنّها لم تكن ضدّ الخلافة بقدر ما كانت رسالة موجهة لعامل الخليفة عبد الله بن الكاتب و أتباعه ، و ذلك حتى يضع حدّا لطموحاته ، و قد مرّ معنا كيف تمكن المنصور من تدبير عملية ناجحـــة لاغتـــيال عبد الله و إبنه ، و الدليل على هذا أنّ المنصور بعد التخلّص من عبد الله لم يشأ أن يـــدخل في صـــراع مع العزيز بالله الخليفة ، فبعد أن سارع إلى القيروان و سكن رقادة و وولي أعمالها أرسل هدية إلى القاهرة بلغت قيمتها ألف ألف دينار[3] .

و لعلّ أكبر تحدّ واجه المنصور أثناء ولايته ثورة أبي الفهم الخراساني حسن بن نصر ، الذي وفد من القاهرة إلى كتامة بهدف إثارتها و استرجاع نفوذ الخلافة العبيدية على إفريقية ، حيث تجهّـــز أبو الفهم بالخيـــل و السلاح ، و نجح فعلا في ما كان يسعى إليه ، فقد اجتمعت عليه كتامة و أعـــدّوا عدّته من جمـــع العساكر و اتخاذ البنود و ضرب السكة حتى صار خطرا على دولة المنصور[4] .

و قـــد ساعد يوسف بن عبد الله أبو الفهم بأمر من الخليفة في القاهرة ، و نجده في الوقت نفسه يلبّي مطالب المنصور ، حيث كان قد أمـــره في سنة 376هـــ / 986 م ببناء قصر كبير في المنصورية و أمره بالإنفاق عليه من مال الخراج ، فبلغ الإنفاق عليه ثمانمائة ألف دينار[5] ، و لم يستغرق البناء طويلا، إذ نزله المنصور عندما أتى من أشير إلى إفريقية في سنة 377هـــ / 987 م [6] و هذه الإزدواجيـــة في

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص240 .
(2) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص415 .
(3) نفسه، نفس الجزء و الصفحة .
(4) المقريزي، اتعـــاظ الحنفـــاء، ج1، ص263 . ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص431 .
(5) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 99 .
(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص242 .

التعامل من طرف يوسف بن عبد الله ربما كانت إحدى أهم الأسباب التي دفعت بالمنصور إلى اتخاذ قرار اغتياله رفقة أبيه ، خاصة أنّ أبا الفهم زادت قوته و أصبح يشكّل خطرا حقيقيا على الدولة ، ممّا يتطلب تطهير الصف الداخلي قبل الإقدام على أي عمل آخر.

إنّ محاولة إثارة كتامة و إرسال داعية إليها لتولّي مسؤولية هذه المهمة يدلّ على أنّ سياسة العبيديين كانـــت تتمـــثل دائمـــا في إثارة النعرات القبلية و الصراعات الجهوية ، لأنّ الخلافة عاجزة عن إرسال جيوشـــها لـــضمان بسط نفوذها على المنطقة مباشرة ، خاصة في ظلّ التحديـــات التي تواجههـــا في المـــشرق و التي بالنسبة إليها أهمّ بكثير ممّا يجري في المغرب ، و أيضا كان إرسال الداعية أبي الفهم إلى كتامة محاولة استنساخ لتجربـــة الداعي الإسماعيلي الأول أبي عبد الله الشيعي و التي حققت نجاحا لافتا و مكّنت العبيديين من إقامة ملكهم ، فربما قد تعيد كتامة مجدها و هي التي ظلّت تجترّ غيظها و حقدها على الزيريين و صنهاجة الذين استأثروا بالحكم دونهم (1) .

وقـــد حاول المنصور في بداية ثورة أبي الفهم تجريب الحلول السلمية ، فقد اتصل بالقاهرة و أرسل إلى الخليفة في القاهرة العزيز بالله يخبره بخطورة الداعي لعلّه يأمره بالكف عن إثارة الفتنة ، لكن جاء ردّ الخليفة في الإتجاه المعاكس تماما ، حيث ورد من مصر رسولان في سنة 377 هـــ / 987 م ، أحدهما رجـــل كتامـــي يعرف بأبي العزم ورجل من عبيدهم يقال له محمد بن ميمون ، ومعهما سجّلات إلى المنـــصور ، فقـــيل إنهما أمراه عن نزار ألا يعرض لأبي الفهم ولا لكتامة ، فشتمهما المنصور وأسمعهما مكـــروهاً وقـــال :" أبو الفهم وكتامة فعلوا وفعلوا " ، وأغلظ لهما في القول ولمن أرسلهما (2) .

و بعـــد أن أقام السفيران لدى أمير إفريقية المنصور بن بلكين طوال شهري شعبان و رمضان سنة 377هـــــ / ديـــسمبر 987 م و جانفي 988 م ، منعهما من المسير إلى كتامة ، و شرع في الإعداد لعمـــل عسكري حاسم ، فحشد عساكره و خرج نحو كتامة مصطحبا معه سفيري الخلافة مطلع سنة 378 هـــ/ 20 أفريل 988 م ، و كان في هذه الحركة لا يمرّ بمنزل و لا قصر و لا دار إلا أمر بهدمه ، و لّمـــا وصل المنصور إلى كتامة حاربوه فظفر بهم و قتلهم ، و هرب أبو الفهم إلى جبل وعر فأرسل إليه المنـــصور من أخذه ، فلمّا صار عنده أمر بتعذيبه ثمّ قتله (3) ، ثمّ عاد المنصور إلى أشير بعد أن قتل عددا كبيرا من الكتاميين ، ثّم أعاد سفيري الخليفة الفاطمي إلى القـــاهرة (4) لكي ينقلا ما شاهـــداه من قوة

---

(1) إسماعيل العربي، **دولة بني حمّاد ملوك القلعة و بجـايــة**، الشركـــة الجزائرية للنشـــر و التـــوزيع، الجزائر، 1980، ص 81 .

(2) النويري، نهاية الأرب، ج 24، ص 100 . ابن الأثير، الكامل، ج7، ص431 .

(3) ابن عذارى، البيان، ج1، ص243 .

(4) النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 101 .

المنصور و شدّته على الخارجين عليه ، فقد حضرا بنفسيهما قتل أبي الفهـــم و سلخه و أكل لحمه من طرف عبيد المنصور بن بلكين ، و قالا للخليفة : "جئنا من عند شياطين يأكلون لحـــوم الناس " [1] .

و بـــذلك تأكّد أنّ كتامة لم تعد تلك القبيلة القوية التي يمكن الاعتماد عليها مستقبلا ، و ما على الخليفة إلا القبول بالأمر الواقع و التوقف عن محاولة الحدّ من نفوذ الزيريين و إثـــارة الفتنة في الأراضي التابعة لهم ، و قد فهمت الخلافة الرسالة جيدا ، حيث أرسل العزيز بالله إلى المنصـــور رسالة يطيّب بها قلـــبه و أهداه هدية و لم يشر إلى أبي الفهم مطلقا [2] ، وكان من الواضح أنّ سكوت الخليفة عما حلّ بداعيـــته يـــــدلّ علـــى أنّـــــه لا يملك لا الرغبـــة و لا الوسيلة للتدخل في بلاد البربر التي تسير نحو الانفصـــال [3] .

و في ســـنة 379هـــ / 989 م خرج إنسان آخر من كتامة يقال له أبو الفرج لا يعرف من أي موضـــع هو ، و زعم أنّ أباه ولد القائم جدّ المعز لدين الله ، فعمل أكثر ممّا عمله أبو الفهم و اجتمعت إليه كتامة و جرت بينه و بين المنصور حروب كثيرة و وقعات متعددة ، فســـار إليه المنصور و زحف هو أيضا إلى المنصور في عساكر كتامة ، فكان بينهما حرب شديدة انتهت بانهزام أبي الفرج ، ثمّ اختفى في غار في جبل فوثب عليه غلامان كانا له فأخذاه و أتيا به إلى المنصور، فسرّه ذلك و قتله شرّ قتلة [4].

فتدعم نفـــوذ الزيريين الصنهاجيين و صارت إفريقية و بـــلاد المغرب الأوسط خاضعة تماما لهم ، لـــذلك سارع العزيز بالله العبيدي لدعم صلاتـــه بالمنصور حيث أرســـل إليه سجّـــلا بـــولاية عهد المنصور إلى ابنه أبي منـــاد باديس سنة 382 هـــ / 992 م ، فسرّ المنصـــور بن يوسف بلكين بذلك و جاءته الهدايا من كل جهة و مكان [5] .

و بعيدا عن الفتن و الإضطرابات فقد تبادل الفاطميون الهدايا مع المنصور ، ففي سنة 383 هـــ / 993 م وردت القاهرة هدية المنصور بن يوسف بن زيرى من المغرب ، وهي خمس عشرة بغلة مسرجة ومائة وثمانون فرسا ذكورا وخمسون بغلة بأجلة وثلاثمائة بغـــل بأكف منها مائة بغـــال تحمل صناديق الـــمال وخمسمائـــة وخمسة وثلاثون جملا تحمل البر وغيره وثلاثمائة عليها أحمـــال من المال وكـــلاب

---

(1) المقريزي، اتعـــاظ الحنفـــاء، ج1، ص 263 . ابن الأثير، الكامل، ج7، ص431 .

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص431 .

(3) جـــورج مارسي، **بـــلاد المغـــرب و عـــلاقتها بالمشـــرق الإســـلامي في العصـــور الوســـطى**، ترجمة محمد عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، 1991، ص186.

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص440 .

5)

الفصل الثالث

عهد المعز بن باديس وأوضاع البلاد الداخلية

406هـ-454هـ/1016م-1062م

الفصل الثالث : عهـــد المعـــز بن باديس و أوضـــاع البـــلاد الداخلية (406 هـــ – 454 هـــ / 1016 م –1062 م) .

1 – ولادة المعـــز بن باديس و ولايته العرش و علاقاته بآل بيته :

أ – ولادة المعـــز بن باديس :

ولـــد المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي يوم الخميس 05 جمادى الأولى سنة 398 هـــ / 16 جانفي 1008 م حسب ابن خلكان [1] ، و تبعه ابن الأثير فذكر أنّ مولده كان في شهر جمادى الأولى سنة 398 هـــ / جانفي 1008 م [2] ، أما ابن عذارى فقد ذكر أنّ مولده كان في سنة 399 هـــ / 1008 م و لم يذكر اليوم و الشهر[3] ، في حين لم يشر النويري في كـــتابه إلى تاريخ ميلاد المعز بن باديس ، لكن يمكن تحديده من خلال ذكره لعمره أثناء ولايته العـــرش حـــيث ذكر أنّه ولي العرش وله ثمان سنين و سبعة أشهر ، و حدث هذا في شهر ذي الحجة سنة 406 هـــــ / مـــاي 1016 م و بالتالي فإنّ تاريخ ميلاده يكون في شهر جمادى الأولى سنة 398 هـــ / جانفـــي 1008 م [4] ، و كنيته أبو تميم كما جاء في الكثير من المصادر التاريخية ، قال فيه شاعره ابن رشيق [5] مادحا : إلى الملك المعـــز أبي تميـــم *** أمرّ بمن ســـواه فـــلا أعيج [6]

وفي هذا ردّ على ما ادّعاه ابن خلكان أنّ المعز لا تعرف له كنية و لم يعرف إلا باسم المعز فقط [7] .

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج5، ص 233 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 88 .

(3) ابن عذارى، البيان، ج1، ص295 .

(4) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 112 .

(5) ابـــن رشيق : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي مولى الأزد ، كان شاعرا أديبا نحويا لغويا حاذقا كثير التصنيف حسن التأليف ، كـــان أبوه رشيق روميا ، تأدّب على أبي عبد الله بن جعفر القزاز القـــيرواني النحوي و غيره ، ولـــد بالمحمدية سنة 390 هـــــ / 999 م ، و تـــوفي بـــالقـــيروان سنة 456 هـــ / 1063 م عن ست و ستين سنة ، من مؤلفـــاته العمدة في محـــاسن الـــشعـــر و آدابه ، أنموذج الزمان في شعراء القيروان و غيرهما (ياقوت الحموي، **إرشـــاد الأريب إلى معرفـــة الأديب**، تحقيق د/ عمر فـــاروق الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ج3، ص 220) .

و انظر أيضا مقال لـــ : د/عبد العزيز نبوي، **ابن رشيق القيرواني شـــاعـــرا** ، مجلة الثقافة، عدد 49 ، جانفي–فيفري 1979، تصدرها وزارة الثقافة و الإعلام، الجزائر، ص53 .

(6) أبـــو الحـــسن علي بن رشيق القيرواني، **ديـــوان ابن رشيـــق**، تحقيق و جمـــع و شرح د/محي الدين ديب، المكتبـــة العصرية للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ص55 .

(7) ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص233 .

و إذا كـــان نسب المعز بن باديس من جهة أبيه واضح معلوم لا لبس فيه و لا غموض ، فإن أمّه تكاد تكون مجهولة الاسم و الذكر في المصادر التي بين أيدينا ماعدا إشارات سطحية عرضية قليلة جدّا ، فالمـــؤرخ ابن عذارى من القلائل جدّا الذين أشاروا إلى أمّ المعز بن باديس ، فأثناء حديثه عن جنازة أم ملاّل – سيأتي ذكرها – ذكر أنّ السيّدتين الجليلتين الوالدة و الأخت كانتا بحـــال من التشريف لهـــذه الجنازة العظيمة [1] ، قاصدا والـــدة المعز و أخته و مكتفيا بهذه العبـــارة دون أن يزيد شيئا ، ثم نجـــد المـــؤرخ نفسه يعود إلى ذكر الوالدة الكريمـــة مرة ثانية في حوادث سنة 433 هـــ / 1041 م التي شهدت نكبة محمد بن محمود السكاك وكان المتولّي لأشغـــال أم المعـــز ، و ذكر أنّ المعـــز بن باديس هـــو الذي نكبه [2] ، ومنه يمكن القول إنّ أم المعز كانت حيّة حتى سنة 433 هـــ / 1041 م ، و لم تذكـــر المـــصـــادر تاريخ وفاتهـــا ، و تعليل ذلك أنّها لم تحض بجنـــازة مهيبة كغيرها من نساء القصر المـــشهورات لأنّ الأحـــداث بعد سنة 433 هـــ / 1041 م ستعرف تطورات خطيرة جدّا ، الأمر الـــذي يجعـــل الحـــديث عن وفاة أم المعز و الحديث عن تشييع جنازتها حدثا غير مهم ، و الراجح أنّ وفاتهـــــا كانت بعد غزو القبائل الأعرابية بـــلاد المغرب و ما أحدثته من فوضى و اضطراب وتقلّص نفوذ بني زيري .

و أرجـــع بعـــض المـــؤرخين المحدثين سبب إغفـــال ذكرها أنّها لم تكن من بين زوجات باديس الـــرسميات [3] ، و الظاهر أنّ إغفال ذكرها يعـــود بالدرجة الأولى إلى عدم تدخلهـــا مطلقا في شؤون الحكـــم و تـــسيير شـــؤون الدولة و اكتفائها بالإنزواء في قصرها و السهر على شؤون بيتها ، و ليس لكونهـــا جارية مغمورة أو زوجة غير رسمية ، فكم من جارية كان لها دور كبير في تسيير شؤون الحكم في كثير من الدول الإسلامية مشرقا و مغربا و الأمثلة أكثر من أن تحصى .

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص272 .

(2) نفسه، ج1، ص 276 .

(3) هادي روجـــي إدريس، **الدولـــة الصنهاجية " تـــاريخ إفـــريقية في عهـــد بني زيري من القرن 10 م إلى القرن 12 م "** ، تعريب حمّادي الساحلي، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1992، ج1، ص 167 .

ب – ولايـــة المعـــز بن باديس العـــرش :

قبل وفاة باديس بن المنصور كان قد عهد لابن له اسمه المنصور بولاية العهد و لقّبه الحاكم بأمر الله بعزيـــز الدولة و قرئ سجّله بذلك [1] ، غير أنّ المنصـــور هذا توفي و المعركة محتدمة بين باديس و عمّه حمّاد ، و سبب وفاته كما ذُكر أنّه عندما كان في طريقه إلى المهدية عرضت له حمى و ظهر به جدري فأقـــام ســـبعة عشر يوما ثمّ توفي ، فكُتم أمره عن باديس خوفا أن يبدو منه جزع يكون فيه وهن على الدولة فيما هو بسبيله من مقابلة عدوّه ، فبلغ خبر الوفاة إبراهيم و حمّاد بن بلكين فبعثـــا إلى بـــاديس و قالا له :" إنّ ولـــدك الذي طلبت له ما طلبت قد توفي" ، فما ضعضعه ذلك و لا أوهنه و كتب إلى السيّدة أم ملاّل يسألها عن ذلك ، فورد كتابها بوفاته و التعزية عنه و تصف سلامة المعز و حسن حاله [2] رغم أنّـــه لم يسألها عن المعز ، و كأنّها تشير إلى باديس أنّ ابنه المعز هو المؤهّل لأن يكون وليا للعهد ، فكان من صبر نصير الدولة و حسن عزائه ما كثر التعجب به ، و جلس مجلسا عاما للعزاء فكان لا يرى أحدا جزعا إلا و قد سلاّه و هوّن عليه ، فزاد ذلك سرورا لأوليائه و كمدا لحسدته و أعدائه [3] .

و لم تذكر أغلب المصادر أنّ باديس بن المنصور قد عهد لابنه المعـــز بولاية العهد في حياته [4] ، و هـــذا ربمـــا يفسر الإختلاف الذي سيقع عقب وفاة باديس المفاجئة أثناء حربه مع حمّاد في آخر ذي القعدة سنة 406 هـــ / ماي 1016 م ، فما إن تأكدت وفاة الأمير حتى خرج الخادم إلى حبيب بن أبي ســـعيد و بـــاديس بن حمامة و أيوب بن يطوفت و هم كبار القادة فأعلمهم بوفاة باديس ، وكان حبيب من أكبر رجاله و بينه و بين باديس بن حمامة منافسة و عداوة ، فلما أعلمه الخادم خرج حبيب مسرعا إلى باديس و خرج باديس مسرعا إلى حبيب فاجتمعا في الطريق فقال كل منهما لصاحبه :" بيننا عداوة لا تبرح و الأولى بنا في هذا الوقت الموافقة و الإجتماع في تدبير هذا المهم ، فإذا انقضى رجعنا إلى ما كنّا عليه " ، فحضرا و معهما أيوب بن يطوفت و قالا : " إنّ صاحب هـــذا الأمـــر بعيد منـــّا و العدو قريب مشرف علينا ، و متى لم نقدّم رأسا نرجع في أمـــورنا إليه لم نأمن العـــدو على أنفسنا ، و نحن نعلم ميل تلكاتة و صنهاجة المغرب إلى كرامت بن المنصور أخي الأمير باديس " ، فاجتمع رأيهم على تولية كرامت ظاهرا ، فإذا وصلوا إلى موضع الأمـــن قدّمـــوا المعز بن باديس و ينقطع الخـــلاف

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 261 .

(2) نفسه، ج1، ص 263 .

(3) نفسه، نفس الجزء و الصفحة

(4) و انفرد ابن خلدون بالرواية التالية : " و طلب باديس أن يسلم عمل تيجس و قسطنطينة لولده المعز لمّا قلّده الحاكم ولاية عهد ابنه" (ابن خلدون، العبر، ج6، ص 350) ، مخالفا بذلك المصادر الأخرى التي جعلت وليّ العهد المنصور و ليس المعز .

و تصان بيوت الأموال و العدد ، فأحضروا كرامت و بايعوه و كتموا الأمر و أصبحوا و ليس عند أحد مـــن العسكر خبر من ذلك ، و عزموا أن يقولوا للنّاس بكرة إنّ باديس قد شرب دواء ، فلما أصبحوا أغلق أهل المسيلة أبوابها و كأنّما نودي فيهم بموت باديس بن المنصور، فشاع الخبر و خاف الناس خوفا عظيما (1) و أظهروا ولاية كرامت ، و أمر بالكتب إلى سائر الأعمال باسمه و لم يذكر المعز ، فلما رأى عبيد باديس و من كان على مثل رأيهم من الخدم و الأجناد أنكروا ذلك إنكارا شديدا (2) ، فخلا حبيب بن أبي سعيد بأكابر القـــوم و قال :" إنّما رضيناه - يقصد كرامت — و قدمناه على أن يحوط الرجال و يحرس الخزائن و الأموال حتى يسلّم جميع ذلك إلى مستحقّه و هو المعـــز" ، و مشى بعضهم إلى بعض و تحـــالفوا على ذلك سرّا ، ثمّ اتفق الجميع على تقديم كرامت في الخروج إلى أشير ليحشد قبائل تلكاتة و صـــنهاجة ، فـــإذا اجتمعوا رجع بهم إلى المسيلة - المحمدية - فيقطن بها و ترحل العساكر بتابوت باديس حتى يسلّموه إلى ولده المعـــز ، و دفعوا إلى كرامت مائة ألف دينار و خزانـــة ســـلاح و أمتعة و توجّهوا إلى أشير يوم 04 ذي الحجة سنة 406 هـــ / 14 ماي 1016 م (3) .

و في يـــوم الـــسبت الذي وافق عيد الأضحى 10 ذي الحجة 406 هـــ / 20 ماي 1016 م رحلـــت العساكر إلى المحمدية بعد أن أضرموا النار في الأبنية و البيوت و الزروب و قدّموا التابوت أمام البـــــود و الطبول(4) ، و سارت العساكر على تعبئة الزحف مقدمة وساقا و قلبا (5) ، وهذا أمام مرأى حمّاد بن بلكين الذي خاطب أخيه و خاصته قائلا : " مثل هؤلاء يخدم الملوك ، وصلت أنا إلى إفريقية في ثلاثـــين ألف فارس ما منهم إلا من أحسنت إليه و أنعمت عليه ، و عدت إلى القلعة و ما بقي معي إلا أقل من ستمائة و أنا بين أظهرهم أرجى ، و هذا ميت أطاعه هؤلاء كما كان حيّا " (6) .

---

(1) و قد يكون سبب خوفهم هذا مردّه إلى ظنّهم أنّه بموت باديس بن المنصور سينتصر حمّاد بن بلكين نصرا كبيرا و ستدور عليهم الدوائر ، فيعمل حمّاد بن بلكين فيهم قتلا و نهبا و سبيا ، و قد مضى في البحث أن حمّادا اشتهر بالإسراف في القتل (أنظر : صفحة 65) ، و قد ذكره ابن حزم فيمن كان يظهر الخشوع و هو من الطغاة (ابن جزم، **رسائل ابن حزم " نقط العـــروس في تواريخ الخلفـــاء**" ، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة الثانية، 1987، ج2، ص 71) .

(2) و هذا يذكرنا بموقف عبيد باديس بن المنصور الذين كان لهم فضل كبير في تثبيته على العرش (انظر : ص 62) ، لذلك كان الأمراء يستكثرون منهم لأنّ ولاءهم دائما لسيدّهم .

(3) وردت هذه التفاصيل بروايات متشابهة تقريبا في أغلب المصادر التاريخيـــة (ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 88 . ابن عذارى، البيان، ج1، ص 267 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 111) .

(4) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 268 .

(5) النويري، المصدر السابق، ج24، ص 112 .

(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 268 .

و كان وصول العسكر إلى مدينة المهديـــة يوم 08 محرّم 407 هـــ / 16 جوان 1016 م [1] ، و بـــرزت العساكر على بابها ، و ركب المعز و نزل إليه الناس فوجا فوجا حتى كمل سلامهم ، و كان حبـــيب بن أبي سعيد قد قام عن يساره يعرّفه بهم و المعز يسأل عن أحوالهم ألطف سؤال ، فرأى الناس من عقله و إقباله ما ملأ قلوبهم و أقرّ عيونهم ، و أقاموا يركبون إليه في كل غدوة و عشية ثلاثة أيام [2] ، و لم يلبث أن رحل المعز إلى المنصورية فكان دخوله إليها في منتصف المحرم سنة 407 هـــ / 22 جوان 1016 م [3] ، و بالتالي يمكن تحديد تاريخ 15 محرّم 407 هـــ / 22 جوان 1016 م كتاريخ فعلي لبداية حكم المعز بن باديس الدولة الزيرية الصنهاجية و ذلك باتفاق المؤرخين ، فالدخول إلى المنصورية يعـــني الدخول إلى عاصمة الدولة ، و منها تباشر شؤون الحكم ، و كان دخوله دخولا جميلا بين يديه الطبول و البنود و احتلّ بقصره أفضل حلول و قد سرّ به الخاص و العام [4] ، و في هذا الصدد قال ابن شـــرف : لمّا انقضت من المئين أربعـــا *** و بعدها ست سنين تتبع

و أول العام الشريف السابع *** دار إليها أيمـــن الطوالع

باســـم المعـــز الملك الميمون *** مـــذل الكفر و معز الدين

فقلّد الأمـــر الشديـــد المنعة *** منتهضـــا بحمله ابن سبعه [5]

و في يوم الست 20 صفر 407 هـــ / 28 جويلية 1016 م عيّن المعز على رأس الجيش و إدارة البـــلاد محمد بن الحسن الذي كان واليـــا على طرابلس و أضـــاف إليه قابس و نفزاوة [6] و قسطيلية و قفصة [7] ، فبعث عمّاله عليها و عقد لأيوب بن يطوفت على سائر أعمال المغرب [8] .

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص112 . ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 88 . في حين ذكر ابن عذارى أنّ وصول العسكر إلى المهدية كان قبل ذلك و تحديدا يوم 22 ذي الحجة 406 هـــ / 01 جوان 1016 م (ابن عذارى، البيان، ج1، ص 268) .

(2) النويري، المصدر السابق، ج24، ص 112 .

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 268 . النويري، المصدر السابق، ج24، ص 112 . ابن الأثير، المصدر السابق،ج8، ص 88 .

(4) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 268 .

(5) نفسه، ج1، ص 295 .

(6) نفزاوة : بالكسر ثمّ السكون ، مدينة من أعمـــال إفريقية ، ولها ستة أبواب و فيها جامع و أســـواق حافلة ، و هي كثيرة النخل و الثمار و حواليها عيون كثيرة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 296) .

(7) قفـــصة : بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد ، و هي أكثر بلاد إفريقية فستقا و منها يحمـــل إلى جميع نواحي إفريقية و الأندلس و سجلماسة ، و تمير القيروان بأنواع الفواكه ، و حولها أكثر من مائتي قصر عامرة آهلة تعرف بقصور قفصة (ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 382) .

(8) النويري، المصدر السابق، ج24، ص 114 .

ج – عـــلاقـــات المعـــز بن باديس بآل بيته :

عمل المعز بن باديس عل توثيق روابط العلاقات الأسرية بينه و بين أفراد عائلته و يتجلّى ذلك من خـــــلال مـــا ذكره المـــؤرخون من أمثلة كثيرة ، و لنبدأ بعلاقته مع أم مـــلاّل بنت المنصور و أخت باديس أكثر النساء تأثيرا في البلاط الصنهاجي و أكثرهنّ شهرة ، و يطلق عليها اسم السيّدة ، و هي التي كانت تتلقى التعازي من كبار رجال الدولة و القضاة و العلماء و شيوخ صنهاجة إثر وفاة باديس [1] ، و هي التي ستتولّى مسؤولية الوصاية على الأمـــير الصغير بعد تنصيبه على رأس الـــدولة ، و كان المعز متعلقا بها إلى درجة كبيرة ، ففي سنة 414 هـــ / 1023 م لمّا اعتلت أيامـــا كان المعـــز يصلها في كلّ يوم عائدا و متفقدا ، فيجلس عندها و يأذن لرجاله و عبيده يدخلون عليها ثمّ ينصرفون ، فلمّا كان يـــوم الخميس منسلخ رجب سنة 414 هـــ / 16 أكتوبر 1023 م قبضها الله و صلّى على جنازتها بالبنود و الطبول ، و لم ير لملك و لا لسوقة جنازة مثلها [2] .

و جاءت رواية ابن أبي دينار بتفاصيل أكثر عن هذه الجنازة العظيمة ، فقد ذكر أن المعز كفنها بما قيمته مائة ألف دينار و عمل لها تابوت من العود الهندي وزنه ألف مثقال ، و أدرجت في مائة و عشرين ثـــوبا ، و درّ علـــيها من المسك و الكافور ما لا حدّ له ، و قلّد التابوت بإحدى و عشرين سبحة من نفيس الجوهر ، و قوّمت التجار ما صرف عليها فبلغ ما ذكرناه ، و أمر المعز بخمسين ناقة و مائة رأس مـــن البقر و ألف شاة فنحرت و انتهبها الناس ، و فرّق في مأتمها على النســـاء المعوزات عشرة آلاف دينار ، و رثاها شعراء البلاط و كانوا أكثر من مائة شاعر بمراثي جليلة [3] ، و دفنت بالمهدية ثمّ نقلت إلى المنستير إلى مقبرة أمراء صنهاجة المعروفة بمقبرة السيّدة نسبة إلى هذه الأميرة [4] .

و مـــن سيّدات القصر اللواتي اشتهرن كذلك ، السيّدة فاطمة المشهورة بحاضنة باديس و التي كان يكنّ لها المعز حبا خاصا [5] ، و أصلها من بلاد النصارى أسرها بعض غزاة البحر و سيقت إلى المهدية ثمّ إلى القيروان على عهد الأمير المنصور فاشتـــراها بعض الربابنة و أدخلها لحـــرمه ، ولمّا رأى عليها من

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 112 . أما ابن أبي دينار فقد ذكر أنّ السيّدة التي كانت تباشر الأمور و تصرّف الأحوال من رأيها لأهل القـــيروان هي جدّة المعز بن باديس ، و لم يذكر لها اسمـــا و لا لقبا (ابن أبي دينار، المؤنس، ص 103) ، و لعلّ هذا وهم منه .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 272 .

(3) و يذكـــر ابـــن أبي دينار أنّ هذه جنازة جدّة المعز و يجعل تاريخ وفاتها و تشييع جنازتها سنة 411 هـــ / 1020 م (ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 104) ، و ذلك تبعا لما ذكره من قبل أنّ جدّة المعز هي التي تباشر أمور الحكم .

(4) حسن حسني عبد الوهاب، **شهـــيرات التونسيـــات**، المطبعة التونسية، تونس، 1934، ص 44 .

(5) روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج1، ص 177 .

مخائـــل التدبير و الفكر اختصّها لحضانة ابنــــه باديس و من ذلك الحين عرفت باســـم الحاضنة ، وقد أســـلمت و رســـخت عقيدتها حتى اندمجت في صنف الأمـــيرات الصنهاجيات و صارت بينهنّ محـــلّ الرعايـــة و التكريم ، و لّما استتب الأمر للمعـــز رفـــع مقامها و زاد في احترامها تعظيما لحـــاضنة أبيه و مؤدبته ، فنالت فاطمة حظوة كبيرة و اشتهرت بالفضيلة ، و يكفيها فخرا و قفهـــا على جامع عقبة في القيروان الكتب النفيسة و المؤلفات النـــادرة ، و توفيت السيّدة فاطمة في حـــدود سنة 420 هــ / 1028 م و دفنت بما يليق بهـــا [1] .

و نفس الشيء يقـــال أيضا عن زوجة نصير الدولـــة التي ذكرها ابن عذارى و لم يشر إلى اسمها أو لقـــبها أو كنيتها ، فقد أحسن المعز في تجهيز جنـــازتها سنة 412 هــ / 1021 م ممـّـا يدّل على مكانـــتها عـــنده ، فقد كفنها في ما لم يذكر أنّ ملكا من الملوك كفّن في مثله ، فحكى من حضر من التجار أنّ قيمته مائة ألف دينار ، و جعلت في تابوت من عـــود هندي قد رصع بالجـــوهر و كانت لها جنـــازة لم ير مثلها و دفنت بالمهدية ، و كانت مسامير التابوت بألفي دينار[2] .

و لم تكـــن دلائل مودة المعز بن باديس لنساء القصر من أقاربه مقتصرة على تجهيز جنائزهم بما لم ير مثله ، بل سار على النهج نفسه في الأفراح و الأعراس ، ففي شهر رجب سنة 415 هــ / سبتمبر 1024 م أشـــرف المعز على حفل زواج أخته أم العلو ، و جاء هذا الزواج بعد عقد الصلح بينه و بين حمّـــاد حـــيث زفت الأميرة إلى عبد الله بن حمّاد [3] ، و عن تفاصيل حفل العرس فقد ذُكر أنّ الإيوان المعظم للسيّدة الجليلة زُيّن و دخل الناس خاصة و عـــامة فنظروا في صنوف الجوهـــر و الأمتعة النفيسة و أواني الذهب و الفضة ما لم يعمل مثله و لا سمع لأحد من قبله ، قال أبو إسحاق الرقيق :" فبهر الخلق ما عاينوه و أبهتهم عظيم ما شاهـــدوه ، و حمل جميع ذلك إلى الموضع الذي ضربت فيه الأبنية و القباب و الأخبية ، و حمل المهر في عشرة أحمال على أبغل على كلّ حمل جارية حسناء و جملته مائة ألف دينار عيـــنا ، و ذكر بعض حذاق التجار أنّه قوّم ما هو لها فكان زائدا على ألف ألف دينار ، و هذا ما لم ير لامـــرأة قبلهـــا في إفريقية ، و زفت العروسة في يـــوم الخميس و مضى بين يديها عبيد أخيها و أبيها

(1) حـــسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص 47 و ما بعدها . و من جليل أعمالها تحبيسها لمصحف في شهر رمضان سنة 410 هــ / 1019 م و يعرف بمصحف الحاضنة و قياســـه 32 × 46 ، و هو أولّ مصحف وقع تحبيسه على جامع عقبـــة و كـــان محفوظـــا بمكتبته و يوجد حاليا بمتحف دار الآثار التونسية بتونس ، وقد كتب بأمراق الذهب عوض الحبر و بالخط الكوفي على رقّ الغزال المذكى ذي اللون الأزرق ، و رسمه و ذهبّه و جلّده علي بن أحمد الوراق ، و وصف بأنّه مصحف عديم النظير (أحمد بن عامر، **الـــدولـــة الصنهـــاجيـــة**، الـــدار التـــونسية للنشـــر، تـــونس، 1972، ص 56) .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 270 .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 88 .

و جـــدّها و وجـــوه رجال الدولة ، و ســـارت الركبـــان بمحاسن آثاره و امتلأت البلدان بعجائب أخباره" [1] ، و بعد انتهاء الإحتفالات انتقلت الأميرة أمّ العلو إلى سكنى القلعة عاصمة الإمارة الحمّادية فأقامت هناك في أرغد عيش ، إلى أن عـــزم أخوها على محاربة زناتة في طرابلس فاستعان المعز بابن عمّه و صـــهره على قتـــالهم ، و قدم عبد الله و في صحبته قرينته الجليلة ، و بعد أن استراحا قليلا بالقيروان زحف المعز في سنة 430 هـــ / 1038 م إلى زناتة في طرابلس ، فبرزوا إليه و هزموه و قتلوا عبد الله بن حمّاد و سبوا أخته أم العلو ، ثمّ أطلقوها بعد حين إلى أخيها [2] .

و في عهـــد المعز عاد إلى إفريقية أحد أكبر شيوخ بني زيري إن لم يكن أكبرهم في تلك المرحلة ، إنّـــه زاوي بـــن زيـــري الذي كان مقيما في الأندلس رفقة أهله و تحديدا في إمارة مالقة [3] التي كانت خاضـــعة لأســـرة بني حمّود [4] ، و قد قدّم زاوي بن زيري و قومه خدمات جليلة لهذه الأسرة الحاكمة حـــيث أســـهموا في انتصار الحمّوديين بزعامة القاسم بن حمّـــود على الدعيّ الأموي المرتضي ، فتدعم بذلك نفـــوذ بني زيري في إمارة مالقـــة .

و لكنّ هذا النفـــوذ أتى بعد فتن عظيمة دفعت بـــزاوي إلى التفكير في العـــودة إلى وطنه الأصلي و ذلـــك لهـــــول ما عاينه من اقتدار أهل الأندلس في تلك الحـــرب و إشرافهم على التغلّب عليه ما هـــــان ســـلطانه عـــنده بالأندلس ، فعزم على الخروج منها نظرا في عاقبة أمره ، و دعا جماعة قومه مستنـــصحا فعصوه في ذلك لظنّهم بطيبة معيشتهم في الأندلس[5] ، و نسوا أنّ انتصارهم على المرتضي المدعوم من طرف الزناتيين سببه الأول يعود إلى خيانة ملوك الطوائف [6] لسلطانهم أكثر ممّا يعود إلى قوة

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 272 .

(2) حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص 46 .

(3) مالقـــة : مدينة بالأندلس ســـورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء و المرية ، وهي على ساحل بحـــر المجـــاز المعروف بالزقـــاق (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص43) .

(4) بني حمـــّود : وهم من ســـلالة الأدارســـة الحسينيين غير أنّهـــم على الرغم من نسبهم العـــربي فقد عاشـــوا في كنف البربـــر و صاهروهم ، لذلك التف البربر حولهم لاسيما الصنهاجيون و اعترفوا بإمامتهم ، و حكم هـــؤلاء الحمّوديين مناطق جنوبي الأندلس و أهمهـــا مالقة و الجزيرة الخضراء ، و امتدت سلطتهم أيـــام الفتنة على قرطبة و إشبيلية و غيرها (د/محمد سهيل طقّوش، **تـــاريخ المسلمين في الأنـــدلس**، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، 2005 ، ص430) .

(5) أبـــو الحـــسن علي بن بسّام الشنتريني، **الذخـــيرة في محـــاسن أهـــل الجـــزيـــرة**، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الثقافـــة، بيروت، 1979، القسم الأول، المجلد الأول، ص 457 .

(6) ملوك الطوائف : في سنة 422هـــ/1031م سقطت الدولة الأموية بشكل نهائي بعد أن عـــزل آخـــر خلفائها هشام الثالث المعـــتد بـــالله و إجلاء من بقي من الأمويين من قرطبة ، ثم أعلن الوزير أبو الحـــزم بن جهور انتهاء الخلافة الأموية لعدم وجود من يستحقها و صيرورة الأمر شورى بأيدي الوزراء و صفوة الزعماء أو ما أسماه بالجماعة ، و قد أحسن المقري في وصف الأندلس =

الـــصنهاجيين ، وبمـــا أنّ هـــؤلاء غير قادرين على مواجهة الزناتيين الأندلسيين فمن باب أولى أنّهم لا يستطيعون مواجهة التحالف الزناتي الأندلسي ، فلم يبق أمامهم إلا الرجوع إلى الوطن الأم إفريقية [1] .

و بعـــد أن رفـــض أغلب الصنهاجيين الإستجابة لنداء شيخهم عزم زاوي على الرحيل ، فركب البحر بماله و أهله و لحق بإفريقية وطنه بعد أن استأذن المعز بن باديس فأذن له في ذلك ، و حرص جميع بني عمّه بالقـــيروان على رجوعه لهم لحـــال سنّه ، فرحـــل عن الأندلس سنة 410 هـــ / 1019 م و استقلت به سفنه وفيها من ذخائر الأنـــدلس ما يفوت الإحصاء كثرة لعظيم ما خمسه أيام الفتنة [2] ، و كانت مدة اغترابه اثنتين و عشرين سنة ، فخرج إليه يوم وصوله المعز بن باديس بزي عظيم فترجّل له الشيخ زاوي و نزل المعز فسلّم عليه و سار معه حتى أنزله المنصورية [3] و أقرّه في دولته و كنفه ، إلا أنّه لم يؤثره و لا قلّده و لا واحدا من ولـــده شيئا من عمله بل وكلهم إلى سحتهم [4] ، و اكتفى زاوي بن

= فقـــال :" وانقطعت الدولـــة الأموية من الأرض ، و قـــامت الطوائف بعد انقراض الخلائف ، و انتزى الأمـــراء و الرؤساء من البربـــر و العرب و الموالي بالجهات واقتسموا خطتها وتغلّب بعضهم على بعض و استفحل أمرهم وعظم شـــأنهم ولاذوا بالخزي للطاغية يظاهر عليهم و يبتزهم ملكهم ، و أقاموا في ذلك برهة من الزمان حتى قطع عليهم البحر ملك العدوة و صاحب مراكش أمير المـــسلمين يوســـف بن تاشفين اللمتوني فخلعهم و أخلى منهم الأرض "(أحمد بن محمد المقري، **نفح الطيب في غصن الأنـــدلس الرطيب**،شرح و ضبط و تعليق مـــــريم قاسم الطويل و يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1995، ج1، ص419) .

و حـــول ملـــوك الطـــوائف بالتفصيل انظر : محمد عبد الله عنان، **دول الطـــوائف منذ قيـــامها إلى الفتح المـــرابطي**، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس، الطبعة الثانية، 1990 . دائرة المعارف الإسلامية، ج31، ص 9633 .

(1) قال ابن حيّان عن سبب إرتحـــال زاوي إلى إفريقية : " لمّا انهزم المرتضي قـــال زاوي لقومه : كيف رأيتم ما قد خلصنا منه ؟ قالـــوا : عظـــيما ، قال : فلا تناسوه و تغالطوا أنفسكم بعده ، إنّ إنهزام من رأيتموه لم يكن عن قوة منّا إنما جرّه مع القضاء غدر ملـــوكهم لسلطانهم ليهلكوه كما فعلوا ، فإنّي قد عرفت ذلك يوم نزولهم و لذلك كنت أقـــوّي نفوسكم ، و قد نجّـــانا الله منهم بـــرحمته و مضى القوم و لم يعدموا إلا رئيسهم و استخـــلافه هيّن عليهم ، و لست آمن عودهم جملة إليكم فيما بعد فلا يكون لنا قـــــوام بهـــم ، فالرأي الخروج عن أرضهم و اغتنام السلامة مع إحـــراز الغنيمة و الرجـــوع إلى الجملة التي انفصلنا عنها كانفين للعـــيال و الذريـــة مباعدين لهم لما راودنا من أهل جنسنا زناتة ، الأعـــداء لنا في الحقيقة الذين لا يغفلون عنّا و إن غفلت الخليقة لاســـيما و قد قرفنا قرحهم و نبشنا أحقادهم المدفونة ، فإن فرغوا لنا على قلـــة عددنا و ظاهروا علينا الأندلس ، وقعنا منهم بين لحيـــي أسد فاصطلمونا ، و هـــا أنـــا قد أديت لكم النصيحة و أنا راحل عن الأنـــدلس ، فمن أطاعني فليرحل معي ، فلم يساعده أحد فرحل "(ابن بسّام الشنتريني، الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص 258) .

(2) ابن بسّام، المصدر السابق، القسم الأول، المجلد الأول، ص 458 .

(3) ابن عذارى، البيان، ج1، ص269 .

(4) ابن بسّام المصدر السابق، القسم الأول، المجلد الأول، ص 258 . و قال ابن خلـــدون إنّ المعـــز لقيه بأحسن أحـــوال الـــبّر و أنـــزلـــه أرفـــع المنازل من الدولة و قدّمه على الأعمام و القرابة و أسكنه بقصره و أبرز الحرم للقائه ، فيقال إنّه لقيه من ذوات محارمه ألف امرأة لا تحل لـــه واحدة منهنّ (ابن خلدون، العبر، ج6، ص 368) .

زيـــري بالعيش في أمن و سلام تحت حكم المعز الأمير الصغير ، و إن كان عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن زيري آخر ملوك غرناطة [1] قد أكدّ في مذكراته أنّ زاوي بن زيري قد شرهت نفسه إلى ولايـــة إفريقية و أنّه تهيّأ للمسير على سبيل المشاركة للمعز [2] .

و الـــراجح أنّ زاوي لم يقـــم بأي شيء يثير الشبهات حوله و الدليل على ذلك أنّ المصـــادر لم تذكـــر شيئا عن خبره بعد رجوعه إلى إفريقية حتى سنة وفـــاته بقيت مجهولة ، و من المؤرخين القلائل الـــذين ذكـــروا نبأ وفـــاته ابن بسّام في الذخـــيرة الذي نعـــاه بعبارات قاسية حملت في طيّاتها تشهيرا بـــه و حقـــدا دفينا عليه و إشارة إلى أنّه كان مغمورا لا مكانة له بين قومه منذ عودته إليهم ، و نص العبارة كما يلي : " و نُعي إلينا عدو نفسه زاوي بن زيري موقـــد الفتنة بعد الدولة العامرية ، ورد النبأ بمهلكـــه في القـــيروان وطنه بعد منصرفه إليها خاملا مغمورا بين أعاظم قومه لم يرتفع له ذكر بينهم ، مهلكه كان زعموا من طاعونة أصابته ، فالحمد لله المتفرد بإهـــلاكه الكفيل بقصاصه فلقد كـــان من الظلم و الجور و الإستحلال للمحارم و القسوة آية من آيات الله ، أهان الله مثواه و لا قدّس صداه" [3] ، و ذكر الأمير عبد الله أنّ زاوي مات مسموما بعد أن أدرك بعض وزراء المعز نواياه المشبوهة ، و لم يحدّد تاريخ وفاته [4] .

و كان المعز يتبادل الرسائل مع أمراء غرناطة الزيريين ، فقد نقل الأمير عبد الله أنّ جدّه باديس متى كـــان يأخـــذ شيئا من معاقل الأندلس يبلغه من المعز أنّه كان يقول : " يخاطبني صاحب غرناطة بأخذ الكور و القرى ، أمّا لو أنّه أخذ مثل قرطبة و مالقة و ما أشبههما من القواعد لكنّا نبايعه في ذلك" [5] .

و شهدت سنة 412 هـــ / 1021 م وفاة باديس بن يوسف بلكين وصلّى عليه المعز و كان له مـــشهـــد عظيم [6] ، و في سنة 416 هـــ / 1025 م توفي أيوب بن يطوفت الذي كان واليا على المغـــرب و حضر جنازته المعز بن باديس بالبنود و الطبول [7] .

---

(1) غرناطة : من أعظم مدن الأندلس ، بينها و بين قرطبة ثلاثة و ثلاثون فرسخا (ياقوت الحموي، المعجم، ج4، ص195) .

(2) عـــبد الله بـــن بلكين بن باديس بن حبوس بن زيري، **كتـــاب التبيـــان " مذكـــرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة "**، نشر و تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف، القاهرة، 1955، ص 24 .

(3) ابن بسّام، الذخيرة، القسم الأول، المجلد الثاني، ص 588 .

(4) الأمير عبد الله بن زيري، المصدر السابق، ص 25 .

(5) ثمّ قال إنّ كلام المعز جعل جدّه باديس يجد في خبر مالقة ، فلم يزل يعاودها سنين بلا سآمة و لا فترة حتى حصل عليها (الأمير عبد الله بن زيري، المصدر السابق، ص 43) ، لكنّ الأمير عبد الله لم يبيّن هل بايع المعز جدّه بعد الإستيلاء على مالقة أم لا ؟ .

(6) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 270 .

(7) نفسه، ج1، ص 273 .

د – زواج المعز بن باديس :

مـــن طرائف عهد المعز بن باديس أنّه أصبح على رأس الدولـــة الزيرية و لم يختتن بعد ، فقد كان ختانه يوم الأحـــد 20 ذي الحجة 407 هـــ / 19 ماي 1017 م ، و أقيمت بهذه المناسبة الأفـــراح و الإحتفالات ، و قد ختن معه من أبناء الضعفاء عدد كبير و أعطوا الكساوي و النفقة [1] .

و في ســـنة 413 هـــــ / 1022 م تزوّج المعز عندما بلغ سنّ الخامسة عشر من عمره فكان له عرس ما تهيّأ لأحد من ملوك الإسلام [2] ، فقد نُصبت القباب خارج المدينة و نُشر ما هيأ من الأثـــاث و الثياب ، و حُمل المهر على عشر بغال كلّ بغل عليه عشرة آلاف دينار ، و حضر من آلات الملاهي مـــا لا يوصـــف ، و قوّم حذّاق التجار ما حمل للعروسة فكان أزيد من ألف ألف دينار[3] ، و زوجته تسمّى زليخـــاء أم يوسف و كانت من شهـــيرات نساء عصرها حسنـــا و جمـــالا و أوفرهنّ عقـــلا و كمالا [4] .

و في صـــفر سنة 415 هـــ / أفريل 1024 م ولد للأمير المعز ولد فسمّاه كباب [5] ، و بعدها بسنتين أي في سنة 417 هـــ / 1026 م رزق بولد آخر سمّاه نزارا وكتب إلى سائر عمّاله بالبشارة بذلك [6] ، ولّما شبّ هذا الولـــد عهد إليه المعز حرب زناتة ، ففي سنة 433 هـــ / 1041 م وصل الأمير نزار إلى المنصورية قافلا من سفره الذي هزم فيه زناتة [7] ، غير أنّه توفي و هو في زهرة شبابه فقد أدركـــه الأجـــل سنة 438 هـــ / 1046 م و كـــان عمره إحدى و عشرون سنة و أشهرا ، و في الـــسنة نفـــسها ولّى المعز بن باديس عهده ولده الآخر أبا القاسم وكنّـــاه العزيز بالله و هو إذ ذاك ابن ثمانـــية أشهر ، و توفي بعد ذلك و هو ابن ســـنة و ثلاثة أشهـــر[8] ، و على هذا يمكن أن نستنتج أنّ نزارا كان و ليّا للعهد قبل وفاته باعتباره ثاني أكبر أبناء المعز مع افتراض أنّ كباب الذي سبق ذكره قد توفي صغيرا .

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 114 .
(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 270 .
(3) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 104 .
(4) حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص 49 .
(5) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 272 .
(6) نفسه، ج1، ص 273 .
(7) نفسه، ج1، ص 276 .
(8) نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

أمّـــا ولد المعز الذي يكنى به فهو تميم المولود بحضرة المنصورية في رجب سنة 422 هـــ / جوان 1031 م ، و أبـــرزه والـــده للناس و هو ابن سنتين ، و ركب العساكر وراءه و طاف به مدينتي القـــيروان و المنصورية (1) ، و عهد إليه والده بولاية العهد سنة 442 هـــ / 1050 م ، و قبلها بسنة أي في ســـنة 441 هـــــ / 1049 م تحـــرك المعز إلى المغرب الأقصى و ترك ولده تميما على حضرة القـــيروان بالمنـــصورية (2) ، و لعلّه رأى منه ما يسرّه لذلك ولاّه عهده بعد ذلك بقليل ، فقد خطب الخطيب يـــوم الجمعة على جامع القيروان فدعا للسلطان المعز و ولده أبي الطاهر وليّ عهده (3) ، و ولي المهدية في صفر 445 هـــ / ماي 1053 م فأقام بها إلى أن وافاه أبوه المعز ، فقام بخدمته و أظهر من طاعـــته و برّه ما بان به كذب ما كان ينسب إليه (4) ، و قد يكون هـــذا ما دفع المعز بن باديس بعد أن توفي ولده نـــزار في سنة 438 هـــ / 1046 م أن يوليّ عهده لابنه الرضيع أبي القاسم و هو ابن ثمانـــية أشـــهـــر فقـــط ، و تأخرت ولاية العهد لتميم إلى سنة 442 هـــ / 1050 م بعد أن زالت الشكوك و الشبه التي كانت تحوم حوله رغم أنّه أكبر من أبي القاسم الذي توفي صغيرا .

---

(1) ابن عذارى، البيان ، ج1، ص 298 .
(2) نفسه ، ج1، ص 278 .
(3) نفسه، ج1، ص 279 .
(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 354 .

2 – عـــلاقة المعـــز بن باديس بحمـــّاد بن بلكين و بعمـــّاله

أ – عـــلاقة المعـــز بن باديس بحمّـــاد بن بلكين :

لم يـــرث المعز عن أبيه باديس بن المنصور الملك فقط و إنّما ورث عنه أيضا مشاكل كثيرة لعلّ في مقدمـــتها ذلك الصراع الداخلي الدائر بين أفراد الأسرة الزيرية الحاكمة ، فكيف سيكون تعامل الأمير الصغير مع عمّ أبيه المتمرّد ؟ ، و هل سينجح فيما فشل فيه والده ؟ .

إنّ الإنقـــسام الـــذي حدث داخل الدولة الزيرية في عهد باديس بن المنصور أسهم إلى حدّ ما في تشتيت الجهـــود التي كانت تهدف إلى ضبط الأمـــور الداخلية و توسيع نفوذ الدولة و توطيد أركانها ، و قـــد مرّ في البحث كيف بدأ الصراع بين حمّاد و ابن أخيه باديس ، و أنّ الأخير كان قريبا من حسم المعركة لصالحه لولا أنّ المنية عاجلته .

لقد استغلّ حمّاد فرصة وفاة باديس بن المنصور ليبعث الحرب من جديد فانفتحت أبواب المستقبل في وجهـــه وكان يبدو أنّها أُغلقت إلى الأبد ، فإنّ صنهاجة أصبحت اليوم بلا زعـــامة ، و أمّا هو فإنّه يملك قلعته و بجـــانبه أخوه ، و من يدري فلو تمكنّ من استرجاع مدينة أشير قد تلتفّ حولـــه صنهاجة و تلكاتة و يستقرّ له الأمر نهائيا في المغرب الأوسط [1] ، فبعد أن اضطربت الأمور قليلا قبل تولية المعـــز و أثنـــاء إقامة كرامت بن المنصور بمدينة أشير و معه تلكاتة و غيرهم من قبـــائل صنهاجة فما شعر إلا و قد وافاه حمّاد في ألف و خمسمائة رجل ، فبرز إليه كرامت في سبعة آلاف ، فلمّا نشبت الحرب عمد التلكاتـــيون إلى بـــيت المال فانتهبوه و رجعوا إلى أدراجهم ، فكانت الهزيمـــة على كرامت الذي دخل مدينة أشير و حمـــّاد في أثره [2] ، و قد طلب أعيـــان المـــدينة و قـــاضيها من كرامت المقام بها و منع حمّاد عنها [3] ، و هذا ما يبيّن أنّ كرامت لم يكن يرغب في المكـــوث بأشير ، فعلم حمّاد بذلك فاستغلّ الفرصـــة ، و أرســـل إلى كرامت ليفاوضه حول ضمـــان انسحابه سالما من المدينـــة ، و انتهى الأمر باتفـــاق الرجلين على أن يمنح حمّـــاد بن بلكين لكرامت بن المنصور مـــالا و قـــدره ثلاثة آلاف دينار و يرسل معه من يشيّعه من أصحابـــه ، و بذلك استطاع حمـــّاد بن بلكين أن يدخل مدينة أشير و يقتل من أهلها كثيرا [4] .

---

(1) إسماعيل العربي، دولة بني حمّاد، ص 107 .

(2) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 113 .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 88 .

(4) نفسه ، نفس الجزء و الصفحة .

و أمـــام هذه التطورات الميدانية الخطيرة كان لزاما على المعز بن باديس و من يلي مسؤولية تسيير شـــؤون الدولـــة و على رأسهم السيدة أمّ ملال التي كانت تباشر الحكم و تصرف الأحوال أن يتخذوا إجـــراءات عملية سريعة لكبح طموح حمّاد و تدارك الأمر ، فبرز المعـــز إلى رقادة في عساكره و فرّق الأمـــوال يوم الخميس 22 صفر 408 هـــ / 19 جويلية 1017 م ، ثمّ رحل عنهـــا يوم 04 ربيع الأول / 30 جويلـــية من السنة نفسهـــا ، و وصل إليه عدد من القبائل من عسكر حمّاد و من كتامة ، فجـــاء الخـــبر أنّ إبراهيم بن بلكين وقف على باب مدينة باغاية ، فدعا بأيوب بن يطوفت فخرج إليه فعاتبه على ما كان منه ، و ذكـــر أنّهم إخوته و أنّ الذي وقع إنّما بقضاء الله و قدره و قال : "نحن على طاعة سيّدنا المعز ، و قد أردنا أن يتم الصلح على يديك و حمّاد يقرأ عليك السلام و يقول لك : ابعث من تثق فيه أن يحلّفني و يأخذ عليّ من العهود ما يسكن إليه قلبك " ، فانخدع أيوب و دعا بحمامة أخيه و حبوس بن القاسم بن حمامة و أنفذهما إليه ، ثمّ تبعهما تورين غلام أيوب و هو أعز عنده من إخوته ، فلمّـــا وصـــل بهم إبراهيم إلى أخيه حمّاد مضى إلى أخيه فأخبره ، فبعث إليهما من جرّد ما عليهما من الثـــياب و ألقى عليهما ثيابا رثّة ، و قيّدهما بقيدين ثقيلين و أنفذهما إلى القلعة ، و دعا حمّاد بن بلكين بـــتورين الغـــلام فقال له : "هذان ابنا عمّي و أنت فما جاء بك معهما ؟، أردت أن تتحدث فتقول : قـــال لي حمّاد و قلت لحمّاد " ، فأمر به فضربت عنقه (1) .

إنّ مـــا أقـــدم عليه حمّاد من غدر و خيانة و قتل يدلّ على أنّه صاحب شخصية طموحة عنيفة لا يصدّها عن غايتها قـــانون أخـــلاقي أو ديني (2)، و يكون قد شجّعه على ذلك ما حقّقه من انتصارات و صـــغر سنّ المعز ، و اعتقد أنّ العمّة المرأة التي تتولى الوصاية على الأمير ستمنعها عاطفتها من الإلقاء بابن أخيها الصغير في أتون حرب مستعرة أفنى والده سنوات عديدة فيها و لم يضع لها حدّا ، و لا يعلم أحد نتائج هذه الجولة الجديدة من هذه الحرب ، لكن ما حدث كان مغايرا تماما فقد قاد المعز بن باديس الـــذي لم يـــتجاوز العاشرة من عمره الجيش بنفسه حتى انتهى إلى حمّاد ، فاقتتلوا آخر ربيع الأول سنة 408 هــــ / أوت 1017 م فما كان إلا ساعة حتى انهزم حمّاد و أصحابه ، و وضع أصحاب المعز السيف فيهم و غنموا ما لهم من مال و عدد و غير ذلك ، فنادى المعز بن باديس من أتى برأس فله أربعة دنانير فأُتي بشيء كثـــير ، و أُسر إبـــراهيم أخو حمّـــاد و نجا حمّاد و قد أصابته جراحـــة و تفرّق عنه أصحابه (3) ، و بعد هذا النصر الكبير عقد المعـــز بن باديس لعمّه كرامت بن المنصور على أعمال بـــلاد

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 114 .

(2) د/عبد الحليم عويس، **دولـــة بني حمّـــاد**، دار الشـــروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1980، ص 170 .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 89 .

المغـــرب ففرّق عمّالـــه [1] .

ثمّ ما لبث أن عاد المعز إلى المنصورية آخر جمادى الأولى سنة 408 هـــ / أكتوبر 1017 م [2] ، و أيقن حمّاد أنّه منهزم لا محالة و أنّ النصر المنشود أصبح كترا مفقودا ، فما كان أمامه إلا محاولة التقليل من حجم الخسارة التي لحقت به و الحصول على بعض المكاسب ، و لن يكون ذلك إلا بطلب الصلح ، فراسل المعز في ذلك و اعترف بالخطأ و سأل العفو عنه ، فأنفذ المعز من يقف على صحة أمره و صدق طاعته فقد سبق و أن غدر ، فعاد بسمعه و طاعته [3] .

و بات حمّاد في موقف ضعف فقد رضخ لمطالب المعـــز و على رأسها إرسال ولده القائد كرهينة أو أن يأتي هو بنفسه ، و بعد أن حضر إبراهيم و أخـــذ العهود على المعـــز ، أرســـل إليه يعرّفه ذلك و يشكر المعز على إحسانه إليه ، و كدليل من جانب المعز على صدق نواياه أصدر أوامره بإطلاق سراح عمّه إبراهيم من السجن و خلع عليه و أعطاه من الأمـــوال و الدواب وجميع ما يحتاج إليه [4] ، فلمّا بلغ حمّـــاد ذلـــك أرسل ولده القائد وكان وصوله إلى المنصورية منتصف شعبان 408 هـــ / 05 جانفي 1018 م ، فأكرمه و أعطـــاه شيئا كثيـــرا ، و أقطعه المسيلة و طبنة و مرسى الدجـــاج[5] و مقرة [6] و دكمـــة [7] و بلزمة [8] و سوق حمزة ، و أُعطي البنود و الطبول ، و انصرف إلى أبيه في 04 رمضان 408 هـــ ، فلمّا وصل إليه أظهر الطاعة و بقي يتردّد على المعز[9] ، و رضي حمّاد الصلح و حلف عليه

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 115 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 89 .

(3) النويري، المصدر السابق، ج24، ص 115 .

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 89 .

(5) مرسى الدجـــاج : تقع غـــرب مدينـــة بجاية ، و هي مدينـــة عليها ســـور منيع على نحر البحر و ليس لها مرسى مأمـــون ، و بها من رخص الأسعـــار في الفواكه و المآكل و المطاعم مـــا يغرق غيرهم ممّن يجاورهم (ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، ص 77) .

(6) مقرة : مدينة بالمغرب الأوسط في بـــر البربر قريبة من قلعة بني حمّاد ، بينها و بين طبنة ثمانية فراسخ (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 175) .

(7) دكمة : في المغرب الأوسط شرق المسيلة ، قرية لها ســـوق و الغالب عليها كتامة ، و شربها من الآبـــار و غـــلاتهم من القمح و الشعير (ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87) .

(8) بلزمة : في المغرب الأوسط شرق المسيلة ، حصن لطيف فيه رجال جلد و له سور تراب ، و زروعهم تسقى بمائهم ، و هو بلد محدث للعرب ، و هو من الرخص و السعة و كثرة الكراع و الماشية و العز و المنعة في غاية حسنة (ابن حوقل، المصدر السابق، ص 92) .

(9) النويري، المصدر السابق، ج24، ص 115 .

و استقرت الأمور بينهما و تصاهرا حيث زوّج المعز أخته بعبد الله بن حمّاد ، فازدادوا اتفاقا و أمنا [1] ، و وضعت الحرب أوزارها من يومئذ و اقتسموا الخطة و افترق ملك صنهاجة إلى دولتين ، دولة المنصور بن بلكين و أولاده أصحاب القيروان ، و دولة حمّاد بن بلكين و أولاده أصحاب القلعة [2] .

و من نتائج هذا الصلح أيضا ، تركزت جهود المعز على قمع الثائرين من القبائل ، فالحروب بينهم كانت كثيرة و الدماء مسفوكة بسبب اختلافهم ، فلمّا رأوا عساكر السلطان رجعوا إلى السكون و تركوا الحرب و من أبى قوتل ، فقُتل المفسدون في الأرض و أصلح ما بين القبائل [3] .

و بهذا العمل المهمّ و المتمثل في النجاح في إبرام الصلح بينه و بين حمّاد ، يكون المعز قد نجح في إخماد نار الفتنة بين أبناء الأسرة الواحدة ، و إن كانت نتيجة ذلك انقسام ملك صنهاجة إلى قسمين فالمهم بالنسبة للأمير هو تثبيت أركان حكمه و الحفاظ على الدولة قائمة ، و لا ضير إن اقتضى الأمر تقديم تنازلات كبيرة ، كما أنّ الملوك الذين تولوا السلطة بعد بلكين كانوا يطمحون إلى التخلّي عن العبيديين و لا يمكنهم ذلك إذا شغلوا بحرب داخلية بينهم [4] ، و هذا ما أدركه المعز بن باديس .

و ربّما كان لهذا الصلح الأثر الكبير في عودة شيخ بني زيري في الأندلس زاوي إلى إفريقية سنة 410 هـ / 1019 م بعد سنتين من السلام ، فالتأم بذلك شمل الأسرة الزيرية و وضعت الحرب العائلية أوزارها .

و لم يقم حمّاد بعد ذلك بأي عمل من شأنه أن ينقض الصلح بل التزمه التزاما تاما إلى يوم وفاته سنة 418 هـ / 1027 م [5] ، و ولي بعده ابنه القائد ، و عظم على المعز موت حمّاد فقد استقامت له الأمور و أذعن له أولاد عمّه بالطاعة [6] .

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 90 .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 324 .

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 90 .

(4) عبد الكريم غلاّب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ج1، ص 390 .

(5) و كان قد خرج من قلعته متنزها فمرض و مات ، و حمل إلى القلعة و دفن بها (ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 157) . أمّا ابن الخطيب فقد جعل وفاته في سنة 419 هـ (ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص85) ، و تبعه النويري (النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 116) و ابن خلدون (ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 352) .

(6) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 157 .

و اســـتمرت العلاقـــات الودية بين شطري الدولة الصنهاجية ، لكن حدث في سنة 432 هـــ / 1040 م ما أفسد هذا الـــوّد ، حيث خالف أولاد حمّاد على المعـــز بن باديس و عادوا إلى ما كانوا عليه من النفاق و العصيان و الخروج على الطاعة ، فسار إليهم المعز و جمع العساكر و حشدها و حاصر القلعـــة و أقـــام عليهم نحو السنتين [1] ، و لم تذكر المصـــادر شيئا عن تفاصيل هـــذا الحصار و أسبابه الحقيقـــية و لا نـــتائجه ، و جعل ابن خلدون حصار المعز القائد بن حمّاد في القلعة سنة 434 هـــ / 1042 م ، و أنّه دام مدة طويلة ثمّ صالح المعز القائد و انصرف إلى أشير فحاصرها ثم أقلع عنها و انكفأ راجعا ، و راجع القائد طاعة العبيدين لمـــّا نقم عليه المعز بن باديس و لقبّوه شرف الدولة [2] .

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 275 . ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 248 .

(2) ابـــن خلـــدون، العبر، ج6، ص 352 . و قال ابن الخطيب إن القائد بن حمّاد خلع بني عبيد كما فعل ابن عمّه و دعا إلى بني العباس إلى أن هلك في ذي القعدة سنة 446 هـــ / فبراير 1055 م (ابن الخطيب، أعمال الأعـــلام، ص 86) .

ب – عـــلاقة المعـــز بن باديس بعمـــّاله :

في يـــوم 19 صفر 408 هـــ / 16 جويلية 1017 م ولي محمد بن الحسن أمور المعز و جيشه وكـــان قـــبل ذلك واليا على طرابلس و أضيف إليه قابس و نفزاوة و قسطيلية و قفصة فبعث عمّالـــه علـــيها ، و عقد المعـــز لأيوب بن يطوفت على سائر أعمال المغرب [1] ، و لا شك أنّ للسيّدة أمّ ملال الوصـــيّة على الأمير دور كبير في تولية هذين الرجلين تلك المناصب الكبيرة و الحساسة و التي غالبا لا تمـــنح إلا لمن يكون محلّ ثقة الأمير و صاحب ولاء مطلق للدولة ، و لم يستمر أيوب في ولايته طويلا ، فبعد أن انتصر المعـــز على حمّاد عقد لعمّه كرامت بن المنصور على أعمال المغرب ففرّق عمّاله [2] .

و إن كان أيوب بن يطوفت قد تـــوفي سنة 416 هـــ / 1025 م و حضر المعز جنازته بالبنود و الطـــبول [3] ،فـــإنّ مـــصير محمد بن الحسن كان مغايرا تماما ، فالنظام القائم آنذاك في أغلب الدول الإســـلامية كان نظاما ملكيا مطلقا لا مجال فيه لتقسيم السلطات و هذا ما كان يسير عليه المعز ، فكان يرى في أيّ شخص قد يحول بينه وبين ممارسة سلطاته كاملة عدوّ و خطر كبير يجب التخلّص منه بأي طـــريقة كانت ، فكان الوزير محمد بن الحسن أحد ضحايا المعز بن باديس ، حيث حدثت بين الرجلين عداوة و بغضاء سببها الرئيسي زيادة نفوذ الوزير بشكل واضح و كثـــرة ماله ، و أكثر من ذلك كلّه اتصال الوزير محمد بن الحسن بالقـــاهرة مباشرة و كأنّه عاملها على البـــلاد ، و وصف النويري حاله فقـــال :" إنّه استقل بالأمور و جبى الأموال فوقعت إليه أمور الدولة ، فلم يدّخر درهما واحدا في سبع سنين مع ما ورد من الهـــدايا الجليلة ، و انتهت حاله إلى أن أخذ مـــالا من الذخيرة و لم يرد عوضه ، و ضاقت الدولة و اتسعت أمواله و كثرت أبنيته التي لا تصلح إلا للملوك ، و هادى الأكابر بمصر حتى وصل إليه سجّل من الحضرة ، فضاق منه المعز فدسّ إليه بعض خواصه و أشار عليه أن يقتصر في الخدمة و له ما حصلّه من الأموال و الأبنية ، فأبى إلا تماديا و استمرارا ، فقتله المعز يوم 07 ربيع الآخر 413 هـــ / 09 جويلية 1022 م و كتب بالحوطة على أمواله و نعمه و رجاله ، و قلّد القاسم بن محمد بن أبي العرب سيفه و أخرج بين يديه الطبول و البنود و صرف إليه النظر في سائر شؤون إفريقية" [4] .

و هـــنـــاك أســـباب أخرى كانت وراء قتل محمد بن الحسن ، و منها أنّ أخـــاه عبد الله والي طرابلس كان مجاورا لزناتة أعداء الدولة – أي علاقاته حسنة معهم – و كـــان على عـــلاقة واسعة مع

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 113 .

(2) نفسه، ج24، ص 115 .

(3) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 273 .

(4) النويري، المصدر السابق، ج24، ص 115 .

الفاطميين [1] ، وأنّ المعز لا يكاتب ملكا و لا يراسله إلا و يكتب محمد بن الحسن معه نفسه [2] .

و لم تطل ولاية القاسم بن محمد بن أبي العرب كثيرا ، فقد فرض المعز بن باديس جبـــاية الأموال و ولايـــة العمّال و النظر في العساكر و سائر الأشغال لأبي البهار بن خلوف في يوم الثلاثاء 24 جمادى الأولى 414 هـــ / 13 أوت 1023 م ، فحـــسنت الأمور و ضبطت الأطراف و الثغور ، و رأى الأمير من حزمه و كفايته و عزمه و شهامته ما لم يقم به غيره و لا وجد عند أحد سواه بوجه [3] .

و في المقابـــل فإنّ بعض الولاة و العمّال حاولوا استرضاء الأمير لعلمهم أنّ هذا هو الطريق الوحيد الـــذي ينقذهم من غضبه و بطشه و يبقيهم في أعمالهم ، و من هؤلاء والي بسكرة صندل الذي تصرّف تـــصرفا معاكسا لتصرفات محمد بن الحسن ، و كأنّه أخذ العبرة من حادثة مقتل الوزير ، فأدرك السبيل الأمثل لكسب ودّ الأمير ، حيث أرسل سنة 415 هـــ / 1024 م هدية إلى المعـــز الذي وقف عليها فعرضـــت عليه ، و هي ثلاثمائة حصان و مائة فرس أنثى و بغـــلات منها عشرون محلاة بسروج و مائة حمل من المال ، فخلع المعز عليه و جدّد له الولاية على بسكرة [4] .

و استمر المعز بن باديس في سياسته الصارمة تجاه رجال دولته الذين تحوم حولهم الشكوك ، فإمّا يكون مصيرهم القتل أو السجن و أقلّهم عقوبة الذل و الهوان ، ففي سنة 433 هـــ / 1041 م نكب المعز محمد بن محمود السكاك و كان المتولي لأشغال أم المعز ، و استولى بها على دولته [5] .

أمّا سنة 439 هـــ / 1047 م فقد شهدت نكبـــة والي نفطة [6] حبوس بن حميد الصنهاجي ، و طـــولب بمال كثير و نيل بالمكروه و الهوان [7] ، و نفس المصير تقريبا كان ينتظر أحمد بن الحجاج قـــاضي قفصة الذي كان متصاونا [8] ، فبادر بعشرة آلاف دينار[9] فأنقذ نفسه بمال دفعه .

---

(1) F.Dechraoui, **Histoire de la Tunisie le moyen âge**, Société Tunisienne de diffusion, Tunis, p281 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص137 .

(3) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 272 .

(4) نفسه، ج1، ص 273 .

(5) نفسه، ج1، ص 276 .

(6) نفطة : مدينة بإفريقية من أعمـــال الزاب الكبير، و أهلها شراة و وهبية متمردّون (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 296) .

(7) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 276 .

(8) تصاون الرجل و تصوّن ، و الحر يصون عرضه كما يصون الإنسان ثوبه ، فالمتصاون الذي يصون نفسه و عرضه (ابن منظور، **لســـان العـــرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج13، ص 250) .

(9) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 277 .

أمّا القائد عباد بن مروان الملقب بسيف الملك الذي كان من الخاصة فمصيره كان أكثر سوادا من سابقيه ، فقد دفع به المعز إلى أعدائه سنة 441 هـ / 1049 م و أمر باستخراج ماله و القبض على جميع من استعمله في أعماله ، و بعد ذلك ألقي في سرداب مظلم حتى مات فيه [1] .

و كان عامل قفصة لصنهاجة عبد الله بن محمد بن الرند قد ضبط أمورها و قطع عنها عادية الفساد و صالح العرب على الإتاوة ، فصلحت السابلة و استقام الحال ، ثمّ استبدّ بأمره و خلع الإمتثال من عنقه سنة 445 هـ / 1053 م و استمر على ذلك ، فاستفحل أمره و عظم سلطانه و وفد عليه الشعراء و كان معظّما لأهل الدين إلى أن هلك سنة 465 هـ / 1072 م [2] .

و خلع ابن أبي الزمان طاعة المعز ، و لم يخبرنا ابن عذارى عن وظيفته أو مكان خروجه ، و لعلّه كان واليا أو عاملا للأمير ، و حسب الخبر الوارد فإنّ هذا الشخص نافق على المعز سنة 447 هـ / 1055 م ، و هي السنة نفسها التي عرفت مجاعة عظيمة بإفريقية و جهد عظيم [3] .

و أمّا صفاقص فكان واليها من قبل المعز بن باديس منصور البرغواطي و كان فارسا مقداما ، فحدّث نفسه بالثورة أيام تغلب العرب على إفريقية و خروج المعز إلى المهدية ، لكنّه لم ينعم باستقلاله كثيرا حيث قتله ابن عمّه حمو بن مليل البرغواطي غدرا [4] .

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 279 .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 338 .

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 294 .

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 344 .

3 – الإضطرابـــات و المشـــاكل الداخلية في عهـــد المعـــز بن باديس :

أ – الصـــراع مع زنـــاتة :

لقـــد ظلـــت العلاقات بين زناتة و صنهاجة تتجاذبها الحروب و الفتن تارة و الأمن و السلام تارة أخـــرى ، و ذلـــك منذ عهد بلكين بن زيري أول أمراء الزيريين وصولا إلى عهد باديس بن المنصور ، فكـــان مـــن العسير على الدولة أن تضع حدّا لثورات الزناتيين و أن تكسر شوكتهم بشكل تام ، و قد يـــرجع ذلـــك إلى طبيعة قبـــائل زناتة التي لا تعرف للدولة معنى ، و أيضا إلى كونها قبائل رعوية المهم لديها هو الحرّية السياسية و عدم الخضوع لسلطان الدولة ، و التنقّل من أرض إلى أخرى حسبما تقتضي الظروف و الأحوال [1] ، و قد عبّر زاوي بن مناد أحسن تعبير عن حقيقة العداوة بين زناتة و صنهاجة فقـــال و هو يحاول إقناع قومه بالعودة إلى إفريقية و ترك الأندلس :" إنّ زناتة هم الأعداء لنا في الحقيقة الذين لا يغفلون عنّا و إن غفلت الخليقة " [2] .

و إن كانت الحرب في العهود السابقة يمكن أن نقول عنها أنّها كانت سجالا بين الطرفين ، فإنّها في عهد المعز بن باديس كانت الغلبة فيها من نصيبه غالبا ، و قد أوجز ابن خلدون الحروب بين الفريقين في هـــذا العهـــد في أوجـــــز عبارة و أعرض عن ذكر تفاصيلهـــا فقال : " و كانت بينه و بين زناتة حـــــروب و وقائـــع كان لـــه الغلب في جميعها كما هو مذكور" [3] ، و هذا الإجمال في القول جاء بسطه و تفصيله عند غيره من المؤرخين فلا منـــاص من تبيينه ، و ذلك لإدراك دور المعـــز و قدرتـــه على بسط نفـــوذه و سيادته على الأراضي التي هي تحت سيطرته ، خاصة بعد أن نجح في إبرام الصلح مـــع عمّـــه حمّـــاد الذي التـــزم به التزاما تاما ، و بالتالي لم يكن من الصعب على المعـــز قمع جميع الثـــورات و الإنتفاضات الداخلية التي كانت غالبا ما كانت تأخذ صبغة عرقية أو جهوية .

و لم تـــشر المصادر التاريخية إلى ثورات زناتية في السنوات الأولى لحكم المعز، و أول حادثة وقعت كانت في 411 هـــ / 1020 م حيث أغارت زناتة على دواب المعـــز في منطقة قابس ليأخذوهـــا ، و قد نجح عامل المدينة في هزم المهاجمين [4]، و من المستبعد تصنيف هذه الحادثة كمحاولة تمرّد ، إذ من الواضح أنّها إغارة من تدبير بعض قطاع الطرق الزناتيين أغرهم كثرة الدواب فأرادوا الإستيلاء عليها .

---

(1) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي، ج3، ص 394 .

(2) ابن بسّام، الذخيرة، القسم الأول، الجزء الأول، ص 438 .

(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 325 .

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 133 .

و أول عصيان ظهر من زناتة في هذا العهد الجديد كان سنة 413 هـ / 1022 م التي شهدت مقتل وزير الأمير محمد بن الحسن ، فثار أخوه عبد الله بن الحسن عامل طرابلس و غضب لذلك و استعمل زناتة و استعان بهم لعلمه بالعداوة المستحكمة بينهم و بين الصنهاجيين و أنّهم لن يفوّتوا هذه الفرصة ، فبعث إليهم و عاقدهم و أدخلهم طرابلس ، فقتلوا كلّ من كان بها من الصنهاجيين و العسكريين و أخذوا المدينة ، فلمّا انتهى إلى المعز ذلك أمر بالقبض على جميع بني محمد و حبسهم ، ثمّ ظفر محمد بن وليمة بعبد الله فأنفذه إلى المعز فاعتقله ثمّ أمر بقتل الجميع ، و ذلك لمّا استغاثت به نساء الصنهاجيين و أولادهم الذين قُتل أبناؤهم بطرابلس [1] .

و في سنة 418 هـ / 1027 م وردت رسل زناتة وكتامة إلى المعز يطلبون الصلح و أن يقبل منهم الطاعة و الدخول تحت حكمه ، و في هذا دليل على قيامهم بثورة جديدة في هذا السنة ، كما يدلّ أيضا على أنّ كتامة هي الأخرى كانت مصدرا لإثارة الفتن و الإضطرابات أحيانا ، و هذه الرواية من الروايات القليلة التي تشير إلى حدوث عصيان في قبيلة كتامة خلال عهد المعز ، و قد يكون للعبيديين في القاهرة دور ما في هذا العصيان لكن ليس هنالك ما يدلّ على ذلك في المصادر ، و يمكن الإستنتاج أنّ حلفا ربما كان قائما بين كتامة و زناتة هدفه الإطاحة بحكم المعز ، لكنّه لم يصمد أمام قوّة الدولة الزيرية آنذاك ، لذلك نجدهم سرعان ما عادوا إلى الطاعة ، و كمحاولة منهم للخروج ببعض الغنائم من هذه المبادرة للصلح اشترطوا أن يقوموا بحفظ الطريق ، فأعطوا العهود و المواثيق و جاءت مشيختهم فقبلهم المعز و أنزلهم و وصلهم ، و أجابهم إلى ما سألوا وبذل لهم أموالا جليلة [2] .

أمّا في سنة 420 هـ / 1029 م فقد بلغت أطماع الزناتيين مبلغا عظيما حيث دفعتهم إلى التفكير في مهاجمة عاصمة الدولة و مقر الحكم ، فزحفت جموعهم تريد حضرة القيروان طمعا منها في الملك [3] ، و هذه هي المرة الأولى التي تشهد فيها القيروان تهديدا عسكريا مباشرا منذ أن تولى المعز الحكم ، الأمر الذي دفعه إلى الخروج بنفسه عل رأس الجيش للقتال دفاعا عن حاضرة ملكه ، فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحمديس الصابون ، و وقعت الحرب بين الفريقين و اشتدّ القتال ، فانهزمت زناتة و قُتل منهم عدد كبير و أُسر مثلهم و فرّ باقيهم إلى الغرب [4] ، و عاد المعز ظافرا غانما [5] .

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 116 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 157 .

(3) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 274 .

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 205 .

(5) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 274 .

و تكررت نفس الأحداث تقريبا في سنة 427 هـ / 1035 م ، فالزناتيون لا يكلّون و لا يملّون و لا يركنون إلى الطاعة أبدا رغم ما لحق بهم من هزائم ، فقد تجمعت زناتة و أعادت تنظيم صفوفها من جديد و زحفت في خيلها و رجلها تريد المنصورية ، فلقيها جيوش المعز فظهرت زناتة و انتصرت ورحلت إلى ما بين المنصورية و القيروان [1] ، و هذه من الهزائم القليلة التي عرفها المعز في حربه ضد زناتة ، و لكنّه عرف كيف يتدارك الأمور بسرعة ، و اكتفت زناتة بما حققته من نصر ظرفي زادها ثقة بالنفس و قدّرت أنّ الدخول إلى العاصمة و القضاء على المعز بن باديس أصبحت مسألة وقت فقط ، و في اليوم الموالي نشب القتال من جديد و حرّض بعضهم بعضا ، فصبرت صنهاجة و انهزمت زناتة هزيمة قبيحة و قُتل منهم عدد كبير و أُسر خلق عظيم ، و تعرف هذه الوقعة المشهورة بوقعة الجفنة حسب ابن الأثير[2] ، أمّا ابن عذارى فلم يذكر لمن حسمت المعركة و قال إنّ صنهاجة ثبتت و زناتة ثبتت [3] .

ثمّ أعقب ابن عذارى ذكر أحداث هذه السنة بحرب السنة الموالية 428 هـ / 1036 م بين المعز و زناتة ، و أنّ المعز كسر زناتة و هزمهم و قتل منهم خلقا كثيرا [4] ، فهل هذه الحرب لها صلة بحرب سنة 427هـ / 1035 م ؟ ، و هل هي امتداد لها بحيث لم يستطع المعز حسم الأمر لصالحه إلا بعد حرب امتدت سنة كاملة ؟ ، أم أنّها حرب منفصلة و حملة أخرى لزناتة تمكن فيها المعز من الانتصار مجددا كعادته ؟ ، و جاءت رواية ابن الأثير عن أحداث سنة 428هـ / 1035 م تبيّن أنّه في هذه السنة عاود المعز حرب زناتة بإفريقية فهزمهم و أكثر القتل فيهم و خرّب مساكنهم [5] ، و بالتالي فإنّه يجعل أحداث سنة 427 هـ/ 1035 م منفصلة عن أحداث سنة 428 هـ/ 1036 م .

و في سنة 429 هـ / 1037 م خرج عسكر المعز من القيروان إلى الزاب ففتح مدينة نورس و قتل من البربر خلقا كثيرا ، و فتح من بلاد زناتة قلعة تسمى كردوم [6] .

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 275 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 221 .

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص275 .

(4) نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص225 .

(6) نفس المصدر، ج8، ص228 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص116 .

و سبق الحديث عن مقتل عبد الله بن حمّـــاد زوج الأميرة أخت المعز ، و أنّ سبب ذلك حملة ضد زناتـــة في طـــرابلس هُزم المعـــز فيها و سُبيت أختـــه الأميرة التي أُطلق سراحها بعد حين [1] ، و لم تـــشـــر المصادر إلى كيفية إطلاق سراحها ، هل تمّ دفع فديـــة مقابل ذلك ؟ ، أم حدث بعد حملـــة عسكرية أخرى ضد زناتة ؟ .

و لم يكـــن المعز بن باديس وحـــده الذي يقـــود المعركة ضد زناتة فقد عهـــد لابنه نزار بهذا الأمـــر ، ففي سنة 433 هـــ / 1041 م وصل الأمير نزار إلى الحضرة قافلا من سفره الذي هزم فيه زناتة [2] .

أمّا سنة 441 هـــ / 1049 م شهدت تحرك الأمير المعز بنفسه إلى المغرب الأقصى و ترك ولده أبا الطاهر تميم على حضرة القيروان بالمنصورية [3] ، و من المعلوم أنّ المغـــرب الأقصى كـــان للزناتيين فـــيه قـــــوة و سطوة ، إذا فلا شك أنّ هذا التحرك كان لقتالهم و أنّه ربما كان في إطار تحالف زيري حمّادي ضد زناتة ، فأراضي المغرب الأوسط في هذا التاريخ تحت سلطة أبناء حمّاد .

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص 46 .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص276 .

(3) نفسه، ج1، ص278 .

ب – المشـــاكل الداخلية و الصراعـــات الإقليمية :

لم تكـــن قبيلة زناتة وحدها مصدر المشاكل الداخلية و الإضطرابات الإقليمية في عهد المعـــز بل تعددت مصادرها و تنوعت ، و إن عرف الأمير كيف يتعامل معها فإنّها في المقابل أسهمت إلى حدّ ما في تعكير حالة الأمن و الإستقرار التي شهدها الدولة قبل غزو الأعراب .

و جـــاء في كتاب ابن عذارى روايـــات عن الأحداث التي كانت إفريقية مسرحا لها خلال هذا العهـــد مبيّنا أسباها و تفاصيلها أحيـــانا و معرضا عنها في أغلب الأحيان ، فكانت رواياته مقتضبة لا تشفي غليل الباحث و لا تروي ظمأه ، في حين لا نجـــد في المصـــادر الأخرى غير إشـــارات سطحية أو عبارات موجزة لا تسهم في معرفة المزيد عن تلك الوقائع و الأحداث .

فقـــد شهدت إفريقية غلاء كبيرا سنة 409 هـــ / 1018 م إضافة إلى الحروب الكثيرة ، و في سنة 411 هـــ / 1020 م جاءت سحابة شديدة الرعد فأمطرت حجرا لم ير أهل إفريقية مثله كـــبرا و كثـــرة و وقعت معه صاعقتان [1] ، و الشيء المؤكد أنّ هذه الكارثة قد خلّفت خسائر مـــادية على الأقل ، و ثار العامة في القيروان فوقعت بينهم و بين الأجناد فتنة أسفرت عن قتل نحو المائتين من العامة سنة421 هـــ / 1029 م [2] ، و لم توضح الرواية سبب هذه الفتنة ، و هل الجند تحركوا و قتلوا هذا العـــدد الكبير من السكان بأمر من المعز؟ ، أم أنّ عامل القيروان تصرف من تلقاء نفسه و لم يعلم المعز بحجـــم الخسائر إلا بعد وقوعها ؟ ، وفي سنة 423 هـــ / 1031 م كان بين أهل تونس [3] خلاف ، فسار المعز إليهم بنفسه فأصلح بينهم وسكّن الفتنة وعاد [4] .

و جـــاءت المجاعة الكبيرة التي حلت بإفريقية سنة 425 هـــ / 1033 م [5] لتضيف مشكلا آخر للدولة ، خاصة إذا أضيف إلى ذلك كلّه الوباء الجارف الذي أصاب البوادي و الحواضر في السنة نفسها و حـــصل معه فناء كبير في السكان ، و لا أدّل على ذلك من العمل الخيري الذي قامت به أم يوسف زليخاء زوج المعز التي تصدّقت على موتى الفقـــراء بستين ألف كفن احتسابا لله تعالى [6] ، فالخســـائر

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص269 .

(2) نفسه، ج1، ص 275 .

(3) تونس : مدينة عريقة مزدهرة تقع على مسافة 20كلم من مدينة قرطاجة التاريخية ، من أشهر معالمها مسجد الزيتونة الجامع على الطراز الأموي (ياقـــوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 60 . عبد الحكيم عفيفي، موسوعة ألف مدينة إسلامية، ص 174) .

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8 ، ص 205 .

(5) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 275 .

(6) جسن حسني عبد الوهاب، شهيرات التونسيات، ص 50 .

كانت عظيمة جدا ، و لاشك أنّ سنة 425 هـ / 1033 م كانت من أشـدّ السنوات قسوة على المسلمين في إفريقية أثناء عهد المعـز بن باديس .

و في سـنة 429 هـ / 1037 م خرج الأمير من القيروان إلى الزاب فقتل من البربر خلقـا كثيرا [1] ، و أمر في سنة 430 هـ / 1038 م بهاجمة جزيرة جربة [2] ، ففتحت و قتل رجالها و أسر مقـدّمهم ابن كلدة ، و صُلبوا جميعا لقطعهم الطريق و سوء اعتقـادهم [3] ، و قتل عددا من شيوخها الإبـاضية و من بينهم أبو عمرو النميلي [4] ، و لم تلبث أن تعقدت الأمور مرة أخرى في الجزيرة و ذلك في عام 431 هـ / 1039 م ، فقد دخلتهـا جيوش مالطة [5] و قتلت من أهلها كثيرا [6] ، و لم يذكر ابـن عـذارى أنّ المعز قد سّير حملة لاسترجاع الجزيرة ، و هذا ما يؤشّر إلى أنّ المهاجمين سرعـان ما انسحبوا منها بعدما حققـوا أهدافهم و المتمثلة أساسـا في القتـل و السبي و النهب .

و وردت رسـل المعز إلى القيروان سنة 437 هـ / 1045 م تخبره أنّه أوقع بلواتة و قتل منهم عددا و غنم منهم أموالا ، فضربت الطبول على ذلك [7] ، و امتدت الإضطرابات إلى جماعات تلكاتة ، فقد قامت حرب طائفية بين جماعات من قبائلها طال أمدها و أسفرت عن وقوع العديد من القتلى [8] .

و في إحدى الإحتفالات التي كانت تقام في القيروان ركب المعـز في أحفـل جمع و أحسن زي و خرج إلى ظاهر المدينة سنة 441 هـ / 1049 م و أخرجت السباع بين يديه فأفلت منها سبع ، فانهـزم الـناس أمامه و وقع بعضهم على بعض فمات منهم نحو المائتين ، و وثب السبع على رجل من كـتّاب باب الغنم فقتله [9] ، و كثرة الموتى تدل على حجم الخوف و الفزع الذي أثاره انفلات السبع فأحدث تدافعا كبيرا أدّى إلى هذه الكارثة .

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 275 .

(2) جزيـرة جـربة : جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية قرب قابس ، فيها بساتين كثيرة ، و أهلها مفسدون في البر و البحر و هم خـوارج (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 118) .

(3) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 116 .

(4) الدرجيني، طبقات المشايخ، ج2، ص 365 .

(5) مالطة : جزيرة فيها مرسى مأمون يفتح إلى الشرق ، و فيها مدينة ، و هي كثيرة المراعي و الغنم و الثمـار و العسـل ، و بينها و بين أقرب برّ من صقلية على موضع يقال له أكرنتة ثمانون ميلا (الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص 588) .

(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 275 .

الفصل الرابع

الانفصال عن الدولة الفاطمية

الفصل الرابع : الإنفصـــال عن الـــدولة الفـــاطمية .

أولا : قتـــل الشيعـــة في إفريقية و بلاد المغرب .

1 – أحـــداث سنة 405 هــ 1014 م :

لقـــد بـــذلت الدولة الفاطمية العبيدية جهـــودا كبيرة جدّا من أجل نشـــر عقيدتـــها في بـــلاد المغـــرب ، و نجحـــت في تحقيق هذا الهدف على الصعيد السياسي ، ساعدها في ذلك جهـــود دعـــاة الإسماعيلـــية الـــذين لم يدّخـــروا جهدا في سبيل خدمة عقـــائدهم ، لكن برزت في الإتجـــاه المعاكس مقاومة سنّية تزعمها علماء السنّة المالكية خاصة في القيروان الذين وقفوا بالمرصاد لمحاولات تشييع العامة، و تـــروي كتب التاريخ عامة و التراجم خاصة أشكالا عديدة من المقاومـــة المختلفة للعبيديين — و قد رأيـــنا بعـــضها – و ذلـــك منذ أن وطأت أقـــدام عبيد الله القيروان و إعلانه قيـــام دولته و اتبـــاعه سياســـة العنف و الإكراه لنشر مذهبـــه .

و ظلّ المذهب الشيعي الرسمي متغلبا على مذهب السنة ما بقي العبيديون في إفريقية ، و لكن بعد رحيل المعـــز الفاطمي إلى المشرق و في رفقته جزء مهم من قبيلة كتامة ، فقد هـــذا المذهب دعامته بل و أسباب وجوده و نعني به عصبية القبيلة و نفوذ الدولـــة [1] ، و قد تحدّى علماء المالكية بني زيري من أول يوم و استضعفوا المشارقة من أهل إفريقية من يوم ارتحل عنهم ممثلوهم الحقيقيون ، فما طال الزمن حـــتى تمكنوا من إعادة كلّ أمر إلى نصابه ، فطهرّوا معتقدات الناس من كل ألوان الشبهات و البدع ، فـــصفى الجو للعقيدة الإسلامية البسيطة الواضحة التي لا تقبل تأويلا و لا تستسيغ تعقيدا [2] ، و هذا لا يعني بالضرورة القضاء نهائيا على التشيّع في بـــلاد المغرب فالشيعة الروافض[3] موجودون في المنطقة ، ممّا يعني أنّ أسباب الصراع لا تزال حاضرة بقوة ، و مجرّد احتكاك بسيط بينهم و بين أهل السنة قد يكون الشرارة الأولى لإشعال نار الفتنة التي لا يمكن التنبؤ بنتائجها إطـــلاقا .

(1) إسماعيل العربي، دولة بني حماد، ص 109 .

(2) عبد العزيز المجذوب، **الصراع المـــذهبي في إفريقية إلى قيـــام الـــدولـــة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الثانية، 1985، ص 223 .

(3) و سبب تسميتهم رافضة أنّهم سألوا زيد بن علي ين الحسن بن علي بن أبي طالب عن أبي بكر و عمر رضي الله عنهما فترحمّ عليهما ، فرفضه قـــوم فسمّوا رافضة لرفضهم إيّاه ، و سمّي من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم إليه ، و قد بينّ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القيّم منهاج السنة النبوية بالتفصيل عقائد الشيعة الإمامية الرافضة (أبو العباس أحمد بن تيمية، **منهـــاج السنّة النبوية في الـــرّد على الشيعـــة و القـــدرية**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1904، ج1، ص 8 و ما بعدها) .

و جــاءت الحرب الداخلية التي اندلعت بين باديس بن المنصور و عمّه حمّـــاد ليعيد الصراع بين السنة و الشيعة إلى واجهة الأحداث ، حيث عمل حمّـــاد فيما يبدو على استغلال عاطفة السكان الدينية و بغــضهم للــشيعة لأغراضه الشخصية ، فقد نقل ابن خلدون أنّ حمّـــادا خالف دعـــوة باديس بن المنــصور ســنة 405 هــ / 1014 م و قتل الــرافضة و أظهر السنّة و رضي عن الشيخين و نبــذ طاعة الفاطميين و راجع دعوة آل العباس ، و أنّــه زحف إلى باجة فدخلها بالسيف و دسّ إلى أهـــل تونس الثـــورة على المشارقة و الرافضة فثـــاروا بهم [1] .

و هـــذه هي المرّة الأولى التي تشهد فيها إفريقية أعمالا مناهضة للشيعة بهذا الحجم ، و بذلك يعتبر حمّاد أول من قام بعمليات تصفية جسدية ضدّ هؤلاء في المنطقة ، و لا يمكن وضع هذه الأعمال إلا في إطـــار المناورة السياسية الهـــدف منها نشر الفوضى و الإضطراب ، خاصة و أنّ حمّاد بن بلكين عرف عـــنه إسرافه في القتل بغض النظر عن الإعتقاد أو العرق ، و كذلك يمكن القول إنّ ما قام به عبارة عن دعـــوة مبطّـــنة لأهـــل القيروان حاضرة البلاد و معقل أهل السنّة لقتل الشيعة المتواجدين فيها و الذين ساموهم ســـوء العذاب لعقود طويلة ، و بالتالي إثارة الفتن في عقر دار ابن أخيه الأمير و إفساد ما بينه و بين القـــاهرة .

و قد وصل صـــدى هذه الأحداث الداميـــة إلى باديس بن المنصور فحملها على محمل الجـــدّ ، و الدلـــيل علـــى ذلك ما أمر به في القيروان ، فقد نادى منادٍ سنة 405 هــ / 1014 م في المدينة بانـــتقال مـــن كان بها من الصنهاجيين إلى المنصورية ، ثم نادى منادٍ آخر بإغلاق الحوانيت و الفنادق فأغلقـــت ، و لم يـــبق إلا بعض حوانيت الأحباس فأُغلقت [2] ، و هذا الإجراء الإحترازي بتعبير العصر يفسّر حجم التخوف الذي كان يسود حكـــام القيروان باعتبارهم مسؤولين عن البـــلاد و أمنها أولا ، و ثانـــيا باعتـــبارهم عمّالا للفاطميين و من واجبهم حماية الرعايا الشيعة و ضمان أمنهم ، كما ينبغي الـــتذكير بأنّ ما صدر من أوامر للصنهاجيين دون غيرهم يدخل في إطـــار حرص باديس على حمـــاية عصب الدولة و ضمان سلامتهم و إبعادهم عن كلّ أشكال الخطر .

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 351 .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 261

2 – أحـــداث سنة 406 هــ/ 1015 م :

لحسن حظ باديس أنّ أعمال التقتيل و النهب التي شهدتها سنة 405 هــ / 1014 م لم تمتد إلى القيروان لكنّها تجدّدت في مدينة تونس سنة 406 هــ / 1015 م ، و إذا كان المحرّض عليها في السنة الـــتي قـــبلها حمّاد بن بلكين فإنّ المحرّض الرئيسي عليها هذه المرّة أحد كبـــار العلماء ، إنّـــه محرز بن خلـــف [1] ، و ذلك لمقته الشديد للشيعة ، فقد ذُكر أنّه نصح قبل وقت قصير من وقوع الأحداث رجلا فقيرا يرغب في الزواج برهن قمح أحد أعيان الشيعة لتسديد نفقات زفافه ، و إثر ذلك تمّ تقتيل المشارقة و نهب مخازن الشخص المذكور ، فاغتنم الرجل تلك الفرصة للإستحواذ على كمية من القمح استعمل بعضها لتسديد المال الذي اقترضه لزفـــافه و ادّخر البعض الآخر ، و كان محرز بن خلف يشجّع الثائرين و يـــصدر أحكـــام الإعـــدام على الشيعة ، فكان يؤتى بالرجل منهم إلى حضرته فيشهـــد عليه فيُقتل بـــشهـــادة الشيخ خاصة و لا يحضر غيره من العدول أو يُترك إذا لم يثبت عليه شيء ، و إثر ذلك أُشير على محـــرز بعدم الخروج من بيته لأداء صلاة الجماعة خوفا على حياته [2] .

و لّمـــا بلـــغ الخبر باديس بن المنصور و أنّ محرز بن خلف هو المحـــرّض الرئيسي للعامة على قتل الـــشيعة ، حـــنق على التونسيين الذين حـــدّثوا أنّ شيخهم محرز حملهم عليهم و طهّر الأرض منهم ، حينـــئذ عزم الأمير على القصد لهم و قال : " تكون الأرض و لا تكون تونس " ، فبلغ الخبر أهل تونس فجزعـــوا له و نزعوا إلى شيخهم محرز و أخبروه ما بلغهم و قـــال لهم : " تكون الأرض و لا يكون باديس " ، فأخذ في الدعاء عليه [3] .

و ممّا يدل على خطورة الأحداث التي وقعت في تونس أنّ الكثير من أهلها خـــافوا على أنفسهم من

---

(1) محـــــرز بـــن خلف : أبـــو محمد محرز بن خلف بن أبي رزين التونسي المعرف بالعابد خاتمـــة صلحاء إفريقية ، كان متقشفا فاضلا زاهـــدا في الدنيا مجانبا لأهلها ، كـــان في بداية أمره يسكن بالمرسى لا يألفه إلا أصحابه ، فلمّا سكن تـــونس انبسط للفقراء و الغرباء حتى كثر أتبـــاعه ، و هو الذي دعا أبا محمد ابن أبي زيـــد القيرواني لتأليف ما يجب تعليمه لأبناء المسلمين فأجـــاب دعوته و ألّـــف الرسالـــة ، وسئـــل عمّا يأخذ بني عبيد من الزكاة فأجاب بأنّها لا تجزئ و هم على غير الإسلام ، ولد سنة 340 هــ/ 951 م وتـــوفي سنة 413 هــ / 1022 م ، و ضريحه بمدينة تونس (القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 712 . محمد بن محمد مخلـــوف، **شجرة النـــور الزكيـــة في طبقـــات المـــالكية**، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ص 94 . خير الدين الزركلي، الأعـــلام، ج5، ص 284) .

(2) روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج1، ص 155 .

(3) القاضي عياض ، المصدر السابق، ج3، ص 813 .

الدخـــول إليها رغم وجود أهلهم و عيالهم فيها ، فقد أجاب أبو علي الحسن بن خلدون [1] شخصا من أصـــيلي مديـــنة تونس كان يتردّد في الإلتحاق بذويه الذين تركهم في المدينة مؤكـــدا له بأنّه بإمكانه الرحيل إليها ، و أنّ أهلها لا يخشون مكروها لأنّهم استجابوا لأوامر الله ، و أمّا الذين يحقّ لهم الخوف فعـــــلا فهـــم أهل القيـــروان الذين لم يفعلوا مثلهم ، و لمّا علم محرز بن خلف بذلك الجـــواب أشاد بفضل الشيخ القيرواني [2] .

و لم تقتـــصر الأحداث على مدينة تونس وحدها ، فقد امتدت إلى مدن أخرى في إفريقية و منها مدينة باجة ، حيث ورد في كتاب نزهة الأنظار عن الشيخ أبي محمد قوله : كنت عند المؤدب محرز بعد قـــتل المشارقة بتونس فقلت له : " قتلوا المشارقة بتونس و لم يقتلوا عندنا " ، فقال : " أرجو أن يقتلوا عندكم " ، ثمّ دعا لنا و قال : " غسل الله عنكم العار و ألحقكم بالناس " ، قال : " فوصلت باجة يوم الخميس و قُتل المشارقة يوم الإثنين " [3] .

---

(1) أبـــو علي الحسن بن خلدون : من فقهاء إفريقية و علمائها ، من أصحـــاب أبي الحسن القابسي ، نشأ بإفريقية و كانت العامة تتبعه ، و كان شديدا على أهل البدع و الروافض ، توفي مقتولا سنة 407 هـــ / 1016 م (الدّباغ، معالم الإيمان، ج3، ص155 . القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 624 . محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 105) .

(2) روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج1، ص 156 .

(3) محمـــود مقـــديش، **نـــــزهة الأنظـــار في عجائب التـــواريخ و الأخبـــار**، تحقيق علي الزواري و محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988، ج1، ص 368 .

3- أحـــداث سنة 407 هــ 1016 م :

تزامن اعتـــلاء المعز بن باديس الحكم مع الأحداث الدامية التي شهدتها العديد من المـــدن في إفريقية و بلاد المغرب و المتمثلة في تقتيل الشيعة لاسيما في مدينة القيروان ، و هذه الأحداث هي امتداد لتلك التي وقعت سنتي 405 هــ / 1014 م و 406 هــ / 1015 م ، و قد أخذت أحداث سنة 407 هــ / 1016 م حيّزا هاما في كتب التـــاريخ و لقيت استحسانا من المؤرخين السنّة خاصة المغاربة منهم ، و نظـــم فيها الشعراء قصائد عديدة .

و يـــرتبط ابتـــداء أمر هذه الوقائع بجولة قام بها المعز بن باديس في القيروان ذكر خلالها الشيخين أبـــا بكـــر و عمـــر رضـــي الله عنهما بخير ، فكأنّها كانت إيذانا منه بالإنعتـــاق من المذهب الشيعي الإسماعيلـــي و إعلانا للحرب على أتباعه في بلاد المغرب كلّها ، و أمامنا عدة روايات تاريخية تبيّن سير الأحـــداث ، و أهمها ثلاث بينها اختلافـــات بسيطة مع اتفاقها على أنّ إبتـــداء الفتنة كان في شهـــر الله المحـــرّم سنة 407 هــ / جوان 1016 م .

فأمّا عن أسبابها فقد ذكر ابن الأثير أنّ المعـــز ركب و مشى في القيروان و النّـــاس يسلّمون عليه و يدعـــون لـــه ، فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل له :"هؤلاء رافضة يسبّون أبا بكر و عمر" ، فقال:" رضي الله عن أبي بكر و عمر" ، فانصرفت العامة لدرب المقلى من القيروان فقتلوا الشيعة [1] ، و الرواية تـــدّل علـــى أنّ مجيب الأمير سنّي حيث أخبر عن القوم بأنّهم رافضة ، و معلوم أنّ أهل السنّة يسمّون الشيعة رافضة لإمعانهم في سبّ الصحابة ، و ربما يكـــون أبو الحسن علي بن أبي الرجـــال [2] الذي

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 114 .

(2) أبـــو الحسن علي بن أبي الرجـــــال : الشيباني الكاتب المغربي القيرواني من أهل فاس ، طلب العلم في الأندلس ،كان رئيس الإنـــشاء في الدولة الصنهاجية و هو الذي لقـّـن المعز العلوم ، و كان من ذوي الميل إلى العلوم الرياضية ، كما اهتم ابن أبي الرجال بالأزيـــاج الفلكية وله زيج عرف باسم حل العقد وبيان الرصد ، ومن أهم كتبه التي ترجمت إلى عدة لغات مثل الأسبانية واللاتينية والقـــشتالية والبرتغالية وغيرها كتاب البارع في أحكام النجوم ، وقد تناوله المستشرق التشيكي نيكل بدراسة مفصلة موضحا أهمية الكتاب وتعبيره عن أحكام علم الفلك في ذلك العصر سواء في الشرق أو الغرب ، ولابن أبي الرجال رسالة الأبراج ، وله عدة أراجيز في علـــم الفلـــك ، الأولى منها في أحكام النجوم ومواقعها ، والثانية وهي الأهم والأكثر شيوعا وقد اهتم بها العلماء التـــالون لـــه واعتبروها من الأراجيز التعليمية الهامة التي يعتمد عليها الطالب لعلم الفلك ، وهي أرجوزة في أحكام الفلك وقوانينه وأسسه وقواعده وأرصـــاده وقد شرحها الكثير من العلماء ، ولعلّ أهم تلك الشروح كان شرح القنفذي ، وله أرجوزة أخرى عن الرعد وظواهره وأحداثه ، و كان أديبا شاعرا يعطف على الكتاب و الشعراء ، وقد اختلفت الروايات حول عام وفاته فبعض المؤرخين يرجعون عام وفاتـــه إلى عام 433هــ / 1041 م ، والأصح هي الرواية الأكثر شيوعا وهي عام 454هــ / 1061 م (عمر فروخ، **تـــاريخ الأدب العـــربي**، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثـــة، 1992، ج4، ص462 . محمد الطّمار، **الـــروابط الثقافية بين الجـــزائـــر و الخارج**، الشركة الجزائرية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص 121) .

عهـــــد إليه تربية المعز[1] ، و رواية النويري مشابهة إلى حدّ كبير رواية ابن الأثير ، حيث قال إنّه في يوم السبت 16 محرّم / 24 جوان ركب المعز في القيروان و الناس يسلّمون عليه ، فمرّ بجماعة فسأل عنهم فقيل له هؤلاء رافضة و الذين قبلهم سنّة ، فقال : " و أي شيء الرافضة و أي شيء السنّة " ، فقيل له : " السنّة يترضون عن أبي بكر و عمر و الرافضة يسبونهما " ، فقال : " رضي الله عن أبي بكر و عمر" ، فانصرفت العامة من فورها إلى الناحية المعروفة بدرب المقلى ، فقتلوا منهم جماعة و وقع القتل فيهم [2] ، و أضافت الرواية هذه شيئا جديدا و واقعيا إلى حدّ كبير ، و هو جهل المعز تماما بمعنى الرافضة و السنّة .

أما ابن عذارى فقد روى سبب الأحـــداث كما يلي : " كان المعز صغيرا إذ ولي و هو ابن ثمانية أعـــوام ، و كانت إفريقية كلها على مذهب الشيعة و على خلاف السنّة من وقت تملّك عبيد الله لها ، فحـــرّض ابن أبي الرجال المعز و أدّبه و دلّه على مذهب السنّة و الجمـــاعة و الشيعة لا يعلمون ذلك ، فخــــرج المعــــز في بعض الأعيـــاد إلى المصلّى في زينته و حشوده و هو غـــلام ، فكبا به فرسه فقال عند ذلك : أبو بكر و عمر ، فسمعته الشيعة التي في عساكره فبـــادروا إليه ليقتلوه ، فجـــاءه عبيـــده و رجالـــه و من كان يكتم السنّة من أهل القيروان ، و وضع السيف في الشيعة " [3] ، و هذا الخبر يبيّن دور ابـــن أبي الرجال و مكانته عند المعز، و أنّه علمه السنّة و حبّ الصحابة ، و أنّ السبب الرئيسي الذي أدّى إلى ما وقع هو محاولة عساكر المعز من الشيعة قتله بسبب استغاثته [4] بأبي بكـــر و عمـــر

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 273 .

(2) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 112 .

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 273 .

(4) قـــال شيخ الإسلام ابن تيمية : " و من أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب و يستغيث به عند المصائب يقول : يا سيدي فلان ، كأنّه يطلب منه إزالة ضرّه أو جلب نفعه ، و هذا حال النصارى في المسيح و أمّه و أحبارهم و رهبانهم ، و معلوم أنّ خير الخلق و أكرمهم على الله بعد نبيّنا محمد صلى الله عليه و سلم و أعلم الناس بقدره و حقّ أصحابه ، لم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك لا في مغيبه و لا بعد مماته " (ابن تيمية، **مجمـــوع الفتـــاوى**، اعتنى بها و خرّج أحاديثها عامر الجزار و أنور الباز، دار الوفـــاء للطباعة و النشر و التوزيع ، المنصورة، الطبعة الثانية، 2001، ج27، ص 49) .

و ينبغـــي التنبيه إلى مسألة مهمة و هي : هل كل من وقع في الشرك فهو مشرك ؟ ، و جواب هذا السؤال عند شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه ، حيث قال مفرّقا بين كفر النوع و كفر العين : " إنّ القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه ، فيقال من قال كذا فهو كافر ، لكنّ الشخص المعيّن الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقام عليه الحجّة ، فلا يشهد لمعيّن من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقــه الوعيد بفوات الشرط أو ثبوت مانع ، فقد لا يكون التحريم بلغه و قد يتوب من فعل المحرّم ، و قد تكون له حسنات عظـــيمة تمح عقوبة ذلك المحرّم ، و قد يبتلى بمصائب تكفّر عنه و قد يشفع فيه شفيع مطيع ، و هكذا الأقـــوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق ، و قد تكون عنده و لم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها ، و قد يكون عرضت له شبهات يعذره الله بها ، فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق و أخطأ فإنّ الله يغفر له خطؤه كائنا من كان ، ســـــواء في =

و إنقـــاذه من طرف عبيده و رجاله السنّيين ، و أنّ السنّة إلى هذا العهد كان أهلها يكتمونها خوفا على أنفسهم خاصة أولئك الذين يعملون في البلاط الأميري .

و أمّـــا عــــن سير الأحداث فبعد أن تهيأت أسبابها و في مقدمتها تلك الرغبة الجامحة من السكان في الإنــتقام لأنفسهم من هؤلاء القوم الذي جثموا على صدورهم لعقود طويلة من الزمن ، اندفعت العامة إلى أمـــاكن تـــواجد الـــشيعة و خاصة درب المعلى – أو المقلى – الذي وُصف بأنّ فيه قوما يستترون بمـــذهب الشيعة من شـــرار الأمة ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا و انبسطت العامة عليهم [1] ، و أُحــــرقوا بالنـــار و نُهبت ديارهم فقُتل منهم ما ينيف عن ثلاثة آلاف ، فسمّي ذلك المـــوقع بركة الـــدم ، قال أبو الصلت : " و صاح بهم في ذلك الوقت صائح الموت ، فقتلوا في سائر بـــلاد إفريقية و المغـــرب في المدائن و القرى " [2] .

و حتى مدينة المهدية التي بناها عبيد الله ليبتعد و قومه عن معقل أهل السنّة القيروان ، لم تسلم هي الأخـــرى مـــن بطش العامة بالشيعة ، فالناجون منهم لجأوا إلى جامعها الذي بالحصن فقتلـــوا فيه عن آخـــرهم [3] ، و حـــتى قصور المنصور بالمنصورية لم تكن ملاذا آمنا لهم ، و هي التي من المفروض أنّها إقامات أميرية محاطة بحراسة مشددّة في حال الأمن ، فكيف بها إذا هاجت الخطوب ؟ ، لكنّها الفوضى التي عمّت و القتل الذي انتشر ، ففي 12 جمادى الأولى 407 هـــ / 16 أكتوبر 1016 م خرج من بقي من المشارقة إلى قصر المنصور بظاهر المنصورية و هم زهاء ألف و خمسمائة و تحصنوا به فحاصرهم السنّة ، فاشتدّ عليهم الحصار و الجوع ، فأقبلوا يخرجون و الناس يقتلون منهم و يحرقون إلى أن قتلوا عن آخرهم [4] ، و في المدينة ذاتها تمّ هدم دار الإسماعيلية ، و هي مكان معدّ لاجتماع الشيعة [5] .

و قتل من لم يعرف مذهبه بالشبهة ، فقد قيل إنّ العامة جاءت برجل منهم اتهموه ، فمرّوا به على شيخ عاميّ ، فقالوا نسير به إلى الفقيه ابن خلدون فنأخذ بما يأمرنا بـــه ، فقـــال لهم ذلك الشيخ : " لم لا تقتلوه الآن ، فإن كان رافضيا أصبتم و إن كان سنّيا عجلتم بروحه إلى الجنة من الآن " ، و حُكي أنّه رُئي رجل يتبع واحدا ليقتله فقيل له : " ما تصنع ؟ " ، فقال : " هذا زنديق ، يفضّل علي بن الخطاب

= المسائل النظرية أو العلمية ، و هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم و جماهير أئمة الإسلام (ابن تيمية، المجمــوع، ج23، ص 195) .

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 268 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 114 . ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 273 .

(3) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 113 .

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 114 . النويري، المصدر السابق، ج24، ص 113 .

(5) روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج2، ص 358 .

على عمر بن أبي طالب " [1].

و تأريخ هذه الأحـــداث في المنصورية بشهر جمادى الأولى يدلّ على امتداد أعمال القتل و السلب لعدّة أشهر ، و السؤال الذي يطرح نفسه بشدّة هو : أين هي الدولة و مؤسساتها خاصة الأمنية منها التي من واجبها وضع حد للفتنة ؟ ، أم أنّ الأمور تجاوزتها و لم يكن في مقدورها السيطرة على الأوضاع ؟.

يمكن الإجابة على هذا السـؤال بما ورد في الروايـات التاريخية ، حيث ألقت بمسؤوليـة كبيرة و مباشرة على عامل القيروان في إشعال نار الفتنة ، فقد رام إفساد البلاد بعد أن أصلحها و استقامت له الأمـور لمـّا بلغته أنباء تفيد بأنّه سيعزل من منصبه ، إضافة إلى هذا فإنّ الجنود أنفسهم شاركوا في ما حـدث [2] ، و ذهـب البعض إلى أبعد من ذلك و ألقى بالمسؤولية على المعـز الذي كان يدعو الناس بالسرّ و يشجعهم على القضاء على الفلول الشيعية [3] ، فكان من المتعذر إذا على السيدة أم ملال و من معها أن يضعوا حدا لهذه الفوضى العارمة التي عمّت البلاد كلّها .

ثمّـة أمر آخر مهم جدا لا يجب إغفاله ، إنّه دور العلماء فيما يجري ، و بهـذا تكتمل الصورة فيـبدو ذلك التساند الواضح بين قوى المغـرب المختلفة في مقاومة المذهب الشيعي و مناصرة المذهب السنّي ، و كان لمدينة القيروان المشاركة الإيجابية و الدور المهم في شحذ الهمم و تقوية العزائم [4] ، فلا عجـب أن يكون لأبي علي الحسن بن خلدون أحد أبرز علمائها دور أساسي في أحـداث سنة 407 هـ/ 1016 م ، فقد سبق ذكر رأيه في أحداث تونس سنة 406 هـ / 1015 ، و كيف ردّ على الذي كان يتردد في الإلتحاق بأهله بأنّه لا يجب عليه الخوف ، و أنّ الذين يجب عليهم الخوف هم أهل القيروان الذين لم يفعلوا مثل التونسيين ، و الشيء الأكيد أنّه لم يتوقف عن النشاط و الدعوة إلى أعمال مماثلـة في القـيروان ، و قد وصفه القاضي عياض بأنّه شيخ دعوة قتل الشيعة في المدينة ، و أنّها كانت السبب الرئيسي في مقتله من طرف عامل المدينة ، ففي يوم 12 شوال 407 هـ/13 مارس 1017 م أتى عامل القيروان ومعه خيل و رجال فتقدم إلى مسجد أبي علي بعد صلاة العصر و هو جالس و عنده جماعـة ، فطلع به بعض رجالاته إلى المسجد فقتلوا جليسه و هم يظنّونه أبا علي ، فلمّا عرفوا أنّه ليس إيّاه رجعوا فقتلـوا أبا علي و تعاودوه بسكاكينهم و جرحوا جمـاعة ممّن في المسجد ، فحمل إلى داره

(1) القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 665 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 114 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 112 .

(3) عارف تامر، الدولـة الفاطمية الكبيرة، ص 125 .

(4) محمـد العروسـي المطوي، **سـيرة القـيروان رسالتها الدينية و الثقافية في المغرب الإسلامي**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص 35 .

فـــتوفي في ليلته ، فارتجت المدينة و ثـــارت الصيحة في نواحيها ، و أراد عامل البلد استرضاء النـــاس فجاء برجلين و قال إنّهما اللذان قتلاه فقتلهما ، و دُفن أبو علي بداره [1] .

إنّ اتخاذ قرار بمثل هذه الخطورة و في حق عالم جليل من كبار علماء القيروان يدلّ على عدم قدرة المعز و من يشرف على الدولـــة التصرّف بحكمة تجاه ما يحدث ، فزاد هذا العمل النار اشتعالا و الفتنة اتـــصالا ، و قد يكون سبب إغتيال ابن خلدون ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية أنّ المعز بن باديس تعـــرّض لمحاولـــة إغتيال من طرف الثوّار السنة عندما كان في طريقه إلى المصلّى لم ينـــج منها إلا بشقّ الأنفس ، و هكذا أصبح المعز يخشى هذه الجماعة و قرّر أن يسحق ثورتها [2] ، فأصدر أمره لعامله بقتل ابن خلدون الذي كان من أكبر شيوخ أهل السنة في القيروان الداعين جهارا إلى قتل الشيعة [3].

أمّـــا طـــرابلس فقد عرفت الأحداث نفسها و قُتل الشيعة فيها و جهر السنّة بعقائدهم و مارسوا شعائرهم علانية ، و كـــان عالمها ابن المنمر[4] من ألـــدّ أعداء الشيعة العبيديين و أشدّ معارضيهم ، و لّما ظهر مذهب الشيعة أتباع عبيد الله و انتشرت بدعهم و منعوا صلاة التراويح و صلاة الضحى و أحدثوا في الآذان حـــيّ على خير العمل ، كان أبو الحسن المنمر أول من أفتى ببطلان مذهبهم و نبذ تقاليدهم ، كما كان أول من ثـــار في طرابلس على الشيعة ، و قتل منهم فيها أناسا كثيرين بسبب ثورته عليهم ، و هو أول من نادى بإبطـــال "حيّ على خير العمل" من الآذان و أذّن آذان السنّـــة بنفسه و أمر الناس بصـــلاة ركعتي الضحى و كـــان العبيديون يقتلون من صلاّها ، و أمر بصلاة التراويح في شهر رمضان و صلاّها بالناس في طرابلس ، و أعـــاد ما كانوا أبطلوه من معالم الدين و السنّة [4] .

---

(1) الدباغ، معالم الإيمان، ج3، ص 157 .

(2) م . طالبي، دائرة المعارف الإسلامية، ج30، ص 9460 .

(3) و ذكـــر القاضي عياض في المدارك أنّ عملية الإغتيال تمت بإذن المعز ، و أعقبتها زيادة الفوضى و التخريب و القتل (القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 626) . و لا يستبعد أنّ السيدة أم ملال الوصيّة على الأمير المتصرفة في الأمور في هذه المرحلة هي من أصدرت الأمر لعامل القيروان بقتل ابن خلدون .

(3) ابـــن المنمر : علي بن محمد المنتصر بن المنمر الطرابلسي ، ولد بطرابلس سنة 348 هــ/ 959 م و نشأ بها ، و في سنة 389 هــ/ 998 م رحل إلى المشرق لطلب العلم ، و حجّ ثمّ عاد إلى طرابلس ، و كان بارعا في الحديث عارفـــا بالنحو و اللغة و الفقـــه و الأصـــول و غيرها ، و كان من المشهورين في علم الفرائض و له الكافي في الفرائض ، و هو الذي فتح أبواب طرابلس لخزرون بن خليفة الذي طرد العبيديين منها سنة 382 هــ/ 992 م ، و لّما تغلّب المنتصر بن خزرون على المـــدينة سنة 430 هــ/ 1038 م و كان المنتصر هذا يناصر العبيديين فكانت أولى أعمالـــه في طرابلس أن قبض على ابن المنمر و نفاه إلى غنيمة – من قرى مسلاتة بليبـــيا – التي توفي فيها سنة 432 هـــ / 1040 م ، و قبره معروف هناك (التجاني، رحلة التجاني، ص 265 . و جاءت ترجمته أيضا باسم ابن المنتصر الطربلسي في : محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور، ص 110 و الزركلي، الأعلام، ج4، ص 327) .

(4) طـــاهر أحمـــد الزاوي، **أعـــــلام ليبيــــا**، مكتبة الفرجـــاني، طرابلس، الطبعة الأولى، 1961، ص ص 216 - 217 .

كما كان لسياسة الحاكم بأمر الله في القاهرة و اعتقاداته الغريبة أثر كبير في زيادة نشاط أهل السنّة في القيروان و غيرها من المدن ، فقد كانت العامة تفد إلى مساجدهم و مجالسهم للإستزادة من الفقه ، و هذا في غفلة من الدولة و المشارقة الذين كانوا يتربصون بأهل السنّة الدوائر(1) ، فعملت الدعاية السنية عملها ضد الحاكم و دولته .

ومن الأمثلة على ذلك جواب العالم أبو بكر بن إسحاق بن عذرة الأيدي (2) على سائل يسأل عن خطباء بني عبيد و قيل له إنّهم يثنون عليهم ، قال :" أليس يقولون : اللّهم صلّ على عبدك الحاكم و ورثه الأرض "، قالوا :" نعم" ، قال : " أرأيتم لو أنّ خطيبا خطب فأثنى على الله و رسوله فأحسن الثناء ، ثمّ قال : " أبو جهل في الجنّة ؟ أيكون كافرا ؟ " ، قالوا : "نعم" ، قال : " فالحاكم شرّ من أبي جهل" ، و سئل الداودي (3) عن المسألة نفسها فقال :" خطيبهم الذي يخطب لهم يدعو يوم الجمعة كافر يقتل و لا يستتاب ، و تحرّم عليه زوجته ، و لا يرث و لا يورث ماله في المسلمين ، و تعتق أمهات أولاده ، و أحكامه كلها أحكام كفر ، فإن تاب و لم يكن أخذ دعوة القوم قُبلت توبته ، و من صلّى وراءه خوفا أعاد الظهر أربعا، ثمّ لا يقيم إذا أمكنه الخروج و لا عذر له بكثرة عيال و لا غيره" (4) .

فلنا أن نتصوّر حال المسلمين العامة و هم يسمعون فتاوى لا تحتمل تأويلا و صادرة من علماء فضلاء أجلاّء لا يشكّك أحد في علمهم و تقواهم ، علما أنّ العامة بعيد عنهم أنّ تطبيق جميع الأحكام الشرعية و على رأسها الحدود من صلاحيات الإمام المسلم وحده ، إنّها بحق إحدى العوامل المهمة و الأسباب الرئيسية التي يجب الوقوف عندها في تحليل أحداث سنة 407 هـ/ 1016 م و ما بلغته من خطورة و اتساع .

و الحاكم بأمر الله العبيدي عندما وصلته أنباء هذه الوقائع أرسل إلى المعز بن باديس يسأله

---

(1) د/حسن إبراهيم حسن، **الدولة الفاطمية في المغرب و مصر و سورية و بلاد العرب**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1964، ص 334 .

(2) أبو بكر بن إسماعيل بن عذرة الأيدي : فقيه فاضل زاهد قيرواني من أصحاب محمد بن أبي زيد ، كان الغالب عليه الزهد و العبادة ، و قد سمع منه الناس ، أثنى عليه ابن أبي زيد في شيبته (القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 718) .

(3) أحمد بن نصر الداودي الأسدي : أبو جعفر من أئمة المالكية بالمغرب ، كان بطرابلس و بها أصّل كتابه في شرح الموطأ ، ثمّ انتقل إلى تلمسان ، و كان فقيها فاضلا متقنا ، له حظ من اللسان و النظر ، لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور ، له شرح على الموطأ ، ثمّ انتقل إلى تلمسان و بها توفي سنة 402 هـ / 1011 م (القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 623 . برهان الدين إبراهيم بن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1911، ص 35 . محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور، ص111) .

(4) القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 719 .

عـــنها ، فأجـــابه بشكل واضح و صريح ملقيا المسؤوليـــة على أهـــواء العامة [1] التي يصعب التحكم فيها .

و قـــد نظم الشعراء قصائد كثيرة بمناسبة هذه الأحداث ، فمن فرح مسرور و من باك حزين[2] ، فأمّـــا الباكي فلم أقف على شيء منها ، و أمّا الفرح المسرور فهي كثيرة و تظهر بوضوح حجم الحقد الـــذي يكنّه المغاربة للشيعة الإسماعيلية بشكل عام ، و وصلنا بعضها من طريق الحسن بن رشيق الذي عـــاصر الأحداث ، و منها قول الحسن بن علي الكاتب المعروف بابن الزنجي :

شفى الله الغيظ في طيّ الضمير المكتم *** دمـــاء كـــلاب حللت في المحـــرّم
فلا أرقـــأ الله الـــدمـــوع التي جرت *** أسى و جوى فيما أريق من الـــدم
هي المنّـــة العظمى التي جـــلّ قدرها *** و سارت بها الركبان في كل موسم

ثمّ قـــال :

و كنّا نظنّ الكفر في جاهلية *** فتعسا لكفر جـــاهل مخضـــرم
يقولون مولاهم علي و إنّهم *** لأعظم بغضا فيه من آل ملجم

و ممّا يوضح التشفي قوله :

لقد رفضتكم كل أرض و بقعة *** و قد صرفت عنكم بقاع جهنّم
فذوقوا كما ذقناه أيام كفركم *** من الغيظ في أكبادنا و التألـــم [3]

و قال عتيق بن محمد أبو بكر الوراق :

أخذنا لأهل العلم منهم إغارة *** عليهم فما أبقت و لا السيف ما أبقى
و قـــام لأم المؤمنـــين بحقها *** بنـــوها فما أبقـــوا لها عندهم حقـــا [4]

و دعا القاسم بن مروان القفصي البزاز إلى قتلهم في كل مكان من الأرض فقال :

و سوف يقتلون في كل أرض *** كما قتلـــوا بأرض القـــيروان [5]

(1) G. Marçais, **Arabes en Berbérie du XI au XIV siècle**,Ernest Leroux, Paris, p52 .
(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 114 .
(3) الحسن بن رشيق القيرواني، **أنمـــوذج الزمـــان في شعـــراء القـــيروان**، تحقيق و جمع محمد العروسي المطوي و بشير البكوش، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، ص 92 .
(4) نفسه، ص 204 .
(5) نفسه، ص 257 .

و يبدو أنّ الدعوة هذه قد وجدت صداها ليس في إفريقية و بلاد المغرب فقط بل في المشرق أيضا الذي لا يخلو هو الآخر من هذا الصراع الطائفي الذي لا نزال نرى مظـــاهره إلى الآن ، و من ذلك مثلا ما نقله الذهبي في حـــوادث سنة 407 هــ / 1016 م أنّ الفتنة هاجت بين الشيعة و السنة في واسط بالعراق ، و نُهبت دور الشيعة و الزيدية و هرب وجوه العلويين و الشيعة [1] .

4 – أحــداث سنة 409 هــ 1018 م :

لم تتوقف عمليات مطـــاردة الشيعة و قتلهـــم عنـــد سنة 407 هــ / 1016 م ، بل تواصلت و لكن خفّت حدّتها بعد أن قضي على أغلبهم في العديد من المـــدن لاسيما المهدية ، هذه الأخيرة التي بناها العبيديون يبدو أنّ بقية منهم لا تزال تقيم فيها ، ففي سنة 409 هــ / 1018 م خرجت طائفة مـــن الشيعة نحو مائتي فارس بعيالهم يريدون الركوب إلى صقلية ، و بعثت معهم خيلا تشيّعهم ، فلما وصلوا إلى قرية كامل تنـــافر أهل المنازل عليهم فقتلوهم ، و فضحوا بعض شـــواب النساء و من كان لها منهنّ جمال فقتلوهنّ [2] .

و شـــهدت مدينة باغاية أحداثا مماثلة ، و لم أجد لها ذكرا في كتب التاريخ و السير القديمة فيما وقفـــت عليه ، و حتى المراجع الحديثة لم تتحدث عنها ، و قد جاء ذكرها عرضا في كتاب ابن رشيق أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، و ذلك في ثنـــايا ترجمته لبعض الشعراء الشيعة الروافض ، و هو من المعاصرين لما جرى من أحداث و أحد المقربين من المعـــز ، حيث ذكر أنّ الشاعر ابن القيني أبو الحسن علـــي بن سعيد خـــرج مع من خرج من أهـــل مذهبه إلى باغاية فقتلـــوا هنـــاك سنة 409 هــ / 1018 م [3] ، و ذكـــر أيضا الشاعر ميمون بن عبد الله الهواري الذي وصفه بأنّه كان متشيعا ، و أنّه قتل مع من قتل من الرافضة بباغاية في السنة نفسها [4] .

---

(1) الـــذهبي، **تـــاريخ الإســـلام و وفيـــات المشـــاهير و الأعـــلام**، تحقيق د/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003، ج9، ص 18 .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 269 .

(3) ابن رشيق، أنمـــوذج الزمـــان، ص 230 .

(4) نفسه، ص 336 .

5 – أحــداث سنة 423 هــ 1031 م :

لقـــد تمّ تقتيل الشيعة في المنطقة كلّها بلا رحمـــة و لا شفقـــة و دون تفريق بين الصغير و الكبير أو المـــرأة و الرجل ، و هذا ما عجّل بالقضاء على التواجد الشيعي في الأراضي الخاضعـــة للزيريين في إفـــريقية و المغـــرب الأوسط ، و لكن هذا لا يعني بالضرورة عدم وجود طائفة شيعية تمسكت بتشيّعها متـــبعة أســـلوب التقية [1] أحد أركان المذهب الشيعي ، و منذ سنة 409 هــ / 1018 م لم نشهد عملـــيات تقتيل جمـــاعية ضد الشيعة ، و جاءت سنة 423 هــ / 1031 م حاملة معها عملية قتل ضـــد هـــؤلاء ، فقـــد روى ابن الأثير أنّ جماعات منهم سارت إلى أعمال نفطة و استولوا على بعض مناطقها و استقرّوا فيها ، فجرّد إليهم المعز عسكرا فدخلوا البلاد و حاربوا الشيعة و قتلوهم أجمعين [2] ، و هذه العملية لا يمكن تصنيفها كعملية قتل طائفية مثل العمليات التي حدثت من قبل ، بدليل ما جاء في الرواية أن الشيعة استولوا على بعض المناطق ، فالمعز خرج لقمع هذه الفئـــة ليس لكونها شيعية و إنّمـــا لتسببها في إثـــارة الفتنة ، و هذا ما يتطلب تدخلا مباشرا من الدولة .

و بعـــد هذا العرض لأعمال قتل الشيعة في بلاد المغرب و إفريقية ، نخلص إلى أنّها كانت أعمالا إنتقامـــية طائفـــية شعبية بالدرجة الأولى كان من الصعب التحكم فيها ، و هي تعكس بوضوح ذلك الإخـــتلاف الواسع و الهوة الكبيرة بين أهل السنّة و الشيعة حيث لا مجال للتعايش بينهما ، خاصة و أنّ الـــسلطة الحاكمـــة لم يظهـــر منها ما يبيّن استنكارها لما وقع ، باستثناء حادثة إغتيال العالم الحسن بن خلـــدون و التي أدّت إلى نتائج عكسية ، و أيضا لا يمكن أن نتكلم عن هذه الأحداث بمعزل عن علماء السنّة و نفوذهم الكبير في جميع المستويات بما فيها السلطة السياسية العليا و على رأسها المعز بن باديس ،

---

(1) التقـــيـــة : إحدى أركان العقيدة الشيعية ، فروايات القوم عن أئمتهم المعصومين – حسب زعمهم – تخبر أنّ التقية الشيعية ما هي إلاّ نفاق محض ، فقد روى الكليني في الكافي – وهو أصحّ كتبهم في الحديث – عن هشام الكندي أنّه قال :" سمعت أبا عبد الله يقول : إيّاكم أن تعملوا عملا يعيّرونا به ، فإنّ ولد السوء يعيّر بوالده ، كونوا لمن انقطعتم إليه زينة و لا تكونوا عليه شينا ، صلّوا في عـــشائرهم و عودوا مرضاهم و اشهدوا جنائزهم ، و لا يسبقوكم إلى شيء من الخير فأنتم أولى به منهم ، و الله ما عبد الله بشيء أحبّ إليه من الخبء ، قلت : و ما الخبء ، قال : التقية " . و روى الكليني عن جعفر الصادق قال : " التقية ديني و دين آبائي ، و لا دين لمن لا تقية له " . و روى أيضا عن جعفر عن أبيه محمد الباقر أنّه قال : " لا و الله ما على وجه الأرض شيء أحبّ إليّ من التقية ، يا حبيب إنّه من كانت له تقية رفعه الله ، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله " . و عنه أيضا عن أبي عمر الأعجمي أنـــّه قال : " قال لي أبـــو عبد الله : يا أبا عمر إنّ تسعة أعشار الدين في التقية ، و لا دين لمن لا تقية لـــه ، و التقيـــة في كل شيء إلا النبيذ و المسح على الخفين " (إحسان إلهي ظهير، **بين الشيعـــة و أهـــل السنة**، دار الإمام المجدد للنشر و التوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005، ص 148 و ما بعدها) .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 205 .

الـــذي نجح وزيره و مؤدبه أبو الحسن علي بن أبي الرجال في تنشئته على السنّة و بغضه للشيعة و تتبعه لهـــم مـــنذ توليته ، و قد رأى أحد المحـــدثين أنّ هذا الأمر الأخير ليس له أهمية فيما جرى ، و أنّه إذا كانـــت هناك إهتمامات دينية مناهضة للتشيع من طرف المعـــز فإنّها تكون مرتبطة بأهـــداف سياسية من جانب المسؤولين على الدولـــة ، من الوصية السيدة أم ملال و الـــوزير ابن أبي الرجال و محمد بن الحسن[1] .

إنّ هـــذا الكـــــلام قد يكون مقبولا في المرحلة التي سبقت وفاة السيدة أم ملال و قتل محمد بن الحسن ، و إن كنت لا أغيّب الأهداف السياسية فيما حدث ضد الشيعة ، فإنّه في الوقت ذاته لا يمكن إنكـــار حب المعـــز للسنّة و تتبعه للرافضة طوال سنوات حكمه ، و إلا فماذا يمكن أن نقوله عمّا نقله ابن رشيق في ترجمة إسحاق بن إبراهيم ، و الذي وصفه بالسبّاب الرافضي ، و كانت نهايته القتل على يـــد المعز سنة 420 هـــ / 1028 م احتسابا [2] ؟ ، و يكفي هذا دليلا أنّ تتبّع أمثال هؤلاء كان أمرا شائعا في هذا العهد .

(1) سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج3، ص 374 .

(2) ابن رشيق، أنمـــوذج الزمـــان، ص 69 .

ثانيا : القطيعــة مع الفــاطميين و الــولاء للعبــاسيين .

1 – العــلاقــات بين إفــريقية و مصــر قبــل القطيعــة :

لم يكــن لأحداث سنة 407 هـ / 1016 م الدامية التي راح ضحيتها عدد كبير من الشيعة في سائر إفريقية و المغرب تأثيرا كبيرا على العلاقات الرسمية بين الفاطميين و الزيريين الأفارقة ، فباستثناء ما ذُكــر أنّ الحــاكم أرسل إلى المعز بن باديس يسأله عمّا جرى ، لم يكن من الواضح أنّ الدولة الفاطمية ســاءها مــا وقع ، و هذا يدلّ دلالة قاطعة على عدم إيــلاء العبيديين بــلاد المغرب و إفريقية أهمية كبــيرة ، و الإقتصار على الإحتفاظ معها بمجرّد علاقات سطحية تضمن من خلالها ولاءً شكليا .

و لم ينتظــر المعــــز طويلا بعد تولّيه شؤون الحكم لتصله الخلع و التشريفات من الحاكم ، وقد حدث هذا في آخر ذي الحجة سنة 407 هـ / ماي 1017 م ، و لقبّه بشرف الدولة [1] ، و في سنة 410 هـ / 1019 م ورد علــى المعز أبو القاسم بن اليزيد رسولا من الحاكم بسيف مكلل بنفيس الجواهــر و خلعة من لباس لم ير الناس مثلها ، فلقيها شرف الدولة في أجمل زيّ و أكمل هيئة ، فقرئ عليه سجّل فيه من التشريف ما لم يصل لأحد قبله فسرّ بذلك [2] ، و في السنة نفسها ورد أيضا محمد بن عــبد العزيز بن أبي كدية بسجّل آخر للحاكم جوابا للمعز عمّا كان فيه من انقراض الدولــة الأموية مــنها و قــيام القاســم بن حمّود فيهــا ، فشكره على ذلك و بعث إليه خمسة عشر علما منســوجا بالذهب ، و ركب المعــز بن باديس و الأعلام المذكورة بين يديه [3] .

و بتولّي الظاهر[4] الحكم اتبع سياسة أبيه في التعامل مع الزيريين ، ففي سنة 414 هـ / 1023 م وصــل مــن طرفه محمد بن عبد العزيز بتشريف عظيم لشرف الدولة ، فقرئت سجّلات ما وصل قبلها مــثلها أجــلّ حالا و لا أعلى مقالا ، و زاده لقبــا إلى لقبه فسمّاه شرف الدولة و عضدها ، و بشرّه بمولودين ولدا له أبو الطاهر و عبد الله أبو محمد ، و بعث إليه ثلاثة أفــراس من ركوبه بســروج جليلة

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 88 . ابن عذارى، البيان، ج1، ص 269 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 112 . ابن أبي دينار، المؤنس، ص 104 .

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 115 . ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 269 .

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 269 .

(4) الظاهر : علي بن المنصور الحاكم ، ولد بمصر سنة 395 هـ / 1004 م و بويع لــه بالخــلافة سنة 411 هـ / 1020 م ، و هــو الــذي أخــرج الفقهاء المالكية و غيرهم من أهل السنّة من مصر ، و ألزم الدعــاة بحمل الناس على استظهار كتاب دعائم الإســلام للقاضي النعمان و المختصر الفقهي للوزير اليهودي الأصل ابن كلس ، توفي الظاهــر سنة 427 هـ / 1035 م (ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص 224 . الفرماني، أخبار الدول، ج2، ص 241) .

و خلعـــة نفيسة من نفيس ثيابه ، و منجوقين منسوجين بالذهب على قصب فضة ما دخل إفريقية مثلها قط ، و عشرين بندا مذهبة و مفضضة ، فلقيها شرف الدولة أجمل لقاء و أعطاها حقها من الإكـــرام و الإعتناء ، و قرئت السجّلات بين يديه ثمّ قرئت بجامع القيروان و أمر بنسخها و أنفذت إلى الآفاق ، فكـــان لها من السرور ما لا يوصف [1] ، و أعقب ذلك في السنة نفسها وصول سجّل آخر بزيادة لقب آخـــر لشرف الدولة ، و أمر أن يكاتب من الأمير شرف الدولـــة و عضـــدها و يخاطب بمثل ذلك ، فلقيه المعز أحسن لقـــاء ، و جرت المكاتبة من ذلك الوقت بهـــذا التشريف الجليل [2] .

و في ســـنة 417 هـــ / 1026 م سقط الظاهر عن فرس و أرجف بموته ثمّ عوفي ، فتصدّق بمائة ألف دينار ، كان نصيب بلاد المغرب منها عشرون ألف دينار[3] ، و شهدت سنة 420 هـــ/ 1028 م تـــبادلا للهدايا بين الظاهر و المعز ، فقد بعث شرف الدولة و عضدها هدية من بين ما احتوته عشرون جاريـــة لم ير كحسنهنّ ، و ثلاثة أفـــراس واحد مسرّج بذهب و الثاني مسرّج بلؤلؤ و الثالث مسرّج بفضة ، زنة كل سرج قنطار ، و ألف و خمسمائة ثوب خز و رمـــاح كثيرة و ثياب سوسية و صقلية و غـــير ذلك ، و عرضت الهدية يوم الأحد 08 شوال 420 هـــ/ 19 أكتوبر 1028 م ، و بعث الظاهـــر بدوره هدية إلى المعز ، من بين ما فيها زرافة و جواري و أشياء عظيمة [4] ، و هي الهدية التي مدحها الشاعر إسماعيل بن إبراهيم أبو الطاهر بن الخازن حسبما ذكره ابن رشيق ، و ممّا جاء فيها :

لمثلك تهدي ملـــوك الدنيـــا *** برغـــم أنوفهـــا و الرّضـــا

هدايا تفوت صفات المصيب *** و يعجز عن كنهها من حكى [5]

و في 28 ذي القعدة سنة 424 هـــ / 24 أكتوبر 1033 م قدمت هدية المعـــز إلى مصر و هي جلـــيلة القـــدر[6] ، و بعد هذا التاريخ لا نكاد نعثر على ما يبيّن استمرار التواصل بين مصر و إفريقية ، الأمر الذي يؤشّر إلى ما سيحدث من قطيعة منتظرة ظهرت إرهاصاتها الأولى منذ تولية المعـــز بن باديس و ما كان من اضطهاد للشيعة و قتلهم سنة 407 هـــ / 1016 م خاصة .

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 132 . ابن عذارى، البيان، ج1، ص 271 .

(2) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 271 .

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 175 .

(4) نفسه، ج2، ص 177 .

(5) و ذكر ابن رشيق أنّ هذه القصيدة كانت بمناسبة وصول هدية للمعز سنة 420 هـــ (ابن رشيق، أنموذج الزمان، ص 72) .

(6) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 181 .

2 – القطيعة مع الفاطميين و الـــولاء للعباسيين :

أ – الأوضاع العامة التي سبقت القطيعة في المشرق و المغرب :

بـــوفاة الخليفة العبيدي الظاهر و ولاية ابنه المستنصر [1] سنة 427 هــ/1035 م الذي لم يكن يجاوز السابعة من عمره ، و تعزيز مكانة الـــوزير أبـــي القاسم الجرجرائي[2] الذي سيطر على الدولـــة ســـيطرة تامة و اتخذ علامة للتوقيع على الأوراق الرسمية ، و بلغ من نفوذه أن نقش اسمه على الطرز بل اســـتطاع أن يحدّ من أطماع المستنصر و تطلّع للإستحواذ على السلطان [3] ، الأمر الذي أدّى إلى فتور العلاقات بين مصر و إفريقية فانقطعت الهدايا بينهما ، و يبدو أنّ المعز أراد أن يستغل الوضع الذي تمرّ به الخلافة الفاطمية ، فقد ذكر ابن خلدون أنّ المعز كان يكاتب الوزير الجرجرائي و يستميله و يعرض ببني عبيد و شيعتهم [4] ، و يكتب له تلويحا لا تصريحا ، و كتب إليه قطعة بخط يـــده و تمثّل فيها ببيت من الشعر و هو : و فيك صاحبت قوما لا خلاق لهم *** لولاك ما كنت أدري أنّهم خلقوا

فقال الوزير لبعض أصحابه :" ألا تعجبون من صبي بربري مغربي يريد أن يخدع شيخا عربيا عراقيا "[5] .

و في هـــذا الوقت كانت الخلافة الفاطمية تشهد مشاكل عديدة كالمجاعات و التراعات العسكرية بـــين الأتراك و المغاربة و السود ، فمن الناحية الإقليمية بدأ نفوذ الخلافة في الشام في الإنحسار ، حيث فقدت حلب التي استردّها ثمال بن صالح المرداسي [6] سنة 433 هــ/ 1041 م ، و حاول الفاطميون

---

(1) المستنـــصـــر : معد بن الظاهر ، ولد سنة 420 هــ/ 1028 م و بويع له بالخلافة سنة 427 هــ / 1035 م ، وهو أطول الخلفاء عهدا ، في عهده أعلن المعز الصنهاجي خلع طاعة العبيديين و خرجت صقلية عن طاعته على يد روجير النورمندي و انفصل الحجاز أيضا ، توفي المستنصر سنة 487 هــ/ 1093 م (ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص 226) .

(2) الجرجرائـــي : علـــي بن أحمد وزير من الدهاة ، ولد في جرجرايا بسواد العراق و سكن مصر ، و تنقل في الأعمال السلطانية بالـــريف و الصعيد ، و كثر التظلّم منه في أيام الحاكم فقبض عليه سنة 403 هــ/1012 م و أمر بقطع يديه فقطعتا سنة 404 هــ/ 1013 م ، ثمّ ولي ديـــوان النفقـــات سنة 406 هــ / 1015 م ، و لقّب سنة 407 هــ/ 1016 م بنجيب الدولـــة ، و استوزره الظاهر سنة 418 هــ/ 1027 م ، فاستمر في الوزارة ملقبا بالوزير الأجّل الأوحد صفي أمير المؤمنين و خالصته ، توفي الجرجرائي سنة 436 هــ/ 1044 م (ابن الصيرفي، **الإشارة إلى من نـــال الـــوزارة**، تحقيق و تعليق عبد الله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، القاهرة، 1924، ص 35 . الذهبي، سير أعـــلام النبلاء، ج10، ص 610) .

(3) د/ محمد حمدي المناوي، **الـــوزارة و الـــوزراء في العصـــر الفـــاطمي**، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص 253 .

(4) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 69 .

(5) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 105 . الوزير السراج، الحلل السندسية،ج2، ص 64 .

(6) ثمال بن صالح بن مرداس الكلابي : من ملوك الدولة المرداسية بحلب ، كان كريما ، ولي الملك سنة 433 هــ/ 1041 م ، سيّر إليه الفاطميون ثلاثة جيوش ردّها كلها ، ثم كاتب المستنصر و نزل له عن حلب ، ثمّ رحل إلى مصر سنة 449 هــ/ 1057 م ، ثم عـــاد إلى حلب و ملكها ثانية سنة 453 هــ/ 1060 م و توفي فيها (الزركلي، الأعـــلام، ج2، ص 100) .

عبثا استعادتها سنتي 440هـ - 441 هـ/ 1048 م – 1049 م ، و بالرغم من أنّ ثمال بن صالح قد أعاد الخطبة للمستنصر سنة 449 هـ/ 1057 م فإنّ العبيديين فقدوا السيطرة نهائيا على سوريا الشمالية التي بايعت العباسيين سنة 462 هـ/ 1069 م [1]، و في الداخل لم يبدأ الإنحلال إلا في أعقاب وفاة الوزير أبي القاسم الجرجرائي سنة 436 هـ/ 1044 م ، و تزامن ذلك مع ظهور السلاجقة [2] على مسرح الأحداث بعد أن بدأت السلطة الفعلية و الروحية للعباسيين في الوصول إلى أدنى درجاتها تحت الهيمنة السياسية للبويهيين الشيعة [3] ، و لكنّ التهديد الأكبر للعباسيين جاء من دون شك من جانب الخلافة الفاطمية ، و جاء استقرار السلاجقة في بلاد فارس و العراق و الجزيرة و شمال سوريا ليوقف هذا الزحف للتشيّع السياسي ، و أصبحت الخلافة الفاطمية تواجه التهديد المتنامي للسلاجقة الذين أخذوا في التقدّم السريع من الشرق ليمهدّوا لإقامة إمبراطورية قوية جديدة [4].

و كمحاولة من جانب العباسين للتشهير بأعدائهم العبيديين صدر في بغداد محضر يتضمن القدح في نسبهم ، و وقّع عليه كبار العلماء و الفقهاء و القضاة و الأشراف و الصالحين [5] ، و في سنة 444 هـ/ 1052 م كتب ببغداد محضر آخر يتضمن أيضا القدح في نسب الفاطميين و نفيه من الإلتحاق بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، و نسبوا إلى الديصانية من المجوس [6] .

---

(1) د/ أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص 187 .

(2) السلاجقة (429 هـ - 590 هـ / 1037 م – 1193 م) : يطلق هذا الاسم على تلك الموجة البشرية التي غزت المشرق و الأناضول البيزنطي في القرن الخامس الهجري ، و استقرت في هذه المناطق و شكلت الطبقة الحاكمة و المحاربة فيها ، و تشكلت هذه الموجة من قبائل الغز ، و استوطنت المناطق السهلية الممتدة مابين شمال بحر قزوين حتى مشارف بحيرة آرال ، و جاء زحفها في مرحلة انحطاط ، و لّما كانت على مذهب السنّة منحت المشرق نوعا من التماسك الديني في وجه الغزو الصليبي ، و من أعظم سلاطينهم طغرل بك ثم ابن أخيه ألب أرسلان ثم ابنه ملكشاه الذي كان بجانبه الوزير الشهير نظام الملك (شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي، ج2، ص 671) .

(3) البويهيون (334 هـ - 447 هـ / 945 م – 1055 م) : أصلهم من الديلم شمال غرب إيران ، بعد أن سيطر أولاد بويه الثلاثة على شيراز سنة 322 هـ /933 م أقرّهم الخليفة العباسي عليها ، و لم يكتفوا بهذا حيث توجهوا إلى بغداد سنة 334 هـ/ 945 م بقيادة أحمد بن بويه ، فخلع عليه المستكفي و لقبّه بمعز الدولة و أخاه الحسن بركن الدولة و أخاه عليّا بعماد الدولة ، و عرفت البلاد في هذا العهد فتنا طائفية و ثورات الجند و انتشار الفوضى و الخوف ، و انهار البيت البويهي أيام الملك الرحيم ابن أبي كاليجار ، و انتهت دولتهم في بغداد على يد السلاجقة (شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج1، ص 292)

(4) د/أيمن فؤاد السيد، المرجع السابق، ص 188 .

(5) أبو الفرج بن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم**، تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج15، ص 825 .

(6) ابن ميسّر محمد بن علي بن جلب، **أخبار مصر**، اعتنى بتصحيحه هنري ماسيه، مطبعة المعهد العربي الخاص بالدراسات الشرقية، القاهرة، 1914، القسم الثاني ، ص 6 . المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 223 .

و سعى العباسيون من جهتهم إلى مراسلة المعز ، فقد تصدّى وزير الخليفة العباسي القائم (1) رئيس الرؤســاء ابن المسلمة (2) إلى مكاتبة المعز و مهاداته و التحريك من ساكنه (3) ، كما كان للمعز علاقات بـــبعض ملوك الطوائف كالزيريين في غرناطة ، و أيضا مع مجـــاهد العامري (4) أمير دانية (5) الذي عرف بجهـــاده في جزائر البحر الشرقية ، و كان قد أرسل قاضيه ابن أبي رئال (5) برفقة علي إقبال الدولـــة (6)

(1) القائم : عبد الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق المقتدر بالله القائم بأمر الله يكنى أبا جعفر ، مولده سنة 391 هـــ/ 1000 م ، بويع بالخلافة بعد موت أبيه القادر سنة 422 هــ/ 1030 م ، و لم يزل القائم مستقيما إلى أن قبض عليه البساسيري سنة 450 هــ/ 1058 م ، ثم تمكنّ طغرل بك من قتل البساسيري و إعادة القائم إلى الخلافة سنة 451 هــ/ 1059 م ، و كثرت عبادته بعـــد هذه الحادثة ، و له عناية بالأدب و الإنشاء ، توفي القائم سنة 467 هــ/ 1074 م (الخطيب البغدادي، **تـــاريخ بغـــداد،** تحقـــيق د/بـــشار عـــواد معـــروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001، ج11، ص 47 . ابن العماد الحنبلي، **شـــــذرات الذهب في أخبـــار من ذهب**، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ج3، ص 326 . محمد بن شاكر الكتبي، **فـــوات الوفيات و الذيـــل عليها**، تحقيق د/إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974، ج2، ص 157) .

(2) ابن المسلمة : علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن أبو القاسم المعروف بابن المسلمة ، كان ثقة ، استكتبه الخليفة القـــائم و اســـتوزره و لقبّه رئيس الرؤساء شرف الوزراء ، و كان قد اجتمع فيه من الآلات ما لم يجتمع في أحد من قبله مع سداد مذهب و حسن اعتقاد ، ولد في سنة 397 هــ/1006 م ، قُتل الوزير ابن المسلمة سنة 450 هــ/ 1058 م ، قتلـــه البساسيري التركي و صلبه (الخطيب البغدادي، المصدر السابق ،ج1، ص 25 . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11، ص 105) .

(3) المـــؤيد في الـــدين الشيرازي، **ســـيرة المـــؤيد في الـــدين داعـــي الدعـــاة**، تقديم و تحقيق محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، 1949، ص 56 .

و هـــذا الكتاب قد يكون من أشدّ الكتب شرّا عند طائفة البهرة التي تزعم وراثة مذهب الفاطميين ، فهم لا يسمحون لأبناء طائفتهم الإتصال به ، و الخطر بالنسبة إليهم يكمن فيما وعاه الكتاب من أسرار عن المستنصر و تلاعب الوزراء به و بالبلاد ، و هي أسرار تسيء إلى عقيدة الإمامة و إلى الأئمة المعصومين حسب اعتقادهم ، و من هنا كان الحرص على إخفاء الكتاب حتى لا يتطرق الشك إلى أتباع البهرة في الإمامة و الأئمة (مقدمة المحقق ص 11) .

(4) مجاهـــد العامري : مجاهد بن يوسف بن علي العامري بالـــولاء أبو الجيش مؤسس الدولة العامرية في دانية و ميورقة ، تلقب بالموفـــــق بالله ، و غزا الإفرنج في سردانية ، و كان حازما شجاعا عارفا بالأدب ، توفي سنة 432 هـــ/ 1040 م (الحميدي، جذوة المقتبس، ج2، ص 564 ، ترجمـــة رقم 829 . الضبي، بغية الملتمس، ج2، ص 632 ، ترجمـــة رقم 1384) .

(5) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية ، بها بساتين واسعة كثيرة ، و أهلها أقرأ أهل الأندلس ، و منهم شيخ القرّاء أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني صاحب التصانيف في القراءات و القرآن (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 434) .

(6) ابن أبي رئال : أحمد بن الحسن بن عثمان الغساني ، يكنى أبا عمر و يعرف بابن أبي رئال ، من أهل بجانة المرية ، و سكن دانية ، ولي القـــضاء لمجاهد العامري ، و كان فقيها نظارا له حظ من الأدب و الشعر ، و توفي في حدود سنة 440 هـــ/ 1048 م (ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصلـــة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، 1989، ص 67، ترجمة رقم 121).

(7) علي بن مجاهد العامري : صاحب دانية ، و ليها بعد وفاة أبيه سنة 432 هـــ/ 1040 م و تلقب بالموفق ، و اشتهر بحبه لأهل العلـــم ، و كان حسن السياسة ، نشبت بينه و بين المقتدر بن هود فتنة سنة 468 هـــ/ 1075 م فغلبه ابن هـــود و امتلك دانية فخرج علي إلى سرقسطة فأقـــام فيها إلى أن توفي سنة 474 هـــ/ 1081 م (الزركلي، الأعـــلام، ج4، ص 322) .

برســـالة إلى المعز ، فلقي ابن أبي رئال أبا عمران الفاسي [1] و طبقته و جـــرت له معهم مساءلات رغم أنّ مجـــاهــد العامري قد نهاه عن مداخلتهم و الإختلاط بهم ، فوضع مائة سؤال في فنون شتّى سألهم عنها و كتبها في دفتر ، و ترك بين كل مسألتين بياضا للجواب ، أولاهـــا في تفضيل النبي صلى الله عليه و سلم لابنته فاطمة و أخواتها رضي الله عنهنّ ، و لم يقم بالقيروان إلا اثنتي عشر يوما ، و انصرف في الصيف خوف هجوم الشتاء ، و تورّع عن مال السلطان ، و شهد معهم العيد فترك الخطيب من أجلهم الخطبة للعبيديين [2]، و للأسف لم يحدّد المصدر تاريخ هذه السفارة ، لكنّ الأكيد أنّها حدثت قبل وفاة الـــشيخ أبي عمـــران الفاسي سنة 430 هــ/ 1038 م ، و هي تبيّن أنّ الخطبة لبني عبيد لا تزال في إفريقية قبل هذا التاريخ ، و أنّ أمرها هيّن عند المعز بحيث كان من اليسير عنده التنازل عنها و إسقاطها إمّـــا استرضاء للضيف أو إجلالا لعلماء القيروان الذين يحرّمون الصلاة في مسجد يدعى فيه لبني عبيد ، علما أنّ الخطبة رمز من رموز الـــولاء ، و هذا يدلّ على سطحية العلاقـــات بين مصر و إفريقية .

و هـــذا يقـــودنا إلى الحديث عن دور العلماء في حمل المعز على ضرورة إعلان القطيعة النهائية مع القاهرة ، فقد دسّ الأمير ذات يوم شخصا ألقى على الفقيه أبي بكر بن عبد الرحمان [3] السؤال التالي :" ما يقول الفقيه في هذه الطرز التي فيها أسماء بني عبيـــد مثل الظاهر و الحاكم و غيرها ممّا يلبس ، أيصلّى فـــيها" ، فأجاب الشيخ أبو بكر : " هذا سؤال أحمق أخرق قليل المعرفة " ، و كتب الشيخ أبو عمران الفاســـي جـــوابا عن هذا السؤال : " إنّما يجب على من بسط الله يده أن يمنع من ذلك "، فشقّ على الـــسلطان جواب أبي بكر ، فأرسل إليه و إلى الشيخ أبي عمران ، فقال لأبي بكر :"لم أجبت بهذا ؟" ، فقال: " لأنّ السكة تضرب بأسمائهم و بنودهم تخفق على رأسك " ، فقال السلطان : " ما أبقيت السكة و البنود إلا مداراة لأجل حجّاج بيت الله الحرام و المسافرين " ، ثم قال السلطان : " ألم أقتل المشارقة ، ألم أفعـــل كذا " ، فقال الشيخ : " فعلت و بقي أن تأذن لي أن أتكلم " ، فقال له السلطان :" لا" ، ثم عطف عليه الشيخ أبو عمران فقال :"لم لا تكتب بمنع ذلك ؟ " [4] .

---

(1) أبو عمران الفاسي : أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الفاسي ، أصله من مدينة فاس ، و نزل القيروان ثم رحل إلى بغداد فحضر مجلس القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني ، ثمّ عاد إلى القيروان ، و بها مات سنة 430 هــ/ 1038 م ، و كان مقدما في العلم و الإمامة (القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 702 . ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 344 . ابن الزيات، **التشـــوف إلى رجـــال التصـــوّف**، اعتنى بنشـــره و تصحيحه أدولف فور، مطبوعات إفريقيا الشمالية الفنية، الرباط، 1958، ص 64) .

(2) ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة، ص 67 .

(3) أبوبكر بن عبد الرحمان الخولاني : أحد الفقهاء المبرزين ، قرأ على الشيخ ابن أبي زيد القيرواني ، رحل إلى المشرق لطلب العلم ، توفي سنة 432 هــ / 1040 م (القاضي عياض، المدارك، ج3، ص 700 . الدباغ، معالم الإيمان، ج3، ص 169) .

(4) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 171 .

و يــبدو أنّ المعـــــز بن باديس قد تأثر بهذه الفتـــوى الصادرة من هذين العالمين الجليلين ، و التي تدعـــو صـــراحة للقطيعة مع الفاطميين ، لذلك نجده يبعث رسولا إلى أبي بكر بن عبد الرحمان ناقلا له السؤال التالي : " يقول لك المعز : هل أنا عندك مسلم أم كافر" ؟ ، فقال أبو بكر للرسول : " قل له : تتـــبع العلماء هذا التتبع و تستقصي عليهم ، و الله لئن لم تتركني لأعرضنّك على الله عزّ و جلّ " ، فلم يتعرّض له بعد ذلك المعز بشيء [1] .

و لعـــلّ المعز قد تأثّر بما يجري في الأندلس و ادعاء ملوكها الخلافة ، فقد ذكر ابن حزم في رسالة نقـــط العروس عندما تكلّم فيمن أراد أن يتسمّى بالخلافة ثم منعه مانع المعز ، أراد ذلك فكرّه إليه الفقيه أبو عمران ذلك ، و بيّن له أنّ النص لم يجوّز الخلافة إلا في قريش ، فقال :" إنّك إنّما تريد بهذا الشقاق و الإرتفـــاع عـــن المسالمة ، و هذا لا يتم لك ، لأنّك إذا فتحت هذا الباب تسمّى بها كل من أردت التفوّق عليه فبطل ما اختصصت به و هان هذا الأمر و لم تفد شيئا " ، فسمع المعز له و ترك ما أراد [2] .

و في موضـــوع آخـــر نجد المعز يتدخل في شؤون صقلية أحيانا ، فعندما ساءت أحوالها سار إليه جماعة من أهلها وذلك سنة 427 هـــ / 1035 م ، وشكوا إليه ما حلّ بهم وقالوا : " نحب أن نكون في طاعتك وإلا سلمنا البلاد إلى الروم "، فسيّر معهم ولده عبد الله في عسكر فدخل المدينة وحصرها ، ثمّ اخـــتلف أهل صقلية وأراد بعضهم نصرة الأكحل – و كان أميرا على صقلية – فقتله الذين أحضروا عـــبد الله بن المعز، ثم إنّ الصقليين رجع بعضهم على بعض وقالوا :" أدخلتم غيركم عليكم" ، فعزموا علـــى حـــرب عسكر المعز ، فاجتمعوا وزحفوا إليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز بن باديس وقتل منهم ثمانمائة رجل ورجعوا في المراكب إلى إفريقية [3] .

إنّ الإنفصال عن الفاطميين كان مطلبا ملّحا في عهد المعز ، فبالإضافة إلى ما سبق ذكره من تسلّط الوزير الجرجرائي على المستنصر و انقطاع الهـــدايا بين مصر و إفريقية ، و تطلّع المعـــز إلى الخـــلافة ، و فتـــاوى العلماء التي تحـــرّم الدعاء لبني عبيد و حثّهم السلطان على خلع طاعتهم و قطع الخطبة لهم ، و المـــشاكل التي تعاني منها الخلافة الفاطمية و انشغالها بمشاكل المشرق ، أسهمت عوامل أخرى في هذا الإنفصال ، و منها توفر الذهب في بلاد المغرب و الذي كان مصدره الأساسي السودان الغربي ، حيث كان عاملا مهما في الرخـــاء الذي تمتعت به الـــدول في شمال إفريقيا ، و قد احتكر الفاطميون ذهب

(1) الدباغ، معالم الإيمان، ج3، ص 171 .

(2) ابن حزم، رسائل ابن حزم " نقط العروس"، ج2، ص 87 .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 472 .

الـــسودان بعد سيطرتهم على بلاد المغرب ، و جمعوا ثروات طائلة ساعدتهم في فتح مصر[1] ، و لمّا تولّى الـــصنهاجيون حكم إفريقية استفادوا من الحركة الإقتصادية في البلاد و من دورة الذهب الإفريقي التي كانت السبب في ثروة الفاطميين [2] ، و أصبحت الأمـــوال التي كانت ترسل سنويا للقاهرة عبئا ثقيـــلا علـــى الخـــزانة الزيرية ، و تحول دون خطط البناء و التعمير و تقوية الجيش و الأسطول [3] الأمر الذي اســـتدعى الـــتفكير في الإستفادة من هذه الثروة كلّها دون إرسال كميات كبيرة منها إلى مصر ، و لن يتحقق هذا إلا بإعلان الإنفصال عن العبيديين .

و أمّا ما ذكره بعض المستشرقين من أمثال جورج مارسي و غيره من أنّ أسباب الإنفصال تعود إلى أسباب عرقية متمثلة في كراهية البربر للعرب أو محاولة إبعاد السيطرة العربية أو الميل للكيان البربري[4] ، فهذا كلام لا يقبله عقل سليم و لا منطق قويم ، و عجبا لهؤلاء كيف يطعنون في أنفسهم و مكانتهم العلمية من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون بمثـــل هذه الإفتـــراءات التي لا تمت بصلة للـــواقع و التاريخ ، و من السهل على أي شخص مهما كـــان مستواه أن يردّ عليها و يفندّها ، و أجـــدني مضطرا إلى ذلك موجها إلى هـــذا و أمثاله أسئلة بسيطة ، الأكيد أنّها لن تزيدهم إلا عنادا ، و حالهم كما قـــال الله تعالى : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ [5] ، و هذه الأسئلة هي :

– لمـــــاذا أعلـــن الـــصنهاجيون الزيريون " البربر" بعد انفصالهم عن العبيديين " العرب " الـــولاء للعباسيين " العرب " ؟ .

– و لمـــاذا انفصل الحمّاديون " البربر " في المغرب الأوسط عن أبناء عمومتهم الزيريين " البربر " في إفريقيـــة ؟ .

– و بمـــاذا يمكن أن نفسر تلك الحـــروب الدائمة بين زنـــاتة القبيلة " البربريـــة " و صنهـــاجة القبيلة " البربرية " [6] ؟ .

---

(1) د/ أمين توفيق الطيبي، **دراســات و بحــوث في تاريخ المغــرب و الأنــدلس**، الدارالعربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1984، ص 320 .

(2) شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي، ج2، ص 917 .

(3) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج4، ص 46 .

(4) نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

(5) سورة النمل، الآية 14 .

(6) و قد بيّن الأستاذ بن عميرة محمد أسباب الصراع بين زناتة و صنهاجة بشيء من التفصيل (محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية، ص 299 و ما بعدها) .

ب – تحـــديد تاريخ القطيعة مع الفـــاطميين و الـــولاء للعبـــاسيين :

لقد اختلف المؤرخـــون كثيرا حول تاريخ الإنفصال عن الفاطميين ، و ذكروا فيه أقوالا عديدة ، و قـــد يذكـــر المـــؤرخ الـــواحـــد قولين كابن عذارى و ابن الأثـــير، و بعضهم ذكر ثلاثة أقـــوال كالمقريـــزي ، و هـــذه التواريخ التي ذُكرت محصورة بين سنتي 433 هــ/1041 م و 443 هــ/ 1051 م ، و هي لا تخرج عن سبعة أقـــوال :

– **القول الأول سنة 433 هــ/ 1041 م** : انفرد ابن عذارى بهذا القول و لم يتابعه أحـــد ، قال : " في هذه السنة أظهر المعز بن باديس الدولة العباسية ، و ورد عليه عهد القائم بأمر الله " [1] .

– **القول الثاني سنة 435 هــ/1043 م** : ذكره ابن الأثير و النويري برواية واحدة تقريبا فقالا: " في هـــذه الـــسنة أظهر المعـــز ببلاد إفريقية الدعاء للدولة العباسية ، و خطب للإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، و في أول الكتاب الذي مع الرسل : من عبد الله و وليّه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملـــك الأوحد ثقة الإسلام و شرف الإمام و عمدة الأنام ناصر الدين و قاهر أعداء الله و مؤيّد سنة رســـــول الله أبي تمـــيم المعز بن باديس بن المنصور وليّ أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب ، و ما افتتحه بـــسيف أمير المؤمنين ، و هو طويل ، و أرسل إليه سيف و فرس و أعلام على طريق القسطنطينية [2] ، فوصل ذلك يوم الجمعة ، فدخل به إلى الجامع و الخطيب على المنبر يخطب ، فدخلت الأعـــلام فقال : هـــذا لـــــواء الحمـــد يجمعكم و هذا معز الدين يسمعكم و أستغفر الله لي و لكم ، و قطعت الخطبة للعلويين من ذلك و أحرقت بنودهم" [3] ، و اقتصر ابن أبي دينار على العبارة التالية : " و في سنة 435 هــ/ 1043 م أظهر المعز الدعوة لبني العباس ، و ورد عليه عهد من الإمام القائم بأمر الله العباسي"[4] .

أمّا المقريزي فاقتصر هو الآخر على عبارة موجزة هي : " فيها قطع المعز بن باديس الخطبة للمستنصر ، و دعـــا بـــبلاد إفـــريقية للخلـــيفة القائم بأمر الله العباسي ، فبعث إليه الخلع من بغـــداد على طريق القسطنطينية " [5] ، و تبعهم ابن كثير فقال : "و فيها خطب المعز أبو تميم صاحب إفريقية ببلاده للخليفة

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 275 .

(2) القـــسطنطينية : مدينة بالغة التحصين تقع على مضيق البوسفور ، و تشغل حاليا جانبا من سبه جزيرة في بحر مرمرة ، عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 347) .

(3) ابن الأثير، الكامل،ج8، ص 266 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 116 .

(4) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 104 .

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 190 .

العباســـي و قطع خطبة الفاطميين و أحرق أعـــلامهم و أرسل إليه الخليفة الخلع و اللواء المنثور، و فيه تعظيم لـــه و ثناء عليه" [1] .

– **القــول الــثالث سنة 437 هـ/ 1045 م** : ذكره ابن خلدون قال : " إنّ المعز قطع أسمـــاء بني عبيـــد من الطرز و بايع القائم العباسي و دعا له على المنابر سنة 437 هــ / 1045 م و بعث بالبيعة إلى بغـــداد ، و هـــذا في عهد اليـــازوري الوزير[2] " ؟ ، و ذكر أيضا أنّ كتاب الخليفة قرئ بجـــامع القيروان و نشرت الرايات الســـود و هدمت دار الإسماعيلية [3] .

– **القول الرابع سنة 438 هــ/ 1046 م** : ذكره العبادي نقلا عن مؤرخ إنجليزي يدعى ليين بول الـــذي حـــدّد تاريخ القطيعة بسنة 438 هــ/ 1046 م ، و ذلك إعتمادا على آخر عملة ضربت في المنصورية تحمل اسم الخليفة المستنصر[4] .

– **القــول الخـــامس ســـنة 440 هـ/ 1048 م** : ذكره ابن عذارى قال: "و فيها قطعت الخطبة لـــصاحب مصر و أحرقت بنوده ، قال ابن شرف : و أمر المعز بن باديس بأن يدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب و بقطع الدعوة للشيعة العبيديين ، فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة و للعباس و بقية العـــشرة ، فكـــــان لذلك بالقيروان سرور عظيم ، و لما كان عيد الأضحى أمر الخطيب أن يسبّ بني عبيد ، فقال : اللهم و العن الفسقة الكبار و المارقين الفجار المتبعين غير سبيلك المبدّلين لكتابك ، اللهم و العنهم لعنا وبيلا و اخزهم خزيا عريضا طويلا ، اللهم و إنّ سيدنا أبا تميم المعز القائم لدينك و الناصر لسنّة نبيك و الرافع للواء أوليائك ، يقول مصدّقا لكتابك و تابعا لأمرك مدافعا عمّن غيّر و سلك غير سبيل الراشدين المؤمنين ﴿ **يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون** ﴾" [5] .

وابـــن أبي دينار ذكر ذلك مختصرا فقال : "و في سنة 440هــ/ 1048 م قطع المعز بن باديس الخطبة لبني عبيد و قطع بنودهم و أحرقها بالنار"[6]، و ابن الأثير عاد ليقول إنّ تاريخ الإنفصال كـــان

(1) ابن كثير ، البداية و النهاية، ج12، ص 51 .

(2) اليازوري : الحسن بن عبد الرحمان أبـــو محمد اليازوري ، وزير من الدهاة ، ولد في يازور بفلسطين وسكن الرملة و ولي الحكم فيها ، واتصل بالمستنصر فاستوزره سنة 442 هــ/ 1050 م و لقبّه سيّد الـــوزراء ، و استمر في الوزارة إلى أن قبض عليه المستنصر و قتله سنة 450 هــ/ 1058 م (المقريزي، **كتـــاب المقفـــى الكبـــير**، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991، ج3، ص 83 . الزركلي، الأعـــلام، ج2، ص 202) .

(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 29 .

(4) أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي و الفاطمي، ص 323 ، هامش 3 .

(5) هكذا بإسقاط قل و آخرها (ابن عذارى، البيان، ج1، ص ص277 – 278) .

(6) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 105 .

سنة 440 هــ/ 1048 م [1] ، وكذلك قال ابن خلــدون [2] و المقريزي [3] ، و اختار هذا التاريخ أيضا الذهــبي [4] و ابن عماد الحنبلي [5] .

– **القول السادس سنة 441 هــ/ 1049 م** : ذكره ابن أبي الضياف فقال : " و في سنة 441 هــ/ 1049 م نبذ المعز الدعاء للخليفة العبيدي ، و بايع للقائم العباسي و أتاه التقليد منه " [6] .

– **القول السابع سنة 443 هــ/ 1051 م** : ذكره المشارقة خاصة ، و منهم المقريزي قال : " فيها أظهــر المعز الخلاف على المستنصر ، و سيّر رسولا إلى بغداد ليقيم الدعوة العباسية ، و استدعى منهم الخلع فأجيب إلى ذلك ، و جهــزت الخلع على يد رجل يقال لــه أبو غالب الشيرازي و معه العهــد و اللواء الأسود ، فمرّ ببلاد الروم ليعدي منها إلى إفريقية فقبض عليه صاحب الروم ، و بلغ ذلك المعز فأرســل إلى قسطنطين ملك الروم فلم يجبه رعاية لحق المستنصر ، و أرسل الرسول إلى القاهرة فدخلها على جمل و أحرق العهد و اللواء و الهدية ، ثم أقرّ المستنصر ردّ الرسول إلى صاحب القسطنطينية " [7] .

و قبل التعليق على هذه الأقوال لا بأس بذكر بعض آراء المؤرخين المحدثين في تحديد سنة الإنفصال عــن الدولــة الفاطمية ، و في مقدمتهم روجي إدريس الذي رجّح تاريخ 439 هــ - 440 هــ / 1047 م – 1049 م قائلا : "و قبل التعرّض للروايات التي تحدّد تاريخ قطع الدعوة الفاطمية و إظهار الدعوة للخليفة العباسي سنة 439 هــ - 440 هــ / 1047 م – 1048 م و هي روايات مقتبسة في معظمها من تاريخ ابن شرف ، يجدر بنا الرجوع إلى المعلومات المتعلقة بالمسكوكات ، و التي تؤكد بلا ريب صحة ذلك التاريخ " [8] ، أمّا سعد زغلول فقد اختار الجمع بين الروايات المختلفة ، حيث ذكر أنّ ســنة 435 هــــ / 1043 م هي سنة القطيعة من حيث إجابة مسعى القيروان للدخول في طاعة العباسيين ، و تمّ هذا الأمر في سرّية دون علم القاهرة ، و كانت فترة الخمس سنوات من 435 هــ/ 1043 م إلى 440 هــ/ 1048 م قد انقضت في محــاولات القــاهرة ردّ المعز عن انحرافه فكانت

---

(1) ابن الأثير، الكامل،ج8، ص 295 .

(2) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 131 و ج6، ص 325 .

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 216 .

(4) الذهبي، تــاريخ الإســلام، ج9، ص 499 .

(5) ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، ص 294 .

(6) ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان، ج1، ص 172 .

(7) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 214 . و انظر أيضا : أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج5، ص 50 . ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 332 . ابن ميسّر، أخبار مصر، ص 5 .

(8) روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج1، ص 230 .

القطـيعة ســنة 440 هــ/ 1048 م ، ثمّ كان إتخاذ اللون الأسود شعار العباسيين سنة 443 هــ / 1051 م [1] ، بينما رجّح العبادي سنة 443 هــ/ 1051 م كتاريخ للقطيعة ، و دليله على ذلك أنّ وزارة الــيازوري التي تبدأ سنة 442 هــ/ 1050 م هي التي كانت من دواعي هذا الإنفصال نظــرا للنــزاع الذي دبّ بينه و بين المعز بن باديس [1].

و لتــرجيح أحد هذه التواريخ لا بد من الوقوف عند كل واحد منها بتمعّن ، فأمّا تاريخ 443 هــ/ 1051 م فهو بعيد عن الصواب و ذلك لسبب واضح لا يحتمل ردّا و لا تأويلا ، و يتمثل في أنّ تــاريخ ضرب العملة الزيرية الجديدة كان سنة 441 هــ/ 1049 م [2] ، فمن غير المنطقي أن يكون تبديل العملة سابقا للإنفصال السياسي ، و لعلّ المؤرخين الذين ذكروا هذا التاريخ خاصة المشارقة منهم ربطــوه بحــادث مهــم جدّا ، و هو خروج برقة عن طاعة العبيديين في هذه السنة ، فقد وصلت إلى القيروان مكاتبة من الأمير جبارة بن المختار العربي من برقة بالسمع و الطاعة للمعز بن باديس ، و أخبر أنّه و أهل برقة قد أحرقوا المنابر التي يدعى عليها للعبيدية ، و أحرقوا راياتهم و تــبرؤوا منهم و لعنوهم على منابرهم و دعوا للقائم العباسي [3] ، و هذا ما يشكل تهديدا مباشرا للفاطميين لموقع برقة و قربها من مــصر ، و ما ذكره ابن عذارى من لباس السواد في القيروان و الدعاء لبني العباس و أمر المعز بإحضار جمــاعــة من الصباغين و أخرج لهم ثيابا بيضا من فندق الكتّان و أمرهم أن يصبغوها سودا فصبغوها بأحلك السواد ، و جمع الخياطين فقطعوها أثــوابا ، ثم جمع الفقهــاء و القضــاة إلى قصره و خطيبي القــيروان و جمــيع المؤذنين و كساهم ذلك السواد ، و ركب السلطان بعدهم حتى وصل إلى جامع القيروان ، ثمّ صعد الخطيب المنبر و خطب خطبة أتى فيها على جميع الأمر بأجزل لفظ و أحسن معنى ، ثمّ دعــا للقائم العباسي و دعا للسلطــان و ولده تميم ، ثمّ أخزى بني عبيــد الشيعة و لعنهم [4] ، فهذا العمــل لا يعــدو إلا أن يكون ردّ فعل طبيعي على القبض على أبي غالب الشيرازي رســول الخليفة القــائم العباسي ، و ما فعل به الخليفة المستنصر العبيدي من التنكيل و التشهير به في مدينة القاهرة كما روى ذلك المقريزي [5].

---

(1) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3، ص ص 392 – 393 .

(1) د/ أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي و الفاطمي، ص 323 ، هامش 3 .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 278 .

(3) نفسه، ج1، ص 288 .

G. Marçais, Arabes en Berbérie du XI au XIV siècle, p 58

(4) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1

الفصل الخامس

زحف بني هلال وبني سليم نحو إفريقية وبلاد المغرب

الفصل الخامس : زحف بني هـــلال و بني سليم نحو إفريقية و بـــلاد المغـــرب .

1 – تعريف بني هـــلال و بني سليم :

يعتـــبر غـــزو الأعـــراب من بني هلال خاصة و بني سليم بدرجة أقل إفريقية و بلاد المغرب من الأحـــداث الكبرى التي عرفتها المنطقة و التي سوف يمتـــد تأثيرها لعدة قرون ، و قبل تتبع مراحل هذا الغزو و نتائجه لا بدّ من الوقوف قليلا عند التعريف بهذه القبائل الأعرابية .

إنّ بني هلال أهمّ الشعـــوب العربية الثلاثة الداخلة إلى بلاد المغرب ، فقد كـــانوا من كثرة العدد و تعدد البطون بحيث غطّى اسمهم على الشعبين الآخرين بنو سليم و المعقل ، و يشتمل هذا الشعب على عدد كبير من القبائل ، بعضها ينتمي إليه حقيقة بالنسب و بعضها نسبه في غيره و لكنّه محســـوب منه و مـــضاف إليه ، و من هذه القبائل من أكلتها الحروب أثناء الزحف و بعده فاندثرت و لم يبق منها إلا اسمهـــا يذكـــر بها ، و منها قبائل تناسلت و نمت فصارت لها البطـــون و الأفخاذ الكثيرة فارتقت من رتبة القبائل إلى رتبة الشعـــوب [1] ، و قال ابن حزم في نسبهم : " بنو هـــلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكـــر بن هـــوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيـــلان " [2] ، و أهـــم قبائل بني هـــلال هي :

– **الأثـــبج** : ينسبون إلى الأثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال ، كانوا أوفر عددا من غيرهم و أكثر بطـــونا ، فكان لهم التقـــدم على من ســـواهم ، و من قبائلهم دريد و كرفـــة و الضحـــاك و مقدم و لطيف و العاصم و غيرهم [3] .

– **جـــشـــم** : ينـــسبون إلى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، و اندمجت فيهم قبائل أخـــرى من الأثـــبج كالمقدم و العاصم ، فعـــدّوا منهم و غلب اسم جشم عليهم جميعـــا ، و من أشهر قبائلهم بني جابر و الخلط و سفيان [4] .

– **ريـــاح** : ينسبون إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ، كانوا من أعز قبائل بني هلال نفرا و أوفرهم جمعا عند دخولهم إلى بلاد المغرب ، و قبائلهم كثيرة منها الخضر و مرداس و أولاد سعد و أولاد سليم [5] .

---

(1) عبد الوهـــاب بن منصور، **قبـــائـــل المغـــــرب**، المطبعـــة الملكيـــة، الربـــــاط، 1968، ص 417 .
(2) ابن حـــزم، جمهرة أنساب العرب، ص 272 .
(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 48 .
(4) نفسه، ج6، ص 51 .
(5) نفسه، ج6، ص 69 .

– **زغـــبـــة** : ينسبون إلى زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هـــلال بن عـــامر ، كانت لهم كثرة و عزّة عند دخولهم المغـــرب ، و تغلبوا أولا على نواحي طرابلس و قابس ، و من قبائلهم حصين و بنو مالك و بنو عامر و بنو يزيد و عروة [1] .

و أمّا بنـــو سليـــم فهم : بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان ، من أوسع بطـــون مـــضر و أكثرها جموعا ، كانت مواطنهم الأولى بنجد ، و كانت السيادة فيهم لبني الثريد بن عصية بن خفاف بن بهثة بن سليم ، و لّما أدركهم الإسلام كان منهم عناد ، ومن بطونهم المشهورة قبائل عصية و زعل و ذكوان الذين دعا عليهم رسول الله صلّى الله عليه و سلم لّما فتكوا بأصحابه ، ثمّ أسلموا و خاضـــوا فيما خاضت فيه القبائل من شؤون الخلافات و الفتوح ، و صاروا في عهد الخلافة العباسية أولي فتـــنة و بغـــي ، و لّما ظهر القرامطة [2] غمسوا أيديهم في فتنتهم و حالفوا أبا الطاهر و بنيه أمراء البحـــرين مـــع بني عقيل بن كعب ، فلمّا انقرض أمرهم اعتنق بنو سليم مذهب الشيعة و تغلبوا على البحـــرين بدعـــوتهم لمـــــا أنّ القرامطة كانوا متشيّعين ، و استمروا هناك حتى قام بنو الأصفر بدعوة العباسيين ، فانتزعوا البحرين من أيدي بني سليم في أيام بني بويه و طردوهم عنها ، فلحقوا بصعيد مصر و أقاموا به مع بقية الأعراب ، ومن قبائلهم ذياب و زغب و عوف و هيب [3] .

و أقـــل الأعراب الداخلين إلى المغرب عددا المعقل ، و نسبهم مجهـــول عند الجمهور ، و يعدّهم نـــسّابو العـــرب من بطون هـــلال و ليس ذلك بصحيح ، و الصحيح و الله أعلم من أمرهم أنّهم من عرب اليمن ، لأنّ من هؤلاء بطنين يسمّى كل واحد منهما بالمعقل على ما ذكره ابن الكلبي و غيره ،

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 75 .

(2) القرامطة : ترجع جـــذور القرامطة إلى الأفكار الدينية التي تتعلق بالمهدي المنتظر في العقيدة الشيعية ، وعقائدهم الدينية إسماعيلية شيعية في مجملها ، و اختلف في تسميتهم على عدّة أقـــوال منها :

– ترجع إلى رجل بإحدى القرى بسواد الكوفة اسمه حمدان بن الأشعث و يلقب كرميته لحمرة عينيه ، و قد التقى هذا الرجل برجل مـــن الباطنـــية يدعى حسين الأهوازي ، و كان هذا يتظاهر بالورع و الزهد و يدعو إلى الإمام من أهل البيت ، و كان هذا الرجل مريـــضا فحملـــه إلى بيته و اعتنى به ، و بدأ ينتشر هذا المذهب من هـــذا البيت ، و نسب المذهب إلى كرميته باعتباره الذي آوى الداعية و حثّ الناس على اتباع مذهبه .

– تنسب القرامطة إلى مذهب يقال له القرامطة ، و هو مذهب خارج عن الإســـلام .

– و يـــرى آخرون أنّ القرامطة ينسبون إلى حمدان بن الأشعث نفسه ، و هو رجل كان يعيش بسواد الكوفة ، و لقّب قرمطا لأنّه كـــان قصـــيرا و كانت رجـــلاه قصيرتين (عبد القادر صالح، **العقـــائـــد و الأديـــــان**، دار المعرفـــة، بيروت، الطبعة الأولى، 2003، ص 266) . و حول تاريخ القرامطة انظر : ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 181 و ما بعدها .

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 141 .

أحدهما من قضاعة و الآخر من مذحج ، و الغالب أنّهم من هذا البطن الأخير ، أمّا هم فيدّعون أنّهم من آل البـــيت من ذرية جعفر بن أبي طالب ، و قد كان عرب المعقل يسكنون قرب البحرين مع القرامطة قـــبل دخولهم المغرب ، و لّما دخلوه لم يكن عددهم يتجاوز المائتين ، فاعترضهم بنو سليم فتحيّزوا إلى الهلاليين و نزلوا بآخر مواطنهم ممّا يلي وادي ملوية و رمال تافيلالت و جاوروا زناتة في القفار ، فكثروا و انتـــشروا في صـــحراء المغرب الأقصى ، فعمّروا أطرافها و تغلبوا على فيافيها و حالفوا زناتة في جميع الأوقات ، و لم يبق منهم في إفريقية إلا جمع قليل [1] .

و قد ذكر ابن خلـــدون شيئا من أخبار بني هـــلال و بني سليم قبل بداية غزوهم بـــلاد المغرب فقـــال : " كانت بطون هلال و سليم في مصر لم يزالوا بادين منذ الدولة العباسية و كانوا أحياء ناجعة بمجالاتهم من قفر الحجـــاز بنجد ، فبنو سليم مما يلي المدينة و بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ، و ربما كانوا يطوفون رحلة الصيف و الشتاء أطـــراف العـــراق و الشـــام ، فيغيـــرون على الضواحي و يفسدون السابلة و يقطعون على الرفاق ، و ربما أغار بنو سليم على الحاج أيام الموسم بمكة و أيـــام الزيارة بالمدينة و مازالت البعـــوث تجهز و الكتّاب تكتب في باب الخلافة ببغداد للإيقاع بهـــم و صون الحـــاج من ممرات هجومهم ، ثم تحيّـــز بنو سليم و الكثير من ربيعة بن عامر إلى القرامطة عند ظهورهم و صاروا جندا لهم بالبحرين و عمان ، و لما تغلب شيعـــة بنو عبيد الله المهـــدي على مصر و الشام ، و كان القرامطة قد تغلّبوا على أمصار الشام فانتزعها العزيز العبيدي منهم و غلبهم عليها و ردّهم على أعقـــابهم إلى قـــرارهم بالبحرين ، و نقل أشياعهم من العرب من بني هلال و سليم فأنزلهم الصعيد في العدوة الشرقية من بحر النيل ، فأقاموا هناك و كان لهم أضرار بالبلاد " [2] .

ثمّ ذكـــر ابـــن خلدون أنّ فرقة من أؤلئك الهلاليين كانوا ببرقة أيام الحاكم العبيدي ، و لهم فيها أخبار مع الصنهاجيين و الشيعة بمصر ، غير أنّه يرى أنّ نسبهم في مناف و ليس في هلال ، مستدلا على ذلك بأبيـــات من الشعر [3] .

و كـــان شـــيخهم أيـــام الحاكم مختار بن القاسم ، و لّمـــا بعث الحاكم يحي بن علي الأندلسي لـــصريخ فلفول بن سعيد على صنهاجة ، أوعز لهم في السير معه ، فوصلوا إلى طرابلس و جرّوا الهزيمة على يحي بن علي و رجعوا إلى برقة ، و بحث عنهم فامتنعوا ثمّ بعث لهم بالأمـــان ، و وصل وفـــدهم

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 118 .

(2) نفسه، ج6، ص27 .

(3) نفسه، ج6، ص37 .

إلى الإسكندرية فقتلوا عن آخرهم سنة 394 هـ/ 1003 م ، و كان عندهم معلم للقرآن اسمه الوليد بن هشام ينسب إلى المغيرة بن عبد الرحمان من بني أمية ، و كان يزعم أنّ لديه أثارة من علم في اجتياز ملك آبائه ، و قبل ذلك منه البرابرة من مزاتة و زناتة و لواتة و تحدثوا بشأنه ، فنصبه بنو قرة و بايعوه بالخلافة سنة 395 هـ/ 1004 م ، و تغلّبوا على مدينة برقة ، و زحف إليهم جيوش الحاكم فهزموها و قتل الوليد بن هشام قائدها من الترك ، ثم زحفوا إلى مصر فانهزموا ، و لحق الوليد بأرض النجاء من بلاد السودان ، ثمّ أخفرت ذمته و سيق إلى مصر و قُتل ، و هدرت لبني قرة جنايتهم هذه و عفا عنهم ، و لّما كانت سنة 402 هـ/ 1011 م اعترضوا هدية باديس بن المنصور إلى مصر فأخذوها ، و زحفوا إلى برقة فغلبوا العامل عليها و فرّ في البحر و استولوا عليها ، و لم يزل هذا شأنهم بها ، فلما زحف إخوانهم الهلاليون من زغبة و رياح و الأثبج و أتباعهم إلى إفريقية كانوا ممّن زحف معهم [1] .

و لّما كانت برقة مصدر مشاكل و اضطرابات ضمّها الحاكم العبيدي إلى باديس بن المنصور ، و بذلك صارت ليبيا كلها في ملكية الزيريين الصنهاجيين ، و من الواضح أنّ الحاكم بأمر الله لم يقدّم لباديس بذلك هدّية ذات بال ، إذ الحقيقة أنّه تخلص من متاعب بني قرة الهلاليين المتشبّثين ببرقة ، و ألقاها على كتف بني زيري الصنهاجيين [2].

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 37 .

(2) حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته، ج1، ص 596 .

2 – سير عمليات الزحف الهلالي نحو إفريقية و بلاد المغرب :

كانـــت قبائل بني هلال و بني سليم مستقرة في صعيد مصر ، و كانت تثير المشاكل و تشكل عبئا ثقـــيلا على الفاطميين ، و كان لا يسمح لهم بالرحيل و إجازة النيل [1] ، و لمّا أعلن المعز انفصاله سنة 435 هـــــ/ 1043 م ، اهـــتدى العبيديون إلى طريقة مثلى للتخلص من هؤلاء الأعراب ، حيث يتم إرسالهم إلى بلاد المغرب على شكل موجات هجرة بشرية ، فيتحقق لهم بذلك مجموعة من الأهداف في مقدمـــتها التخلّص منهم ، فإن ظفر الهلالية بالمعز و عصبته صنهاجة كانوا أولياء للدعوة و عمالا بتلك القاصية ، و ارتفع عدوانهـــم عن ساحة الخلافة ، و إن كانت الأخرى فلها ما بعدها [2] ، لكن السؤال المطروح هو : من كان وراء فكرة إرسال الأعراب إلى المغرب و إفريقية ، الوزير أبو القاسم الجرجرائي أم الوزير اليازوري ؟ .

إنّ الكثير من المصادر التاريخية تذكر أنّ صاحب فكرة إرسال الأعراب إلى شمال إفريقيا هو الوزير اليازوري الذي بعد أن تولّى منصب الوزارة لم يخاطبه المعز بما كان يخاطب قبله من الوزراء كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازوري بصنيعته ، فعظم عليه ذلك فعاتبه فلم يرجع [3] ، ففي 07 المحرم 442 هـــ / 24 نوفمـــبر 1050 م قرىء سجّل القاضي أبي محمد اليازوري بالوزارة ولقب بالوزير الأجلّ المكين سيد الوزراء تاج الأصفياء قاضي القضاة وداعي الدعاة علم المجد خالصة أمير المؤمنين وخلع عليه ، فنظر في الـــوزارة وليس من أهلها ولا من أرباب الكتابة فمضى فيها مضي الجواد ونهض مسرعاً نهوضا عز به في وجـــوه مـــن تقدمه مع ما بيده من قضاء القضاء والدعوة والنظر في ديوان السيدة ، وكاتب ملوك الأطراف فأجابوه بوفور حقه إلا معز الدولة بن باديس الصنهاجي صاحب إفريقية فإنه قصّر في المكاتبة عمّا كان يكاتب به من تقدّم من الوزراء ، فإنّه كان يكاتب كلا منهم بعبده فجعل مكاتبته بصنيعته ، فاســـتدعى الوزير أبا القاسم بن الإخوة وكيل ابن باديس بمصر وعاتب صاحبه عنده وقال : " إنّ معزاً ينقصني عمّن تقدمني إذا لم أكن من أهل صناعة الكتابة ، و إن لم أكن أوفى منهم فما أنا دونهم ، ومن رفعه السلطان ارتفع وإن كان خاملاً ومن وضع اتضع وإن كان جليلا نبيلاً ، فاكتب إليه بما يرجعه إلى الـــصواب " ، فكتب إليه بذلك وقد أذكى الوزير عليه عيونا يطالعونه بأنفاسه ، فلمّا وقف على كتاب ابن الإخوة قـــال : " ما الذي يريد مني هذا الفـــلاح ، لا كنت عبده ولا كان هذا لا يكون أبدا وما

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 297 .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 30 .

(3) ابن الأثير، الكامل ، ج8، ص 295 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 116 .

كتـــبت إليه فكثير" ، فطالعه عيونه بقولـــه ، فأحضر ابن الإخوة وقال له : " قد جرى صاحبك على عادته في الجهل فاكتب إليه بما يردعه فيه و إلا عرفته بنفسي إذ لم يعرفني " ، فكتب إليه بذلك فأجاب بمـــا هو أقبح من الأول ، فدسّ إليه الوزيـــر من تلطف في أخذ سكين دواته ، فلمّا وصلت إليه أحضر ابن الإخوة وقال لـــه : " كنت أظنّ بصاحبك أنّ الذي حمله على ما كان منه ثروة الشبيبة وقلة خبره بما تقضي به الأقدار ، وأنّه إذا نبه تنبه فإذا الجهل مستول عليه ، وظنّه أنّ بعد المسافة بيننا وبينه يمنع من الانتـــصاف مـــنه والوصول إليه بما يكره وقد تلطفنا في أخذ سكين دواته ، و ها هي ذي فأنفذها إليه وأعلمه أنا كما تلطفنا في أخذها أنا نتلطف في ذبحه بها " ، ودفعهـــا إليه ، فكتب ابن الإخوة بذلك ، فـــازداد شـــراً وبطراً ، فدسّ عليه من أخذ نعله وكان يمشي في الأحذية السندية ، فلما وصلت إليـــه أحـــضر ابن الإخوة وقال له : " اكتب إلى هذا البربري الأحمق وقل له إن عقلت وأحسنت أدبك وإلا جعلنا تأديبك بهذه ، فجرى على عادته في القول القبيح " [1] ، فكان هذا الخلاف سبب إرسال الأعراب إلى بلاد المغرب .

و الأكـــيد أنّ تنفيذ أمر كهذا و بمثـــل هذا الحجم يحتاج إلى وقت طويل و تفكير عميق ، فإذا كـــان إرسال الجيوش ذات العدد المحدود يتطلب وقتا و جهدا كبيرين ، فكيف الحال بإرسال عشرات الآلاف مـــن الأشخاص بعوائلهم ؟ ، و هـــذا ما يدفعنا إلى القول أنّ صاحب فكرة إرسال الأعـــراب إنّمـــا هو الوزير أبو القاسم الجرجرائي الذي أعاد النظام إلى البلاد المصرية ، وكان المدّبر لشؤون الدولة الملّم بمشاكلها ، فقد نقل التجاني في رحلته عن ابن بسام أنّ الجرجرائي هو من أجاز الأعراب و قـــال : " و الله لا جيّشت لهم جيشا و لا تحمّلت لهم نصبا " [2] ، و ذكر ابن عذارى أنّ الجرجرائي هو من أذن لهـــم في المعز[3] ، و جاء عند ابن حمّاد أنّ المعز لّما خلع طاعة العبيديين قال الجرجرائي للمستنصر: " لا تكلـــف لـــه ، و لا تجهز له جندا " ، ثمّ قال ابن حمـــّاد إنّ الجرجرائي هو من دبّـــر إجازة العرب إلى إفـــريقية [4] ، و كـــذلك قال ابن الخطيب [5] ، أمّا ابن خلدون فذكر أنّه قيل إنّ الجرجرائي قد أشـــار بذلك ، ثمّ عقّب بأنّ هذا ليس بصحيح [6] .

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 216 . المقريزي، كتاب المقفى الكبير، ج3، ص 377 .

(2) التجاني، رحلة التجاني، ص 18 .

(3) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 297 .

(4) ابن حمّاد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، ص 226 .

(5) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 74 .

(6) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 30 .

و الـــشيء الذي حال بين الجرجرائي و بين تنفيذ خطّته هو الأجل الذي أدركه سنة 436 هـــ/ 1044 م ، و بعـــد وفاته اشتدّ النزاع بين الوزراء و أمّ المستنصر التي كانت أمة سوداء لتاجر يهودي يقـــال له أبو سعيد التستري ، فابتاعها منه الظاهر و استولدها المستنصر ، فلمّا أفضت الخلافة إليه رقّت أمّه التستري درجة عليّة [1] ، فعملت على تقريبه و جعلته متولّي ديوانها ، فلم يبق للفلاحي معه أمر و لا نهـــي ســـوى الاسم فقط و بعض التنفيذ [2] ، و عمل أبو سعيد التستري على استمالة المغاربة فزاد في واجباتهم و نقص من واجبات الأتراك ، فجـــرى بين الطائفتين حرب [3] ، و مال الفلاحي إلى الأتـــراك و زاد في أرزاقهـــــم و حرّضـــهم علـــى التستري فقتلوه سنة 439 هـــ/ 1047 م [4] ، فعملت أم المستنصر على التخلّص من الفلاحي فأغرت به الخليفة حتى اعتقله سنة 439 هـــ/ 1047 م ، ثمّ قتل سنة 440 هـــ / 1048 م [5] ، و استكثرت أمّ المستنصر من شراء العبيد حتى يقال إنّهم بلغوا نحوا من خمـــسين ألـــف عبد أسود و جعلتهم طائفة خاصة بها [6] ، فاضطربت أحوال الدولة ، و تعطّل مشروع التخلص من الأعراب و الذين يكونون قد استغلوا هذه الفوضى و أثاروا هم كذلك المشاكل في الصعيد المصري حيث يقيمون ، و لّما تولّى اليازوري الوزارة بعد أن أزاح خصومه و ازداد نفوذه ، صار تجسيد المـــشروع أمرا متيسّرا ، و يؤكّد هذا أنّه – اليازوري- أشار على المستنصر باصطناع العرب عن طريق تقريب مشايخهم و توليتهم أعمـــال إفريقية ، و أرسل إليهم في هذا الأمر سنة 441 هـــ/ 1049 م [7] و لم يكن اليازوري في هذا التاريخ قد تولّى الوزارة بعد ، و لكنّه كان يتمتع بنفوذ كبير ، فقد حلّ محلّ التستري بالنسبة لأم المستنصر[8] .

و إذا كانت هذه المشاكل قد أخّرت إرسال الأعراب إلى بلاد المغرب قليلا ، فإنّ الأزمة الإقتصادية الـــتي تمـــرّ بهـــا مصر في هذه المرحلة و التي تفاقمت في عهد اليازوري وعرفت بالشدّة العظمى ، قد أســـهمت بشكل كبير في تفعيل قرار السماح للأعراب بالهجرة من مصر باتجاه المغرب ، و سبب هذه الأزمة ارتفاع الأسعار سنة 446 هـــ/ 1054 م و ما تبع ذلك من غلاء و وباء ، فأرسل المستنصر

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص 355 .

(2) ابن ميسّر، أخبار مصر، ص 1 .

(3) نفسه، ص 2 .

(4) المقريزي، الخطط، ج1، ص 355 . ابن ميسّر، المصدر السابق، ص 2 .

(5) ابن ميسّر، المصدر السابق، ص 4 .

(6) المقريزي، الخطط، ج1، ص 335 .

(7) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 216 .

(8) د/ محمد حمدي المناوي، الوزارة و الوزراء في العصر الفاطمي، ص 255 .

إلى ملك الروم أن يحمل الغلال إلى مصر ، فأطلق أربعمائة ألف إردب [1] و عزم على حملها إلى مصر ، فأدركه أجله ، فقام بالملك بعده امرأة و كتبت إلى المستنصر تسأله أن يكون عونا لها ، فأبى أن يسعفها في طلبها فعاقت الغلال عن المسير إلى مصر ، فنودي بالغزو في بـــلاد الشـــام [2] ، و في السنة الموالية 447 هـــ / 1055 م اشتدّ الغلاء و الوباء و كثر الموت في مصر[3] .

و قـــد بدأ التحضير للزحف الأعـــرابي بإصلاح ما بين زغبة و رياح ، فقد أرسل اليازوري سنة 441 هـــ/ 1049 م أحد أمراء الدولة و هو أبا علي الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي مكين الدولـــة ، و كـــان رجـــلا عاقلا ، و سيّره إليهما بخلع سنيّة و أنعـــام كثيرة ، و أمره أن يصلح ذات بيـــنهما و يـــتحمّل ما بينهما من ديات و الزيـــادة في إقطاعاتهما [4] ، و لّما تمّ ذلك بدأت جموعهم في الزحف نحو بـــلاد المغرب ، و زاد من رغبتهم في ذلك أن أعطوا مـــالا ، فكان نصيب كل جائز دينار و بعير ، وأبيح لهم إجازة النيل [5] ، فجاز منهم خلق عظيم من غير أن يؤمروا بشيء فهم لا يحتاجون إلى وصية ، فجازوا أفواجا [6] ، فتسامع بنو عمّهم بذلك فطلبوا من الخليفة العبيدي اللحاق بهم ، فمنعهم من ذلك إلا أن يعطوه شيئا من أموالهـــم ، فأخـــذ منهم أضعاف ما أعطاه لبني عمّهم و سرّحهم [7] ، و أمرهم بقصد القيروان و تمليكهم كلّ ما يفتحونه ، و عقد لرجالاتهم على أمصارها ، فعقد لمؤنس بن يحـــي علـــى القيروان و باجة ، و عقد لزغبة على طرابلس و قابس ، و عقـــد لحسن بن برجان على قـــسنطينة [8] ، و كتب اليازوري إلى المعز : " أمّا بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا ، و حملنا عليها رجـــالا كهولا ، ليقضي الله أمرا كان مفعولا " ، فلمّا دخلوا أرض برقة و ما والاها سنة 442 هـــ/ 1050 م ، وجدوا بلادا كثيرة المرعى خالية من الأهل لأنّ زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز ، فأقامت بها العرب و استوطنتها و عاثوا في أطراف البلاد [9] .

---

(1) إردب : وحدة كيل يتعاملون بها في مصر، و إردب واحد يعادل تقريبا 32,3 كغ (محمد فاخوري، موسوعة وحدات القياس العربية و الإسلامية، ص 231) .

(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص 335 . ابن ميسّر، أخبار مصر، ص 6 .

(3) ابن ميسّر، المصدر السابق، ص 7 .

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 215 .

(5) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 31 .

(6) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 288 .

(7) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 106 .

(8) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 41 .

(9) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 295 . ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31 . المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 215 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 117 .

ثمّ تصارعوا على البلاد ، فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب ، و خرّبوا المدينة الحمراء و أجدابية و سرت ، و أقامت بطون من سليم و أحلافها ببرقة ، و سارت قبائل دياب و عوف و زغب و جميع بطـــون هـــلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر ، لا يمرّون بشيء إلا أتوا عليه ، حتى وصلوا إلى إفريقية سنة 443 هـــ/ 1051 م [1] ، و نادوا بشعار المستنصر [2] ، و برز من زعمائهم في هذه المرحلة الأولى من الغـــزو مـــؤنس بن يحي الرياحي و كان سيدّا في قومه شجاعا عاقلا [3] ، لذلك لم يجد المعز حرجا في التقرّب منه ، فاستدعاه و استخلصه لنفسه و أصهر إليه ، و طلب منه أن يكون عونا له في حربه ضد أبناء عمومته الكاره لهم ، و شاوره في اتخاذ بني عمّه رياح جندا ، فأشار عليه مؤنس بأن لا يفعل ذلك و عـــرّفه بقلّة اجتماع القوم على الكلمة و عدم انقيادهم إلى الطاعة ، فألّح عليه في ذلك إلى أن قال له المعـــز : " إنّما تريد انفرادك حسدا منك لقومك " [4] ، و لعلّ هذا التصرف هو الذي جعل ابن عذارى يـــصف مؤنس بن يحي بالشجاعة و العقل ، و يؤيّد هذا رواية النويري التي تبيّن نصح مؤنس حيث نهى المعـــز أن يجعل للعرب سبيلا إلى دخول إفريقية قائلا : " إنّهم قوم لا طاقة لك بهم " ، فقال له المعز بن باديس : " هم دون ذلك " [5] .

عندئذ عزم مؤنس على الخروج إلى قومه بعدما قدّم العذر و أشهد بعض رجال السلطان ، ثمّ رحل فـــنادى في القـــوم و حشدهم و وعدهم ، و وصف لهم كرامة السلطان و الإحسان لهم ، ثمّ قـــدم في ركب منهم لم يعهدوا نعمة و لا طالعوا حاضرة ، فلمّا انتهوا إلى قرية تنـــادوا هذه القيروان ، و نهبوها من حينها [6] ، و لمّا وصلت هذه الأنبـــاء الخطيرة إلى القيروان أدرك المعز حقيقة الأمـــر و عظم عليه ، و اتهم مؤنس بن يحي بأنّه وراء ما يجري و قال : " إنّما فعل مؤنس هذا ليصحّح قوله و يظهر نصحه" ، و أمـــر المعز بأولاد مؤنس و ختم على داره حتى يعلم ما يكون من أمره ، فلمّا بلغ مؤنس ما فعل بأهله و ولده اشتدت نكايته و عظم بلاؤه و قال : " قدمت النصيحة فحاق الأمر بي و نسبت الخطيئة إليّ" ، فكان أشدّ إضرارا من القوم و كان قد علم عورات القـــيروان ، ثمّ أخرج إليهم السلطان بعض الفقهاء و معهم مكاتبات و شروط و وصايا ، و أعلموهم أنّ السلطان قد دفع إليهم عيالهم ، و أخـــذوا عليهم

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 31 .
(2) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 215 .
(3) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 288 .
(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 31 .
(5) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 118 .
(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 289 .

العهـــود و المواثـــيق بالرجوع إلى الطاعة ، و أرسلوا شيوخـــا منهم بذلك ، ثمّ بعد ذلك نكثوا على السلطان ، و استولوا على الفساد بكل جهة و مكان [1] .

و مـــن الواضح أنّ المعز قد أخطأ في تقديره لخطر الأعراب ، و لم يكن يظنّ أنّهم يشكلون خطرا كـــبيرا على دولته ، و ربّما يكون قد رجّح ظنّه هذا اطمئنانه من جهة برقة ، ذلك أنّ أميرها جبارة بن مختار العربي أرسل إليه بالسمع و الطاعة و نبذ العبيديين و الدعوة للعباسيين ، و أغلب أهل برقة من بني قـــرة العـــرب ، لكنّ الأمور سارت في الإتجاه المعاكس تماما ، فقد رام الأعراب الوصول إلى القيروان ، فقـــال لهم مؤنس بن يحي : " ليس المبادرة عندي برأي " ، فقالوا : " كيف تحب أن نصنع " ؟ ، فأخذ بساطا فبسطه ، ثمّ قال لهم : " من يدخل إلى وسط هذا البساط من غير أن يمشي عليه " ، فقالوا :" لا نقدر على ذلك " ، قال : " هكذا القيروان ، خذوا شيئا فشيئا ، حتى لا يبقى إلا القيروان فخذوها" ، حينئذ قالوا : " إنّك لشيخ العرب و أميرها ، و أنت المقدّم علينا ، و لسنا نقطع أمرا دونك " [2] .

ثمّ قدم أمـــراء العـــرب ، و هم مطرّف بن كسلان و فـــرح بن أبي حسّان و زيـــاد بن الدونية و فـــارس بن كثير و فارس بن معروف ، و هم أمراء رياح و ساداتهم ، فأنزلهم المعز و أحسن إليهم ، فخرجوا من عنده و لم يجـــاوز بمـــا فعل معهم ، بل شنّوا الغـــارات على البلاد و قطعوا على الرفاق ، و أفســـدوا الـــزرع و حاصروا المدن ، فضاق الناس و ســـاءت أحوالهم و انقطعت أسفارهم ، و حلّ بإفريقية من البلاء ما لم يتزل بها مثله قط [3] .

و أمـــام خطـــورة الأوضاع لم يكن من المعز إلا اتخاذ قرار مواجهة الأعراب عسكريا ، فأخذ في حـــشد جـــنوده فجمع ثـــلاثين ألف رجل [4] ، و بعث بالصريخ إلى ابن عمّه صاحب القلعة القائد بن حمّـــاد ، فأرســـل إلـــيه كتيبة من ألف فارس سرّحهم إليه ، و استنفروا زناتة فوصل إليه المستنصر بن خـــزرون المغراوي في ألف فارس ، إضافة إلى بقية من عرب الفتح [5] ، و في المقابل كان عدد الأعراب ثلاثـــة آلاف فـــارس ، فلمّا رأت العـــرب عساكر صنهاجة و العبيد مع المعـــز هالهم ذلك و عظم عليهم ، فقال لهم مؤنس : " ما هذا يوم فرار" ، فقالوا : " أين نطعن هؤلاء ، و قد لبسوا الكازغندات

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 289 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 295 .

(3) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 119 .

(4) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 295 . ابن خلدون، العبر، ج6، ص 32 . النويري، المصدر السابق، ج24، ص 119 .

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 32 .

و المغافـــر " ؟ ،قـــال : " في أعينهم " ، فسمّي ذلك اليوم يوم العين ، و التحم القتال [1] ، فانخذل بقية عـــرب الفتح إلى الهلاليين للعصبية القديمة [2] ، و اتفقت صنهاجة على الهزيمة و ترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم و يقتل أكثرهم ، فعند ذلك يرجعون على العرب ، فانهزمت صنهاجة و ثبت المعز مع العبيد فكثـــر القتل فيهم ، و أرادت صنهاجة الرجوع على العرب فلم يمكنهم ذلك ، و قتل من صنهاجة أمة عظيمة و دخل المعز القيروان مهزوما ، وفي هذه الوقعة قال الشاعر :

و إنّ ابن باديس أفضل مالك *** لكن لعمري ما لديه رجال

ثلاثون ألفا منهم غلبتهـــم *** ثلاثـــــة آلاف إنّ ذا لمحال [3]

إنّ معركة يوم العين حسب ابن الأثير و النويري قد شهدت أولى الهزائم الكبرى التي مُني بها المعز في هذه الحرب ضد الأعراب ، أمّا ابن عذارى فإنّه يبدأ الحديث عن المعارك بين المعز و الأعراب بمعركة عيد الأضحى و يصفهـــا بالداهية العظمى و المصيبة الكـــبرى ، و هي معركة جبل حيدران بين قابس و القيروان ، و يذكر أنّ جيش المعز قد بلغ ثمانين ألف رجل [4] ، بينما قال ابن الأثير و النويري أنّ العدد بلـــغ ســـبعا و عـــشرين ألف رجل [5] ، و بدأ الهجوم على العـــرب و هم في صـــلاة العيد ، فقطعوا صلاتهم و ركبوا خيولهم ، فانهزمت صنهاجة و قتل منهم خلق كثير ، ثمّ جمع المعز و خرج في صنهاجة و زناتـــة في جمـــع عظيم ، فلمّا أشرف على بيوت العرب ركبت خيولها وهم زغبة و عدي ، و كانوا سبعة آلاف ، و التقوا و اقتتلوا فانهزمت صنهاجة ، و ولّى كل رجـــل منهم إلى منزله ، ثمّ انهزمت زناتة و كان أميرها المنصور بن خزرون ، و ثبت المعز فيمن كان حوله من العبيد ثباتا لم يسمع بمثله ، ثمّ رجع إلى المنصورية و أحصى من قتل من صنهاجة فكانوا ثلاثة آلاف و ثلاثمائة [6] .

و دخل العرب عسكر السلطان فحازوه ، و فيه من الذهب و الفضة و الأمتعة ما لا يعلم عدده إلا الله ، و كان فيه من الأخبية و غيرها ما يتجـــاوز عشرة آلاف ، و من الجمـــال نحو خمسة عشر ألفا ، و مـــن الـــبغال ما لا يحصيه قول ، و سلك أكثر الناس الجبل المعروف بحيدران فافترقوا فيه ، ثمّ رجع بعضهم على بعض ، و ليس لأهل القيروان خبر بذلك ، إلا أنّهم كانوا تحت توقّع و تشوّف ، فلمّا كان

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 296 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 119 .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 32 .

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 296 . النويري، المصدر السابق، ج24، ص 119 .

(4) ابـــن عـــذارى، البيان، ج1، ص 290 . و يذكر ابن عذارى في موضع آخـــر أنّ قـــادة الجيش هم ابن سبلون و زكنون بن واعلان و زيري الصنهاجي (ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 292) .

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 296 . النويري، المصدر السابق، ج24، ص 119 .

(6) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 297 . النويري، المصدر السابق، ج24، ص 120 .

ثالـــث عـــيد قدم فارسان ، و كثر سؤال الناس عن السلطان فذكروا أنّه في حيّز السلامة ، فلم تك إلا ساعة حتى دخل قصره هو و ولده ، و وصل العرب إلى نواحي القيروان ، و جعل كل من سبق إلى قرية يسمّي نفسه لهم و يؤمّنهم و يعطيهم قلنسوته أو رقعة يكتبها لهم علامة ليعلم غيره أنّه قد سبقه [1] ، الأمر الذي أحدث اضطرابا كبيرا في القيروان ، و بات الناس يترقبون ما هو نازل بهم ، و أقام الناس لا يدخل إليهم داخل و لا يخرج منهم خارج ، و خيل العـــرب تسرح حول المـــدينة من كل جهة و مكـــان ، و الـــناس يرونهم عيانا ، و خرج السلطان سابع عيد الأضحى بجنوده و خرج عامة القيروان معه ، فلم يـــتعد بهـــم المصلّى ، و رجع العرب في أمانهم الذي أعطوا إلى أهل البوادي و انتهبوا جميعها ، و انتقل أهلـــها إلى القـــيروان ، و أمر المعز الناس بانتهاب الزروعات المحيطة بصبرة و القيروان ، فسرّ المسلمون بذلك و حسبوها من أرزاقهم و كان مصيرها إلى ما قدّر الله من فسادها و أكل البهائم لها [2].

و ما كان هذا الإجراء ليوقف تهديد الأعراب ، ففي 17 ذي الحجة سنة 443 هـــ/ 19 أفريل 1052 م ظهرت خيلهم على ثلاثة أميال من القيروان ، فنزل السلطان يمشي فيها و يوصي بالإحتفاظ و البناء ، و بات الناس على خوف عظيم ، ثمّ أصبحوا فعاينوا خيل العرب ، فأمر السلطان أن لا يخرج العسكر على سور صبرة ، قال ابن شرف : " أخبرني من أثق به قال : خرجت من القيروان و سرت لـــيـــلا فكنت أكمن بالنهار ، فلم أمر بقرية إلا و قد سحقت و أكلت ، و أهلها عـــراة أمام حيطانها مـــن رجـــل و امـــرأة و طفـــل ، يبكي جميعهم بردا و جوعا ، و انقطع المير عن القيروان و تعطلت الأســـواق ، و أمسك العـــرب جميع من أسروه ، فلم يطلقوا أحـــدا إلا بالفداء مثل أسرى الـــروم ، و أمّا الضعفاء و المساكين فأمسكوهم لخدمتهم " [3] .

ثمّ كانـــت وقعة المصلّى حسب ابن الأثير و النويري و ابن خلدون [4] ، و هي على ما يبدو نفسها وقعة باب تونس أحد أبواب القيروان [5] عند ابن عذارى ، حيث ذكروها جميعهم بعد معركة حيدران ، و روايـــة ابن عذارى أوفى من روايات غيره و جاءت كما يلي : " و ذلك أنّ العـــرب دفعت إلى هذا الباب ، فخرج إليهم العامة ، منهم بسلاح و منهم من بيده عصا لا يدفع بها أضعف الكلاب ، فحملت عليهم فرسان العرب و تمكنت منهم سيوفهم و رماحهم ، فتساقطوا على وجوههم و جنوبهم ، و لم يبق

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 290 .

(2) نفسه، ج1، ص 291 .

(3) نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 297 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 120 .ابن خلدون، العبر، ج4، ص 132 .

(5) روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج1، ص 261، هامش 56 .

إلا من حصنّه أجله ، و لم يتركوا على حيّ و لا ميت خرقة تواريه ، و خرج أهل القتلى عند انصراف العـــرب فـــرفعوا قـــتـــلاهم ، فقامت النوائح و النوادب بكل جهة و مكان من أزقة القيروان تتصدّع لمنظـــرها و سماعهـــا الجبال ، و بقي خلق من الغرباء في المقتلة ، و جرح من الناس خلق كثير ، و رأى الناس ما أذهلهم من قبيح تلك الجراحات ، فتفتّت الأكباد و ذابت القلوب و الأجساد لبنيّات قد سودنّ وجوههنّ و حلقن رؤوسهنّ على أبنائهنّ و إخوانهنّ ، فكان هذا يوم مصائب و أنكاد و نوائب " [1] .

و مع توالي هذه الإنتكاسات العسكرية الكبيرة ، لم يكن أمام المعز بن باديس إلا خيـــار واحد ، و هو رفع الحرب و إقرار السلم ، و حصل ذلك في مطلع سنة 444 هـــ/ 1052 م ، فأباح للعرب دخول القيروان لما يحتاجون إليه من بيـــع و شـــراء ، فلمّا دخلوا استطـــال عليهم العامة ، و أوسعتهم إهانـــة و شتما ، فقتل العرب منهم خلقا كثيرا [2] .

و في هـــذه الـــسنة أمـــر المعـــز ببناء ســـور القيروان [3] ، لعلّه قد يكون ناجعا في صد هجمات الأعـــــراب بعـــد أن فـــشلت جيوش صنهاجة و زناتة في صدّها ، و هكذا تمكن العرب من الإحاطة بالقـــيروان و أحكمـــوا حصارهم عليها سنة 446 هـــ/ 1054 م ، و ضيقوا عليها تضييقا شديدا ، و ملك مؤنس بن يحي مدينة باجة و أطاعه أهلها ، و أشار المعز على الرعية بالإنتقال إلى المهدية لعجزه عـــن حمايتهم ، و شرعت العرب في هدم الحصون و القصور ، و قطعوا الثمار و خرّبوا الأنهار ، و أقام المعـــز و الـــناس ينتقلون إلى المهدية إلى سنة 449 هـــ / 1057 م ، فعندها انتقل إليها في شعبان من السنة نفسها / أكتوبر 1057 م [4] في خفارة رجلين من العرب قد كان صاهرهما بنتيه ، يعرف أحدهما بالفضل بن أبي علي و هو مرداسي ، و يعرف الآخر بفارس بن أبي الغيث ، فتوجها إليه فاستخرجاه من صـــبرة سرّا ، و أحسّ باقي الأعراب بخروجه فلحقوه في أثناء الطريق ، فوافقهم فارس بن أبي الغيث في جماعة من قومه و جعل يؤنبهم على الإستخفاف بخفارته ، فقالوا له : " إنّك قد أعظمت التحامل علينا في خفـــارة مـــثل المعز ، و الفائدة في أخذه كبيرة فلا تمنعنا منه " ، فلم يزل يوافقهم و يراجعهم إلى أن خلّص المعز و صاحبه الفضل بن أبي علي و دخل المهدية ، و يقال إنّه قد كان أخرج بعض قطعه البحرية و سيّرها في البحر محاذية له خوفا ممّا عساه أن يعرض له في الطريق ، فلحقه الأعراب كم قدّمنا ، و ناداه

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 292 .

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 297 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 120 .

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 293 . ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 297 .

(4) ذكر المقريزي أنّ المعز خـــرج من القيروان متخفيا في زي امـــرأة حتى انتهى إلى المهدية ، فاستولت العربان على حرمه و داره و غلمانه ، و قتلوا الرجال و سبوا النساء (المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 215) .

أرباب القطع بالبدار إليهم ليعتصم بالبحر من أولئك الأعـــراب ، فلّج في السير و أبى من الدخول إليهم أنفة منه و جلدا إلى أن خلص و حصل بالمهدية ، و دخلهـــا و هو خائف من ابنه تميم أن يقبض عليه ، فخرج تميم للقائـــه و قبّل الأرض بين يديه و مشى في أمامه و لم يزل في خدمته إلى أن تـــوفي [1] .

و في 01 رمضان سنة 449 هـــ/ 31 أكتوبر 1057 م انتهبت العرب القيروان ، و خربتهـــا و كانت من أعظم مدن الدنيا [2] ، و عاثوا في محاسنها ، و طمسوا من الحسن و الرونق معالمها ، و شملوا بالعـــيث و النهب ســـائر من فيها ، و تفرّق أهلها في الأقطار ، فعظمت الرّزية و انتشر الداء و أعضل الخطب [3] ، و انتهبوا ما كان في دور المعز و قصوره ، و وصل كثير ممّا نهب من قصور بني باديس من العدد و الآلات و الخيام و غيرها إلى القاهرة ، فكان ليوم دخولها أمر عظيم من اجتماع النـــاس [4] .

و روى الدباغ في معالمه أنّ سبب خراب القيروان إجابة دعاء الشيخ الواعظ عبد الصمّد ، و ذلك أنّه كان له ولد اسمه محمد و يكنى بأبي الحسن ، ورد على القيروان و كان واعظا زاهدا صوفيا له مجلس بالجامع الأعظم ، فمالت إليه القلوب و كثرت له الأتباع ، حتى حـــذره السلطان و خاف على نفسه مـــنه ، فاستعار منه السلطان بعض كتبه ، فأقامت عنده أياما ثمّ أمر بردّها ، فتصفّح الواعظ أوراقا منها فوجد بطاقة بخطّ السلطان كأنّه نسيها بين أوراق كتابه ، فإذا فيها : " زعمت ملوك الفرس و حكماء السير و السياسة أنّ أهل التنمس و الوعظ و تأليف العامة ، أضرّ الأصناف على الملوك ، فيجب تدارك أمـــرهم و يبادر إلى حسم الأذى منهم " ، فلمّا قرأ الواعظ أبو الحسن محمد بن عبد الصمّد البطاقة علم أنّه أمر استعمل له و قصد به و نُبّه على الرأي فيه ، فاستعمل الحج ، فخرج و خرج معه عامة و خاصة من أهل القيروان ، و أمر له السلطان بزاد ، فخرج متوجها إلى الحج يوم 22 رجب 441 هـــ / 19 ديسمبر 1049 م ، ومعه رجال وُكلوا أن يصلوا معه إلى مدينة قابس ، و نهى أن يشيّعه أحد أو يخاطبه الخطـــاب، و كوتب عامل قابس أن لا يدخل عليه أحد و لا يجتمع عنده اثنان ، و لا يخرج من المكان الـــذي ينزل فيه إلا يوم سفره ، فخرج و هو غير آمن على نفسه ، و أظهر السلطان ما كان يخفيه من أمره ، و صار من ذكره بخير مشخوصا مذموما ، و لّما انفصل الواعظ عن قابس قتله رجل من الأعراب في طريقه ذلك ، و اختلف الناس فيمن قتله ، فمنهم من نسب الدّس عليه من السلطـــان ، و منهم من نفى عنه ذلك ، فلمّا بلغ الخبر والده أبا الفضل عبد الصمّد و كان بجامع ابن العاص بمصر ، فنعّل قدميه

---

(1) التجاني، رحلة التجاني، ص 329 .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 294 . ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 297 .

(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 34 .

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 215 .

في الحـــين و هو يلّبي بالحج من مكانه ذلك و لم ينصرف إلى مترله ، فحجّ ذلك العام ، و كان يطوف بالبيت و يتعلّق بأستار الكعبة و يصيح و يقول :" يا رب ، المعز عليك به ، يا رب عليك بابن باديس" ، فكانت الهزيمة الواقعة بالقيروان في اليوم الثاني من حجّه و دعائه ، و كان ذلك أصل خراب القيروان [1] .

ثمّ ارتحل الأعراب إلى المهدية و ضيّقوا عليها بمنع المرافق و إفساد السابلة ، ثمّ هجموا على زناتة سنة 450 هـــ / 1058 م و ذلك في إطار حلف مع بلكين بن محمد [2] صاحب القلعة ، فخرج و معه الأثـــبج و عدي لحرب زناتة ، فكسرهم و قتل منهم عددا كبيرا [3] ، و في سنة 452 هـ / 1060 م وقعـــت بـــين العـــرب بالقيروان و هوارة حرب كان الغلب فيها للعرب [4] ، و في سنة 453 هـ / 1061 م قـــتل أهل تقيوس [5] مائتين و خمسين من العرب ، و كان سبب ذلك أنّ العرب دخلت هذه المديـــنة متشوفة ، فسمع رجـــل منهم رجـــلا من أهل المدينة يذكر المعز بخـــير و يثني عليه ، فقتله العربي و كان مقدّما في المدينة ، فقام عليه أهل البلد فغزوهم و قتلوا منهم العدد المذكور[6] .

و أمـــام هـــذه الأوضاع الحرجة التي تمرّ بها إفريقية ، نجد أنّ الخليفة المستنصر العبيدي يتلقّى هذه الأنـــبـــاء بفرح و سرور كبيرين ، فقد أرسل رسالـــة إلى علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن جاء فـــيها : " و إنّـــه خلّـــف ابن باديس اللعين محصورا في منفاه من الأرض ، محمولا على شفا جرف من الأخـــذ و القبض ، فقد فغر الرّدى له فمه ، و لن يبعد بعون الله أن يلتقمه ، و أمير المؤمنين يسأل الله جلّـــت عظمـــته معونته على شكر نعمه التي هو عن القيام بواجب أقلها محصور ، و لسانه عن الوفاء بأيـــسره مقـــصور ، و يقـــول الحمد لله الذي أذهب عنّا الحـــزن إنّ ربنا لغفور شكور ، أعلمك أمير المؤمـــنين نبـــأ هـــذه العارفة الطارئة أن تنشره على المنـــابر ، و تذيعه في البـــوادي و الحـــواضر إن شاء الله تعالى ، و السلام عليكم " [7] .

---

(1) الدباغ، معالم الإيمان، ج3، ص 193 .

(2) بلكين بن محمد بن حمّاد بن بلكين : من أمراء قلعة بني حماد في المغرب الأوسط ، شجاع سفّاك للدماء ، بلغه ظهور يوسف بن تاشـــفين ســـنة 454هـــ/ 1061 م ببلاد المصامدة فتحرك إليـــه ، وفتح بلدة فـــاس و عاث في المغـــرب ، قتلـــه ابن عم لـــه يدعى الناصر بن علناس بن حمّـــاد غيلـــة (ابن الخطيب، أعمال الأعـــلام، ص87) .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 297 . ابن عذارى، البيان، ج1، ص 294 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 120 .

(4) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 294 .

(5) تقيوس : مدينة بإفريقية بالجريد قريبة من توزر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 37) .

(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 295 .

(7) د/حسن إبراهيم حسن، الدولـــة الفاطمية في المغـــرب و مصر و سورية و بـــلاد العـــرب، ص 254 .

3 – نتـــائج الزحف الهـــلالي :

لقـــد ارتبط زحف بني هلال نحو إفريقية و بلاد المغرب بالتخريب و القتل و النهب ، و ذلك من خلال تلك الصورة القاتمـــة التي رسمها معظم المؤرخـــين الذين تناولوا هذا الحدث خاصة القدماء منهم و على رأسهم ابن خلدون ، فلا عجب إذن أن يسلك الكثير من المؤرخين المحدثين هذا المسلك و يصفوا الأعـــــراب بأقبح الصفات و ينسبون إليهم كل شر و رذيلة و يترعون عنهم كل خير و فضيلة ، و قد وجد الكثير من المستشرقين المغرضين في هـــذا مادة غنية و طبقا دسما يغذّي آراءهم الفاسدة و أفكارهم المشبوهة ، و التي تصب في بوتقة واحدة و هي إفراغ تاريخ بلاد المغرب من بعده الحضـــاري و إبرازه علـــى أنّه تاريخ جماعات و قبائل بدوية لا تعرف للحضارة معنى ، و في المقابل حاول البعض أن يتكلّم عـــن هـــذا الزحف بإنصاف مبرزا سلبياته و ذاكرا بعض إيجابياته التي ظهرت بعد استقرار الأعراب في البلاد ، و هذا هو الحق الذي لا ينبغي أن نحيد عنه ، و سأذكر بعض نتائج الزحف السلبية و الإيجابية .

أ – تخـــريب إفريقية و بـــلاد المغـــرب :

لا يمكـــن بحال من الأحوال أن ينكر أحد أنّ الأعراب قد أحدثوا خرابا كبيرا في إفريقية و بلاد المغـــرب [1] في مـــراحل الزحف الأولى خاصة عند قـــدومهم إلى المنطقة و دخولها عبر بوابتها الشرقية برقـــة و استقـــرار بعضهم فيها ، حيث حلّـــوا بأراض خصبة مليئة بالمراعي التي تتناسب مع طبيعتهم الـــبدوية ، و وجـــدوا أنّ الخليفة المستنصر العبيدي كان صادقا عندما خاطبهم قائلا : " قد أعطيتكم المغرب و ملك المعز العبد الآبق فلا تفتقرون " [2] ، فازدادت أعـــدادهم بعد ذلك بشكل كبير ، فتوغلوا غـــربا و ملكوا أراض شاسعة و حازوا أغلب ملك صنهاجة في إفريقية و المغرب الأوسط ، و قد حمل علـــيهم الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب حملة شديدة ، فقد وصف حـــال إفريقية بعد الغزوة الهلالية بقـــوله : " و فـــوق ذلك كلّه لا ننسى تلك الكارثة العظيمة المؤلمة زحفة الأعراب من بني هلال و بني سليم في آخر عهد المعز بن باديس سنة 449 هـــ/ 1057 م ، فإنّها كانت القاضية على تمدّن البلاد ، إذ زعـــزعت أركـــان الحـــضارة العربية بإفريقية و ذهبت برونقها اللامع كأمس الدابر و حتّمت على السكان الجلاء إلى الأصقاع ما بين المشرق و المغرب ، فأصبح القطر بعد انتقالهم أثرا بعد عين " [3] .

---

(1) و أول خراب عرفته المنطقة كان في القرن الأول الهجري ، و الذي يعرف بخراب إفريقية الأول ، و تشير المصادر إلى أنّ المنطقة كانت ظلا واحدا من طرابلس إلى طنجة و قرى متصلة و مدائن منتظمة ، حتى لم يكن في الدنيا أقاليم أكثر خيرا و لا أوصل بركات منها ، فخرّبت الكاهنة كلّ ذلك (موسى لقبال، **تـــاريخ المغـــرب الإســـلامي**، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 76) .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 31 .

(3) حسن حسني عبد الوهاب، ورقـــات، ج1، ص 349 .

و لكن هناك حوادث مهمة تدل على أنّ المعز هو الآخر كان له نصيب في عمليات التخريب التي مست المنطقة ، فابن عذارى روى أنّ المعز أمر كافة الناس بنهب المزروعات المحيطة بالقيروان و صبرة فكان مصيرها الفساد و التلف [1] ، و دوافع السلطان للقيام بهذا العمل هي إبعاد القبائل الأعرابية عن القيروان بإفساد ما يسعون إلى نهبه و سلبه من مزروعات متوفرة في المدينة و ضواحيها ، فعندئذ قد يرجعون من حيث أتوا و يكفّون الناس شرّهم ، و هي دوافع تبدو منطقية لكن لا يمكن أن نصف ما قام به إلا بالعمل التخريبي الذي في نهاية المطاف لم يحقق أي فوائد تذكر .

و الأمر الآخر هو ما صدر عن المعز من أوامر تخص المقيمين في صبرة و القيروان ، فقد أمر بأن ينتقل عامة أهل صبرة إلى القيروان و يخلوا الحوانيت كلّها بصبرة ، و أمر جميع من بالقيروان من الصنهاجيين و غيرهم من العسكر أن ينتقلوا إلى صبرة و ينزلوا في حوانيتها و أسواقها ، فارتجّ البلد لذلك و عظم الخطب و اشتدّ الكرب ، و مدّ العبيد و رجال صنهاجة أيديهم إلى خشب الحوانيت و سقائفها و اقتلعوها فخربت العمارة في ساعة واحدة [2] ، و هذا حدث في أواخر سنة 443 هـ / 1051 م قبل تخريب القيروان من قبل الأعراب سنة 449 هـ/ 1057 م بعد خروج المعز منها نهائيا.

و هناك أمر مهم آخر ، فإذا كانت القيروان قد خرّبت بتلك الصورة التي وصفها ابن خلدون و غيره لآل حالها إلى الدمار و الهجران على الأقل في الأشهر الأولى التي تلت عمليات التخريب و لما بقي فيها ساكن واحد و هذا ما لم يحدث ، فلقد استمر الناس يقيمون فيها قبل الزحف و أثناءه و بعده .

ب – إنحسار الدولة الزيرية و قيام ملوك الطوائف :

لقد عرفت إفريقية خاصة بعد غزو بني هلال إنحلالا سياسيا كبيرا لم تعرفه من قبل ، فالأعراب همّهم الوحيد الإستيلاء على الأراضي التي توفر لهم سبل العيش ، فاستولوا على المناطق الممتدة في الداخل من قابس إلى الغرب ، و ظلّ بنو زيري يحتفظون بالمهدية و ما يليها و استقر بنو حمّاد في بجاية [3] و استقل الولاة الصنهاجيون بنواحيهم [4] و انتزى الثوار بالبلاد ، فغلب حمو بن مليل البرغواطي

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 291 .

(2) نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

(3) السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامي، ص 587 .

(4) انظر فيما سبق علاقة المعز بعماله ، ص 92 .

على صفاقص [1] و صارت تونس آخرا إلى ولاية الناصر بن علناس[2] صاحب القلعة ، و ولي عليهم عبد الحق بن خراسان فاستبدّ بها و استقرّت في ملكه و ملك بنيه ، و تغلّب مؤنس بن يحي على قابس و صار عاملها المعز بن محمد الصنهاجي إلى ولايته [3] .

هذا ما آلت إليه المنطقة سياسيا ، فهل يتحمل الأعراب المسؤولية عن هذا الحال وحدهم ؟ ، الأكيد أنّ لهم نصيب كبير فيما حدث من فوضى و اضطراب و انحلال سياسي ، لكن هناك عوامل أخرى أسهمت بشكل أو بآخر في وصول الأمر إلى هذا الشكل المأساوي ، ذلك أنّ الزحف الهلالي الأعرابي قد تمّ في وقت كانت إفريقية و بلاد المغرب تعاني أزمة سياسية و إقتصادية و إجتماعية تمثلت فيما يلي :

- انقسام الصنهاجيين إلى دولتين دولة زيرية في تونس و دولة حمّادية في الجزائر .
- إنخرام الأمن في الأرياف في ظلّ الإضطرابات التي كانت تثيرها زناتة باستمرار .
- تدهور التجارة خلال القرن الخامس الهجري لا بإفريقية فحسب و لكن في كافة أنحاء العالم العربي ، و ممّا زاد في تفاقم الحال بإفريقية أنّ المواصلات عبر الصحراء قد تعطلت ، فكسدت التجارة و مال التجار إلى اكتساب الأراضي الزراعية الشاسعة .
- قيام نظام إقطاعي بإفريقية نتيجة للأزمة الإقتصادية الخانقة ، و قد استنجد الإقطاعيون بالأعراب لحماية مناطق نفوذهم و وهبوا رؤساء القبائل أراض زراعية فأصبحوا أنفسهم إقطاعيين ، و سيزداد هذا النظام الإقطاعي بازدياد عدد القبائل الواردة على إفريقية ، و ستتكوّن على إثر ذلك إقطاعات وراثية كبرى [4] .

ج – عناية الزيريين بشؤون البحر :

نتج عن انحسار ملك الدولة الزيرية في إفريقية إلى الساحل بسبب الضغط الذي كانت تمارسه قبائل الأعراب على المدن الداخلية عناية الصنهاجيين الزيريين بشؤون البحر ، فأسّس

---

(1) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 294 . النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 120 .

(2) الناصر بن علناس : أمير شجاع يهتم بالعمران ، استنكر عتوّ قريبه بلكين بن محمد فتصدى له و قتله و تولى بعده القلعة ، و لكنّه كره الإقامة فيها ، و اتسعت مملكته و بايعه أهل القيروان ، و بنى مدينة بجاية و سمّاها الناصرية نسبة إليه و توفي بها سنة 481 هـ/ 1088 م (ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص94) .

(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 326 .

(4) حمّادي الساحلي، **فصول في التاريخ و الحضارة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1992، ص 34 .

تميم بن المعز [1] أسطولا كبيرا بدار الصناعة بالمهدية ، و قام هو وابنه يحي [2] من بعده بالغارات البحرية المتواصلة على جزيرة صقلية و على السواحل الإيطالية ، و كان دخول صقلية في فلك النورمان [3] قد دفع كثيرا من رجال البحر المسلمين إلى الهجرة منها إلى المهدية و انشغالهم بأعمال الغزو البحرية ، و قد قام يحي بن تميم بدور كبير في هذه الغزوات ، ففي سنة 503 هـ / 1109 م جرّد من أسطوله سبعة عشر غرابا لغزو بلاد الروم فأصيبت منها ستة و عادت السفن الباقية إلى المهدية .

و في ربيع الآخر سنة 507 هـ/ سبتمبر 1113 م و صل أسطول المهدية بسبي كثير من بلاد الروم فسرّ بذلك يحي بن تميم و المسلمون [4] ، غير أنّ غارات النورمان لم تتوقف و انتهت باستيلائهم على أغلب سواحل إفريقية ، و سقطت المهدية في أيديهم سنة 543 هـ/ 1148 م و خرج منه صاحبها الحسن بن علي[5] و حاشيته و تبعه أهل البلد فارّين بأهلهم [6].

---

(1) تميم بن المعز : أبو يحي ملك إفريقية و ما والاها بعد أبيه المعز ، ولد بالمنصورية سنة 422 هـ / 1030 م ، و فوّض إليه أبوه ولاية المهدية سنة 445 هـ / 1053 م ، و لم يزل بها إلى أن توفي والده سنة 454 هـ/ 1061 م فاستبّد بالملك إلى أن توفي سنة 501 هـ/ 1107 م بالمهدية ، ودفن في قصره ثم نقل إلى قصر السيدة في المنستير (ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 77 . ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص304) .

(2) يحي بن تميم : أبو طاهر الصنهاجي تولىّ بعد وفاة أبيه سنة 501هـ/ 1107 م ، وكان أبوه قد ولاّه المهدية سنة 497 هـ/ 1103 م ، فلمّا استقل جعل الخطبة للعبيديين و كانت للعباسيين ، بنى أسطولا غزا به جنوة و سردينية (ابن الخطيب، المصدر السابق، ص79 . ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص211) .

(3) النورمان : مجموعة من الفايكينغ استقروا أولا بفرنسا ثمّ انتقلوا إلى إنكلترا و جنوب إيطاليا و صقلية ، و في القرن التاسع الميلادي بدأ المقاتلون النورمانديون غزواتهم بالإغارة على سواحل و أودية الأنهار الفرنسية ، و عند أوائل القرن العاشر الميلادي كانوا قد استعمروا الأراضي الفرنسية القريبة من مصب نهر السين المعروفة الآن بنورماندیا ، و في عام 911 م أصبح الزعيم النورماندي هروف أورولو(860 م – 931 م) دوقا في خدمة الملك الفرنكي تشارلز الطيب ، و أصبح النورمانديون نصارى و تبنوا العادات الفرنسية ، وفي عام 1066 م غزا المقاتلون النورمانديون بقيادة وليام دوق نورماندي إنكلترا ، و اتسع نفوذهم عبر بريطانيا كلّها ، و خلال نفس الفترة كسبت المجموعات النورماندية انتصارات كبيرة في أراضي أخرى و منها استيلاء روجار الثاني على صقلية و طرد المسلمين منها (**الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر و التوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1996، ج25، ص 473) .

(4) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 305 .

(5) الحسن بن علي : آخر ملوك الدولة الصنهاجية الزيرية ، ولد بالمهدية سنة 503 هـ/ 1109 م ، ولي بعد وفاة أبيه سنة 515هـ/ 1121 م ، فقام بأمره أعيان الدولة ، فاضطربت الأحوال و هاجمه روجار الثاني ملك صقلية و سقطت المهدية سنة 543 هـ/ 1148 م ، توفي الحسن بن علي سنة 563 هـ/ 1167 م (ابن الخطيب، المصدر السابق، ص83) .

(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 313 .

د – الإسهـــام في نشـــر اللغـــة العـــربيـــة :

لقـــــد أدخـــل العـــرب الهلاليون إلى إفريقية دمـــا جديدا في سكان البـــلاد فامتزج العـــرب بالبربـــر ، و أســـفـــر عـــن ذلك تعاون مثمر بين سكان المـــدن و الأرياف خـــلافا لما يدعيه بعض المؤرخين ، ذلك أنّ الأعراب الرّحل كانوا يسهرون بأنفسهم على أمن القوافل و كثيرا ما يتولّون تموين المدن و يتعاقدون مع الأهالي لزراعة الأراضي المحيطة بالمدن [1] .

و هـــذا الإمتزاج و التعاون أسهم إلى حد كبير في زيادة نشر اللغة العربية في منطقة شمال إفريقيا حـــيث كانـــت العربية مقتصرة في المدن و بعض الضواحي ، لكن ابتداء من القرن الخامس الهجري تعرّبت الأريـــاف بفضل نفوذ العرب مع الغزوة الهلالية ، و نحن نعلم أنّ هذا التعريب لم يستطع التغلب حـــتى الآن علـــى اللهجـــات البربرية التي ظلت مستعملة في عـــدد من الهضاب المرتفعة خصوصا في الغرب ، و مرّد ذلك إلى أنّ النفاذ العربي لم يتم أو لم يتم إلا قليلا جدّا في هذه المناطق بحيث لم يستطع أن يحلّ اللغة العربية محلّ اللغة البربرية ، و مع ذلك فإنّه إذا كان النساء في هذه المناطق البربرية لا يعرفن غـــير اللغة البربرية و في الغالب يجهلن اللغة العربية فليس الأمـــر كذلك بالنسبة للرجال ، فإنّهم بوجه عـــام يتكلّمون اللغتين يكادون جميعا يستعملون اللغة العربية عند الحاجة ، و العربية لســـان الإســـلام و الجهل بها و الصعوبة التي استشعرها الـــبربر دائما في تعلمها أدّيا إلى حدّ ما إلى جعل اعتنـــاق هؤلاء للإســـــلام أمـــــرا صـــعبا في البـــداية ، فجاء العـــرب و نشـــروا اللغة العربية فسهل بذلك نشر الإســـلام بينهم [2] .

هـــ – جهـــاد الهـــلاليين في بـــلاد المغـــرب و إفريقية :

قـــــال ألفرد بل حول غيـــاب أي دور للأعـــراب الهلالية في ميـــدان الجهاد ما يلي : " إنّ العرب الهلالية في عهد الغـــزو الهـــلالي كانوا بقوا وقتـــا طويلا رقيقي الإســـلام لم يجاهدوا في سبيل الله لإعـــــلاء شـــأن الـــدين لا في المغـــرب و لا في جزيرة العرب و لا في الشـــام ، و على خلاف أســـــلافهم العرب الفاتحين لم يـــأت الهلالية إلى المغـــرب لضمّ بلاد جديدة إلى دار الإســـلام ، و لم يكن لديهم أي ميل لنشر الدعـــوة الإسلاميـــة و لا للإستشهاد في سبيل الله مثل بعض قوّاد الفتـــوح

---

(1) حمّادي الساحلي، فصول في التاريخ و الحضارة، ص 35 .

(2) ألفرد بل، **الفـــرق الإســـلامية في الشمـــال الإفـــريقي من الفتـــح العـــربي حتى اليـــوم**، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغـــرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987، ص 215 .

الإســـلامية الأولى " [1] .

إنّ هـــذا الكلام فيه وجه من الصحة في شطره الأخير فالأعـــراب خرجوا من مصر يبحثون عن أراض تـــضمن لهم العيش ، و لكن مع مـــرور السنوات جدّت أحـــداث تنقض مزاعم هذا المستشرق و تبـــيّن كـــيف دافع هؤلاء الأعراب عن الإسلام و حاربوا الغـــزاة النورمان ، ففي سنة 480 هـــ/ 1087 م نـــزل الروم على المهدية في ثلاثمائة مركبة حربية ، و سبب ذلك غيبة عسكر السلطان عنها و مفاجأة الروم قبل استقدامه إليها و أخذ الأهبة للقائهم ، و خلوّ كافـــة الناس من الأسلحة و العـــدد و قصر الأســـوار و تهدّمها و تكذيب تميم بخبرهم ، و سوء تدبير عبد الله بن منكور متولّي أمور المدينة في قـــصده مخالفة قائد الأسطول في الخروج إليهم في الماء و منعهم من النزول في البرّ ، فكان ذلك سبب تغلّبهم على المدينتين المهدية و زويلة و نهبهم إيّاهما و قتلهم الناس فيهما و إحراقهم بالنار [2] .

لقد كانت البابوية دون شك وراء هذه الحملة التي سبقت أولى الحملات الصليبية في المشرق بعشر سنوات ، و عرّج المحاربون و معظمهم من جنوة و بيزة على روما للحج و التبرّك بزيارة كنيسة القدّيس بطـــرس ، و المصدر الرئيسي و المعاصر لأخبار حملة المهدية قصيدة باللغة اللاتينية تعرف بقصيدة نصر البيزيين نظمها صاحبها – أحد رجال الدين – في خريف سنة 480 هـــ / 1087 م أي بعيد عودة الأسطول المشارك في حملة المهدية ، و كلها تمجيـــد لما حققته من تقتيـــل للمسلمين و ما ظفرت به من أســـلاب و غـــنائم ، إلا أنّ ما يهمنا في هذا المقـــام ما تشتمل عليه القصيدة من تنويه و إشادة بالدور الذي قامت به القبائل الهلالية في التصدي للمغيريين على المدينة بالرغم من العـــداء القائم آنـــذاك بينها و بـــين صاحب المهدية تميم بن المعز ، ففي القصيدة اثنا عشر بيتا يتحدث فيه صاحبها – و هو شاهد عيـــان شارك في الحملة – عن أسلوب قتـــال العـــرب الهـــلالية و فروسيتهم و تصدّيهم للغـــزاة كرّا و فـــرّا ، و مـــن هذه الأبيات : " كانوا مهرة محنّكين في النظر إلى الوراء أثناء فرّهم ، و هم أثناء فرّهم أســـرع في قـــتل أعدائهم ، و إنّهم أسرع من كافة البشر في الإلتفاف في دوائـــر ممتطين خيولا ضامرة يوجهونهـــا بأجسامهم ... احتل مائة ألف من هـــؤلاء البواســـل مدينة زويلة التي أخـــلاها البيزيون ، و تدفـــق هـــؤلاء الأعـــراب نحـــو الساحل و مـــلأوا الشاطئ و أوقعوا هزيمـــة ببقية البيزيين الذين كانوا يحرسون المرسى " [3] .

---

(1) ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص 219 .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 301 . ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 455 .

(3) د/محمد الأمين الطيبي، **دراســـات و بحـــوث في تاريـــخ المغـــرب و الأنـــدلس**، الـــدار العربيـــة، تـــونس، 1997، ج2، ص ص 74- 75 .

و أســـهم الأعراب أيضا في هزيمة النورمان في حصن الديماس[1] سنة 517 هـــ/ 1123 م ، فقد ذكر ابن الأثير أنّ روجار النورماندي [2] جهّز أسطولا كبيرا فلمّا انقطعت الطريق عن إفريقية توقّع الأمير الحـــسن بن علي خروج العدو إلى المهدية ، فأمر باتخاذ العدد وتجديد الأسوار وجمع المقاتلة فأتاه من أهل الـــبلاد ومـــن العـــرب جمع ، فلمّا كان في جمادى الآخرة سنة 517 هـــ / جويلية 1123 م سار الأســـطول الفرنجـــي في ثلاثمائة قطعة فيها ألف فارس ، إلا أنّهم لّما ساروا من مرسى علي فرّقتهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ، ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة [3] ففتحها وقتل من بها وسبى ، وغنموا وســـاروا عنها فوصلوا إلى إفريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس أواخر جمادى الآخرة فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك ، والديماس حصن منيع في وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر .

وســـيّر الحـــسن من عنده من الجموع إلى الفرنج وأقام هو بالمهدية في جمع آخر يحفظها ، وأخذ الفرنج حصن الديماس وجنود المسلمين محيطة بهم ، فلمّا كان بعد كل ليال اشتـــد القتـــال على الحصن الـــداخل ، فلمّا كان الليل صاح المسلمون صيحة عزيمة ارتجّت لها الأرض وكبّروا فوقع الرعب في قلوب الفـــرنج فلم يشكّوا أنّ المسلمين يهجمون عليهم ، فبادروا إلى شوانيهم وقتلوا بأيديهم كثيرا من خيولهم وغنم المسلمون منها أربعمائة فرس و لم يسلم معهم غير فرس واحد ، وغنم المسلمون جميع ما تخلّف عن الفرنج وقتلـــوا كل من عجز عن الطلوع إلى المراكب ، فلما صعد الفرنج إلى مراكبهم أقاموا بها ثمانية أيـــام لا يقـــدرون علـــى النزول إلى الأرض ، فلمّا أيسوا من خلاص أصحابهم الذين في الديماس ساروا والمـــسلمون يكبّـــرون عليهم ويصيحون بهم ، وأقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس في أمم لا يحـــصون كثـــرة فحـــصروه فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوّته ، فلمّا عـــدم الماء على من به من الفرنج وضجروا من مواصلة القتـــال ليـــلاً ونهـــاراً ففتحوا باب الحصن وخرجوا فقتلوا عن آخرهم ، وذلك يـــوم الأربعاء منتصف جمـــادى الآخـــرة من السنة وكانت مدة إقامتهـــم في الحصن ستة عشر يوماً ، ولّما رجع الفرنج مقهـــورين أرســـل الأمـــير الحسن البشـــرى إلى سائر البلاد و قال الشعـــراء في هذه

---

(1) حصن الديماس : يقع بين المنستير و المهدية ، و منه إلى المهدية ثمانية أميال (الإدريسي، نزهة المشتاق، ح1، ص 303) .

(2) روجار الثاني (1095 م – 1154 م) : أحد ملوك النورمان في جنوب إيطاليا ، قـــام بفتوحات كبيرة ممّا أجبر البابا إنوسنت الـــثاني أن يقطعـــه الأراضي التي كوّنت إلى سبعة قـــرون تـــالية مملكتي نابولي و صقلية ، و احتل روجر عدة مـــدن على الساحل الإفريقي ، و شجّع إندماج الجماعات البشرية المختلفة في مملكته و أقام إدارة مركزية قوية استعادت لصقلية رخاءها ، كان بلاطـــه المـــتألق في بالرمو مركزا للفنـــون و الآداب و العلـــوم (**المـــوســـوعـــة العربيـــة الميســـرة**، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 2001، ج2، ص 1214) .

(3) جزيرة قوصرة : جزيرة تقع جنوب صقلية (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 418) .

الحادثـــة فاكثروا [1] ، و منهم الشاعر ابن حمديس الذي كان معاصرا للأحداث ، فقال مادحا الحسن بن علي الزيري :

فيا ابن علي أنت شبل حمى الهدى *** و انبت حوليه الذوابـــل غابـــا

جعلت نيوب الثغر زرق أسنّـــــة *** فلم تجن زرق الروم منه رضابا

و لو نظم الديماس منثور هامهـــم *** لقلـــّد جيد القصر منه سخابا

فللدّيـــن مـــن النبـــــع جـــربت *** بعجم فألقاها الصليب صلابـــا

طلعت لنا بـــدرا شمـــوس طلاقـــة *** تلفّ عليهـــا راحتاه سحابـــا

فحـــالفك النصـــر العزيز الذي به *** تغادر آســـاد الحروب ذبابـــا [2]

و في قـــصيدة أخـــرى طويلة يمدح فيها الحسن بن علي أيضا و يصف فيها معركة حصن الديماس وصفا شافيا و تبدأ بـــ :

أبى الله إلا أن يكون لك النصـــر *** و أن يهدم الإيمان ما شاده الكفر

و أن يرجع الأعلاج بعد علاجها *** خزايا على آثارها الذل و القهـــر

ثمّ قـــال عن قـــدوم الأساطيل النصرانية :

أتـــوا بأســـــاطيـــل تمـــرّ كأنّهـــا *** جراد مظل ضاق عن عرضه البحر

و خيل حشوا منها السفين و لم يكن *** لها في مجـــــال الحرب كرّ و لا فرّ

و قـــد ركبت فرسانهـــا صهواتهـــا *** فأرجلهـــم عنهـــا التذلل و الذعـــر

ســـلاهب أهدوهـــا إليك و لم يكن *** جـــزاء لذلك من عـــلاك و لا شكر

فسل عنهم الديمـــاس تسمع حديثهم *** فهـــم بالمواضي في جـــزيـــرته جزر

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 222 . و انظـــر حـــول هذه الواقعة ابن عذارى (ابن عذارى، البيان، ج1، ص 309) .

(2) عبد الجبـــار بن حمـــديس، **ديـــوان ابن حمـــديس**، تصحيح و تقـــديـــم د/إحســـان عبـــاس، دار صادر، بيروت، 1960، ص 57 .

و ما يهمنا أكثر ، ما قـــاله في هذه القصيدة عن مشاركة الأعـــراب في هذا النصر حيث قال :

و قد حال بين الروم و بين البحر فالتجوا *** إلى القصر حتى جاءهم بالردى القصر
أعـــارب جـــدّوا في جهـــاد أعـــاجم *** خنـــازير شبّت حـــربها أســـد هصر
إذا قيـــل يا أهـــل الحفـــائـــظ أقبـــلت *** ملبيّـــــة فيهـــــا غطـــارفـــة غـــرّ [1]

و دائما حول هذه الـــواقعة قال التيجاني : " و أحاط العرب بقصر الديماس و كان قد اعتصم به نحـــو مائـــة مـــن جند النورمان إلى أن نفذ ما في الحصن من ماء و طعام ، فخرج النورمان من الحصن فتخطّفتهم سيوف الأعراب" [2] ، و قد نوّه الأمير الزيري بدور القبائل العربية في إحراز النصر فهو يقول في أحد كتبه :" فاستظهرنا بقدوم قبائل العرب المطيفة بنا ، فأقبلوا أفواجا أفواجا و جاؤوا مجيء السيل يعتلج اعتلاجا و يتدفق أمواجا ، و كلّهم على نيّات في الجهاد خالصة و عزمات غير مترددة في مواقف المـــوت و لا ناكـــصة ، و على إثر نزول عسكر النورمان إلى البرّ في جزيرة الأحاسي تسرّع إليهم من جندنا و من انضاف إليهم من العرب المنجدة لنا طائفة أوسعت أعداء الله طعنا و ضربا و ملأت قلوبهم خوفا و رعبا ، و بعد احتلال النورمان حصن الديماس تسربت إليهم العرب من كل فج " [3] .

و هـــناك حادث آخر لا يقل أهمية عن الأحداث السابقة ففي صفر 548 هـــ/ ماي 1153 م كانـــت الحرب بين عسكر عبد المؤمن بن علي [4] و العرب عند مدينة سطيف ، وسبب ذلك أنّ العرب وهـــم بنو هلال و الأثبج وعدي ورياح وزغب وغيرهم من العرب لّما ملك عبد المؤمن بـــلاد بني حمّـــاد ، اجـــتمعوا من أرض طرابلس إلى أقصى المغرب وقـــالوا : " إن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب ، وليس الرأي إلا إلقاء الجدّ معه وإخراجه من البـــلاد قبل أن يتمكن" ، وتحالفوا على التعاون

---

(1) ابن حمديس، الديوان، ص 252 و ما بعدها .

(2) التجاني، رحلة التجاني، ص 336 .

(3) نفسه، ص 337 .

(4) عبد المؤمن بن علي : أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي ، قال المراكشي أن مولده سنة 487 هـــ / 1093 م بتاجرا من أعمال تلمسان (عبد الواحـــد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبـــار المغرب**، شرح وتعليق د/صلاح الدين هواري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2006، ص148) ، و نقل ابن خلكان في وفياته أنّ ابن تومرت قد ظفر بكتاب يقال له الجفر ، و فيه ما يكون على يـــده و قصة عبد المؤمن و حليته و اسمه ، و أنّ ابن تومرت أقام مدة يتطلّبه حتى وجده و صحبه و هو إذ ذاك غـــلام ، و كان يكرمه و يقدّمه على أصحابـــه ، استطاع أن يكمل مسيرة ابن تومرت فقضى على دولـــة المرابطين و فتح المغربين الأوســـط و الأدنى و الأنـــدلس ، و خلّص سواحل بلاد المغرب و إفريقية من الإحتلال النورماندي ، توفي عبد المؤمن بن علي سنة 558 هـــ/ 1162 م (ابن خلكـــان، وفيات الأعيان، ج3، ص237) .

والتظافـــر وأن لا يخون بعضهم بعضاً ، وعزموا على لقائه بالرجال والأهل والمال ليقاتلوه قتال الحريم ، واتصل الخبر بالملك رجار الفرنجي صاحب صقلية فأرسل إلى أمراء العرب وهم محرز بن زياد وجبارة بن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم يحثّهم على لقاء عبد المؤمن ويعرض عليهم أنْ يرسل إليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم على شرط أن يرسلوا إليه الرهائن ، فشكروه وقالوا : " مـــا بـــنا حاجة إلى نجدته ولا نستعين بغير المسلمين " [1] ، و انتهت المعركة بهزيمة العرب ، فلو كان شعورهم الديني ضعيف لما ضيّعوا هذه الفرصة التي كانت ربما ستجنّبهم الهزيمة ، و بمقارنة موقفهم الرائع هـــذا مع موقف أمراء الطوائف في الأندلس الذين لم يتردّدوا لحظة في الإستنجاد بملوك النصارى و بذل الجـــزية لهم لقتال إخوانهم ، يتضح أنّ الأعراب قد سجلّوا صفحة ناصعة أسهمت إلى حد ما في تخفيف قتامة تلك الصورة الهمجية التي التصقت بهم .

و في الجهـــة المقابلة ، فإنّ العرب كغيرهم من الأمم و الشعوب ، كما فيهم المجاهد البطل ففيهم أيـــضا الخـــائن النذل ، حيث أسهم بعضهم في سقوط مدينة بونة [2] في يـــد روجار سنة 548 هـــ/ 1153 م حسبما نقله ابن الأثير [3] .

و أخيرا لا بأس بذكر آراء بعض المستشرقين حول غزو بني هلال ، فمن الذين اعتبروا أنّ الأعراب القـــادمين من مصر هم السبب في خراب كامل الشمال الإفريقي خلال القرن 5 هـــ / 11 م المؤرخ برنشفيك الذي يقول : " إنّ ما ينبغي توضيحه هو مظهر التخريب الذي يعتبر أبرز و أصدق مظهر من مظاهـــر نشاط العرب " ، و اعتمادا على هذه الأحكام التي تبيّن لنا في السنوات الأخيرة أنّها لا تأخذ بعـــين الإعتـــبار جميع معطيات الواقع التاريخي استنبط بعض المؤرخين الفرنسيين و على رأسهم غوثي صاحب كتاب ماضي شمال إفريقية تلك النظرية الإستعمارية القائلة بأنّ تاريخ المغـــرب العربي ما هو إلا عبارة عن صراع دائم بين سكان المدن و سكان البوادي الذين لا يمكن التوفيق بينهم ، و بناء على هذا اعتبر هؤلاء المغرضون غزوة بني هلال الحدث الحاسم في تاريخ الشمال الإفريقي الذي سوف لا تقوم له قائمة بعد ذلك ، هذا و قد عمد بعضهم إلى تشويه الحقائق التاريخية لتأييد نظريته الإستعمارية القائلة بأنّه لا يمكن لشعوب الشمال الإفريقي أن يكوّنوا أمّة نظرا للتنافر الموجـــود بين العرب و البربر بصفة خاصة و بين سكـــان المدن و البوادي بصفة عامة ، و على هذا الأساس ينبغي أن يبقى شمـــال إفريقيا إلى أبد

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 390 .

(2) بـــونـــة : مدينة في إفـــريقية على البحر بين مرسى الخـــزر و جزيرة بني مزغنـــاي ، و هي حصينة مقتـــدرة كثـــيرة الرخص و الفـــواكه ، و بها معدن الحديد (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 512) .

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 391 .

الدهر في زمرة البلـــدان المولى عليها [1] ، و قال غوثي أيضا عن الهجرة البدوية الأعرابية أنّها لم تولّد إلا الموت و السمـــوم الشديدة الأذى [2] ، أمّا جورج مارسي فقد رأى أنّ العـــرب كانوا عوامـــل تخريب و فوضى و غير قادرين على إنشاء أنظمة سياسية دائمة [3] .

و لكن في المقابل فإنّ بعض المستشرقين تصدّوا إلى تفنيد جميع ما قيل حول النتائج الكارثية لغزو بني هلال ، و منهم إيف لاكوست الذي بيّن أنّ الهلاليين لم يظهروا بمظهر التخريب و الغزو إلا في المرحلة الأولى مـــن زحفهـــم على إفريقية ، كما أنّ إنتشارهم لا يمثل الحدث الأساسي في تاريخ المغرب خلال القرن 5 هـــ / 11 م ، و جاء كلامه عن هذا الموضوع تحت عنوان " أسطورة الغزو العربي" [4] ، و في موضـــع آخر من كتابه يرى أنّ مصطلح الغزو غير صحيح للتعبير عن تحركات القبائل الأعرابية خلال القرن 11 م ، و يفضّل عليه مصطلح التهجير الذي يراه أكثر دقة و إن كان فيه نوع من المبالغة [5] .

أمّـــا بونصي (Poncet) فقد ذهب أبعد من ذلك ، حيث نفى أعمال التخريب و النهب التي نسبها المؤرخون إلى الهلاليين قائلا بالخصوص : " إنّ أعمال النهب التي تنسب خطأ إلى الهلاليين إنّما هي مـــن قـــبل قوّاد الجيش من جهة و من قبل أهل إفريقية من جهة أخرى ، و على عكس ما قيل فإنّ بني هلال و بني رياح على الخصوص أسهموا في إرجـــاع النظام إلى نصابه ، فلم يكن لبني هلال أي ضلع في الكـــارثة المنسوبة إليهم خطأ ، إنّما الكـــارثة الهلالية هي نتيجة حتمية لإنهيار إقتصادي و إجتماعي و سياسي ، و هؤلاء انتفعوا عرضا من وضع لم يتسببوا فيه " [6] .

---

(1) حمّادي الساحلي، فصول في التاريخ و الحضارة، ص 33 .

(2) E.F. Gautier, **Les Siècles Obscurs du Magreb**, Imprimrie J.dumoulin, Paris, 1927 , p 386 .

(3) حول موقف جورج مارسي و آرائه في الغزوة الهلالية ، انظر مقال لـــ :

G. Yeves, **L invasion Hilalienne d après un livre recent**, Revue Africaine, publiè par Sociètè Historique Algeriènne, Alger, N 294- 1er trimestre, 1918 , p 97 .

(4) Y. Lacoste, **Ibn Khaldoun**, Imprimrie Gouin, Paris, 1966, p 87 .

(5) Ibid, p 95 .

(6) حمّادي الساحلي، المرجع السابق، ص 35 .

4 – وفـــاة المعـــز بن بـــاديس :

لقـــد بلغـــت الدولة الزيرية خلال عهد المعز بن باديس أوجها ، و لكنّ الأحـــوال تغيّرت بعد الزحف الهلالي ، و قد حمّل البعض المعز مسؤولية ما حصل فقال : " من خلال ما سبق تتجلى الحقيقة التي لا مراء فيها ، و هي أنّ المعز قد أخطأ في تقديره للعواقب عندما خلع التبعية للفاطميين ، و إنّ الخطأ قد أدّى إلى سقوط البـــلاد بين يدي الأعـــراب و النورمان " [1] .

و تعقيبا على هذا أقول : إنّ الإستقلال عن العبيديين الشيعة كان مطلبا شعبيا ونخبويا ، و لم يكن أمـــام المعز خيارا آخر ، و إن كان قد أخطأ ، فإنّ الخطأ الرئيسي يكمن في عدم حكمته في التعامل مع بني هلال أول الأمر حين لم يقبل نصح مؤنس بن يحي الزعيم الأعرابي ، إضافة إلى ذلك عدم تحكمه في عـــساكره الـــتي أظهرت عـــدم تماسكها و تجانسها في نفس الوقت رغم عددها الكبير ، و بالتالي عدم قدرتها على الدفاع عن الدولة .

و قـــد أكمل المعز بقية عمره في المهدية ، و بعد أن أقام في الملك سبعا و أربعين سنة كما جاء في أغلـــب المـــصادر باستثناء ابن أبي دينار الذي جاء في كتابه أنّ ولاية المعز كانت تسعا و أربعين سنة [2] حضرته المنية سنة 454 هـــ/ 1062 م حسب ابن خلدون [3] ، أمّا ابن عذارى فقد ذكر أولا نقلا عن ابـــن شرف أنّ وفاة المعز كانت سنة 455 هـــ/ 1063 م و كـــان عمره ثماني و خمسون سنة [4] ، و الخطـــأ في هـــذه الرواية بيّن ، فكيف يبلغ من العمر ثماني و خمسين سنة و قد ولد سنة 399 هـــ / 1008 م و توفي سنة 455 هـــ/ 1063 م ، ثمّ عـــاد ليقول إنّه حسب روايـــة ابن أبي الصلت فإنّ وفـــــاة المعز كانت لخمس بقين من شعبان سنة 454 هـــ/ 02 سبتمبر 1062 م [5] ، و وافقه ابن الخطيب في رواية ابن أبي الصلت [6] ، أمّا ابن خلكان فقال إنّ المعز توفي في 04 شعبان سنة 454 هـــ/ 12 أوت 1062 م [7] .

و أمّا المؤرخ ابن الأثير[8] فقال إنّ المعز بن باديس توفي سنة 453 هـــ/ 1061 م ، و تبعـــه كل

---

(1) أحمد بن عامر، الدولة الصنهاجية، ص 79 .
(2) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 106 .
(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 326 .
(4) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 295 .
(5) نفسه، ج1، ص 298 .
(6) ابن الخطيب، أعمال الأعـــلام، ص 77 .
(7) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص 233 .
(8) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 354 .

من النويري [1] و ابن أبي دينار[2] ، و كانت وفاته بعد أن أصابه مرض ضعف الكبد [3] ، و دفن في رباط المنستير[4] .

و بغـــض النظـــر عـــن تحديد تاريخ الوفاة بدقة الذي ليس له أهمية كبيرة ، فإنّ سنة 454 هـــ/ 1062 م هـــي سنة وفاة المعز ، فجلّ المؤرخين اتفقوا كما ذكرت من قبل أنّ البداية الفعلية لملك المعز كانت سنة 407 هـــ/ 1016 م ، و بما أنّه استقرّ سبعا و أربعين سنة في الحكم ، فيكون تاريخ الوفاة سنة 454 هـــ / 1062 م .

و كـــان المعز أسمر اللون جميل الوجه جهير الصوت بعيد الغور في الأمور[5] ، طهّر الله على يديه إفريقية من مذهب الشيعة و إن كان من عمّالهم ، و حمل الناس في أيامه على مذهب مالك [6] و قطع ما عداه [7] ، وكان رقيق القلب خاشعا متجنبا لسفك الدماء إلا في حدّ ، حليما يتجاوز عن الذنوب العظام

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 121 .

(2) ابن أبي دينار، المؤنس، ص 106 .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 354 . النويري، المصدر السابق، ج24، ص 121 .

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعـــلام، ص 77 .

(5) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 296 .

(6) الإمام مـــالك : مالك بن أنس بن أبي دينار بن عمرو بن الحارث بن خثيل بن عمرو بن الحارث إمـــام دار الهجرة ، ولد سنة 93 هـــ/ 711 م ، صاحب المذهب المشهور ، ألفّ كتاب الموطأ في الحديث ، روى عن غير واحد من التابعين و حدّث عنه خلق كثير منهم السفيانان و الشافعي ، قال البخاري :" أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر" ، و قيل في حقه : " لا يفتى و مالك في المدينة " ، و مناقبه كثيرة قـــال عن نفسه : " ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أنّي أهل لذلك " ، و كان إذا أراد أن يحدّث تنظّف و تطيّب و لبس أحسن ثيابه و كان يلبس حسنا و سرّح لحيته ، و كان متواضعا ، فعن خالد بن حداش قال : "قدمت على مالك بأربعين مسألة ، فما أجابني إلا في خمس مسائل" ، توفي سنة 179 هـــ / 795 م (القاضي عياض، المدارك، ج1، ص 102 . ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 17 . الذهبي، ســـير أعلام النبلاء، ج6، ص 25 . ابن كثير، البداية و النهاية، ج10، ص 174) .

(7) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 103 .

و قد رفض الإمام مالك أن يُفرض مذهبه على جميع الأمصار بأمر من الخليفة المنصور العباسي ، فقد روى الذهبي في السير عن مالـــك قال : " لّما حجّ المنصور دعاني فدخلت عليه فحادثته و سألني فأجبته ، فقال : عزمت أن آمر بكتبك هذه – يعني الموطأ – فتنسخ نسخا ثمّ أبعث على كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة ، و آمرهم أن يعملوا بها و يدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث ، فإنّـــي رأيـــت أصل العلم رواية أهل المدينة و علمهم ، قلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإنّ الناس قد سبقت إليهم أقاويل و سمعوا أحـــاديث و رووا روايـــات ، و أخذ كلّ قوم بما سبق إليهم ، و عملوا به و دانوا به من اختلاف أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلم ، و إنّ ردّهم عمّا اعتقدوه شديد ، فدع الناس و ما هم عليه و ما اختار أهل كلّ بلد لأنفسهم ، فقال : لعمري لو طاوعتني لأمرت بذلك " (الذهبي، ســـير أعلام النبلاء، ج6، ص 41) .

و حـــول انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب انظر مقال لـــ : عبد الرحمان الجيلالي، **كيف رسخ المذهب المالكي بالمغرب العـــربي؟**، مجلة الموافقات، المعهد العالي لأصول الدين، الجزائر، عدد 3، جوان 1994، ص 222 .

حسن الصحبة مع عبيده و جلسائه و ندمائه حتى كأنّه واحد منهم أو أخ لهم [1] ، ، وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتي و كان عنده و قد جاءه هذا المال فاستكثره ، فأمر به فأفرغ بين يديه ثمّ وهبه له ، فقيل له : "لم أمرت بإخراجه من أوعيته " ؟ قال : " لئلا يقال لو رآه ما سمحت نفسه به" [2] ، مكرما لأهل العلم كثير العطاء لهم كريما يحضر جنائزهم ، و ممّن شيّعهم أبا عمران الفاسي[3] ، و أبا بكر الخولاني الذي قطع المعز بعض الأيدي لعدم تسليمهم للنعش و عصيانهم لأمره [4]، و أبا القاسم اللبيدي [5] ، و أبا إسحاق التونسي [6] .

و كان مولعا بالموسيقى فقد كان على معرفة تامة بها إذ هو يحسن الأغاني و التلحين و يجيد التوقيع على الرباب و العود [7] ، قال ابن رشيق يرثى المعز :

لكل حي و إن طال المدى هلك *** لا عز مملكة يبقى و لا ملك
لحادث منه في أفواهنا خرس *** عن الحديث و في أسماعنا سكك
يهاب حاكيه صدقا أن يبوح به *** فكيف ظنّك بالحاكين لو أفكوا
أردى المعز الذي كانت بموضعه *** و باسمه جنبات الأرض تمسك
فالصوت في صحن ذاك القصر مرتفع *** و الستر عن باب ذلك البهو منتهك
ولّى المعز على أعقابه فرمى *** أو كاد ينهدّ من أركانه الفلك
مضى فقيدا و أبقى في خزائنه *** هام الملوك و ما أدراك ما ملكوا
ما كان إلا حساما سلّه قدر *** على الذين بغوا في الأرض و انهمكوا
كأنّه لم يخض للموت بحر وغى *** خضر البحار إذا قيست به برك
و لم يجد بقناطير مقنطرة *** قد أرعبت باسمه إبريزها السكك
روح المعز و روح الشمس قد قبضا *** فانظر بأي ضياء يصعد الفلك
فهل يزول حداد الليل عن أفق *** و هل يكون لصبح بعده ضحك [8]

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 120 .
(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص 354 .
(3) الدباغ، معالم الإيمان، ج3، ص 162 .
(4) نفسه، ج3، ص 172 .
(5) نفسه، ج3، ص 179 .
(6) نفسه، ج3، ص 183 .
(7) F.Dechraoui,op.cit, p280.
(8) ابن رشيق، ديوان ابن رشيق، ص 109 .

و ذكر النويري أنّ المعز بن باديس كان لـــه من الأولاد الذين مـــات عنهم تسعة و هـــم : نزار و تمـــيم و عـــبد الله و علي و عمرو و حماد و بلكين و حمامة و المنصور[1] ، أمّا ابن عذارى فقد ذكر أسماءهم كما يلي : تميم و نزار و عبد الله و علّو و حمّاد و بلكين و حمامة و المنصور[2] ، و يضاف إليهم كباب الذي ذكره قبل ذلك ، و لم يذكر المؤرخون أسماء بناته و لا عددهنّ .

(1) النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 121 .

(2) ابن عذارى، البيان، ج1، ص 298 .

الخاتمة

الخـــاتمـــة :

لقد عرف دعاة الإسماعيلية الشيعة كيف يتعاملون مع سكان بلاد المغرب الإسلامي ، فحققّوا هدفا طالمـــا كافحـــوا من أجله ، و ذلك بفضل قبيلة كتامة البربرية التي تبنت واضع أسس الدولة الفاطمية الداعية أبا عبد الله الشيعي و احتضنت دعوته و أقامت دولته ، و مع قيام هذه الدولة سلك الفاطميون مـــنذ عهد خليفتهم الأول مسلكا عنيفا تجاه السكان ، فقد حرص عبيد الله على نشر التشيّع الإسماعيلي الباطني بالقوة و الإكراه ، و هذا مـــا يناقض تماما معتقـــدات السكان السنية التي ترسخت في المنطقة ، و ذلك بفضل جهود العلماء الذين كانوا من أشدّ الناس تمسكا بالسنة ، و لهم في ذلك جولات عديدة ضـــدّ أصـــحاب المذاهب العقائدية المختلفة لاسيما المعتزلة أثناء فتنة القول بخلق القرآن التي ظهرت في المشرق و امتدت إلى بلاد المغرب خلال القرن الثالث الهجري .

لقد حقّق الشيعة نجاحا سياسيا باهرا ، لكنّهم في المقابل خسروا محبة الرعية التي كانت تنظر بعين الغلّ و الحقد لكل ما هو شيعي فاطمي ، و تنتظر في الوقت ذاته أي فرصة لهم تسمح لهم بالتخلّص من هـــؤلاء الجاثمين على صدورهم ، و قد رأوا في ثورة الخارجي أبي يزيد صاحب الحمار الفرصة المناسبة لذلك ، فقرّر أهل المغرب و على رأسهم العلماء مساندته و قالوا إنّ دعمه واجب شرعي ، و لا بأس أن يدفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر ثمّ يقضي الله أمرا كان مفعولا ، و لكنّ العبيديين انتصروا أخيرا على صـــاحب الحمار و اشتدت شوكتهم و علت رايتهم و دانت لهم البلاد ، فتطلعوا إلى غزو مصر هدفهم المنـــشود ، فكـــان لهم ما أرادوا و بنوا القاهرة و جعلوها عاصمة لهم ، لتدخل بذلك الدولة الفاطمية مـــرحلة جديدة صارت فيها أكثر قوة و باتت قاب قوسين من تحقيق حلمها الكبير القضاء على الخلافة العباسية و حكم العالم الإسلامي .

و أمّـــا بـــلاد المغرب فقد ظهرت فيها قبيلة صنهاجة البربرية كقوة محلية خاصة بعد أن أبلت بلاء حسنا في مساندة الفاطميين أثناء حربهم مع أبي يزيد الخارجي ، حيث كان لها الفضل في إنقاذ العاصمة المهديـــة من السقوط ، فحفظ العبيديون ذلك لصنهاجة و أعلوا شأنها و جعلوها سيفا يحاربون به قبيلة زناتـــة الموالـــية لبني أمية في الأندلس ، و قد قضى زيري بن مناد الزعيم الصنهاجي في هذه الحروب ، فخلفـــه ابنه بلكين و سار على خطى أبيه ، فارتفع شأنه عند المعز لدين الله العبيدي ، فرأى فيه الرجل الأنسب لحكم بلاد المغرب و إفريقية ، فعيّنه كعامل لـــه على هذه البـــلاد سنة 362 هـــ / 972 م و سمّاه يوسف ، و بذلك أصبح البربر يحكمون بأنفسهم في سابقة أولى في تـــاريخ المنطقة ، و في المقابل تـــراجعت مكانـــة قبيلة كتامة ، و لم تعد تلك القبيلة التي يمكن الإعتماد عليها ، و اقتصر إستغـــلال

الفاطمـــيين لهـــا على إستعمالها لإثـــارة الفتن بين الحـــين و الآخر في بـــلاد المغـــرب حين توجسهم خيفة من عمّالهم الزيريين الصنهاجيين .

و تـــوارث أبـــناء بلكين بن زيري الحكم من بعده ، و حاولوا الإستقلال في تسيير أمورهم قدر المـــستطاع عـــن القاهرة ، غير أنّ إنشقاق الصف الداخلي أسهم في تشتيت و إضعاف الجهود الرامية للإنفـــصال ، حـــيث انقسمت دولـــة صنهاجة إلى قسمين ، زيرية في القـــيروان بإفريقية و حمّادية في القلعة بالمغرب الأوسط ، و ذلك في أعقاب الحرب التي نشبت بين باديس بن المنصور و عمّه حمّاد بن بلكـــين ، و ترسّم الإنقسام في عهد المعز بن باديس بعد إعـــلان الصلح بين الرجلين ، فقد أقّر المعز عمّ أبيه حمّادا بما تحته من أراض مقابل أن تضع الحرب أوزارها .

إنّ نجـــاح المعز بن باديس في ضمان إستقرار أوضاع البلاد داخليا دفعه إلى التطلّع إلى الإستقلال التام عن الدولة الفاطمية ، و قد شهد عهده في بدايته أحـــداث قتل راح ضحيتها عدد كبير من الشيعة في مـــدن بـــلاد المغرب و إفريقية ، و أخطرها تلك التي وقعت سنة 407 هـــ / 1016 م و كانت القـــيروان خاصـــة مسرحا لها ، و اُعتبرت الأحداث هذه بمثابة التخلّي غير الرسمي عن المذهب الشيعي الإسماعيلـــي و العـــودة إلى المـــذهب السني المالكي ، و أكدّ هذا الأمر إحياء الشعائر السنية التي كانت محظورة من قبل كصلاة التراويح مثلا ، و في الوقت نفسه إزداد نفوذ علماء المالكية ليس على المستوى الـــشعبي فحـــسب و إنّما على المستوى السياسي أيضا ، فقد صارت لهم كلمة مسموعة عند المعز بن بـــاديس ، فـــبعُد ما بين القيروان و القاهرة ، و أمـــام الضغط السني المتزايد و الصعوبات التي تواجهها الدولـــة الفاطمـــية في المشرق أعلن المعـــز بن بـــاديس الصنهاجي الإستقـــلال النهائي عن الـــدولة الفاطمية و الولاء للدولة العباسية سنة 435 هـــ / 1043 م .

إنّ ضـــياع بـــلاد المغرب من الفاطميين لن يمرّ دون أن يكون له صدى في القاهرة ، لذلك قرّروا معاقبة المعز على صنيعه و رأوا أنّ أنسب طريقة لمعاقبته هي السماح للأعراب من بني هلال و بني سليم بالجـــواز إلى إفريقية و بلاد المغرب و إباحتها لهم ، فجاء الزحف الأعرابي و ما حمله من آثار سلبية بالغ المؤرخـــون في تـــضخيمها ، وكان هذا الغزو إحدى أهمّ الأسباب التي أدت إلى ضعف الدولة الزيرية الـــصنهاجية سياســـيا و إقتصاديا و إقتصارها على المهدية و ما جاورها فقط ، و أسهم الغزو أيضا في غـــروب شمس القيروان ، المدينة التي سطع نورها على كامل المنطقة و أنجبت خيرة علماء أهل السنة في المغـــرب كلّه على مرّ التاريخ ، و أمام توالي الإنهزامات رأى المعز أن يعيد الدفء لعلاقاته مع القاهرة ، لعلّ هذا يكون الحلّ الأمثل لإعادة الأمن للبلاد ، فأقدم على هذه الخطوة التي لن يكون لها أي تأثير على

مـــا يحدث داخليا أو خارجيا ، و انتهى عهد المعز بن باديس بوفاته في مدينة المهدية سنة 454 هـــ / 1062 م .

و أهمّ النتائج التي يمكن ذكرها هي :

- بقـــدر ما كان قيام الدولة الفاطمية نجاحا كبيرا للشيعة الإسماعيلية ، فإنّه كان انتكاسة حقيقية لأهل السنة في العالم الإسلامي عامة و بلاد المغرب خاصة.

- يعتـــبر إستقلال المعز بن باديس الصنهاجي عن الدولة الفاطمية الحدث الفاصل في تاريخ العلاقة بين السنة و الشيعة في بلاد المغرب الإسلامي و الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بالقطيعة الكبرى ، و لم تعرف الحركات المذهبية في المنطقة نشاطا كبيرا بعد هذه القطيعة .

- إنّ الـــصراع بين أهل السنة و الشيعة صراع قديم ، قد تخفت ناره أحيانا لكنّها لا تنطفئ ، فالخلاف كـــبير و الهوة سحيقة ، و أما ما يلوكه دعاة التقريب بين السنة و الشيعة من كلام ، فلا سند قوي لهم فـــيما يقولونه ، و لن يحدث التقريب إلا بتخلّي أحد الفريقين عن أصول مذهبه ، ذلك أنّ الخلاف بين السنة و الشيعة خلاف في الأصول لا في الفروع ، و يكفي دليلا على هذا أن السنة التي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي لا يتفق حولها الفريقان ، فكل فريق له كتبه و مصادره التي يعتمد عليها في معرفة سنة النبي صلى الله عليه و سلم .

- لقـــد أســـهم علماء أهل السنة المالكية في بلاد المغرب في الحفاظ على عقيد أهل السنة و الجماعة في المنطقة ، و كان لهم جهد عظيم و تضحية كبيرة من أجل الدفاع عن معتقداتهم و دينهم ، كما كان لهم دور فعّال في حمل المعز بن باديس على قطع علاقته مع الدولة الفاطمية سنة 435 هـــ / 1043 م .

و أخـــيرا أقـــول إنّ الدارس للتاريخ الإســـلامي عامة يخلص إلى أنّ ظاهرة الإنفصـــال السياسي و الإنـــزواء بالأقطـــار و التغلّب على الحكم ظاهرة سلبية في مجملها لازمت المسلمين منذ القرن الأول الهجري فلا يكاد يخلو منها عصر من العصور الإسلامية ، و هي بمثابة الداء الذي يسري في جسد الأمة الـــذي وقفت عاجزة أمامه ، و لم تستطع أن تجد له الدواء المناسب فأصبح الداء عضالا ، و تزداد هذه الظاهـــرة سوءاً إذا غذّتها النعرات الطائفية و الصراعـــات القبلية الجهوية ، فعندئذ يصبح المصير المحتوم الذي لا مفرّ منه هو الإنحطاط الحضاري الذي نعيشه منذ قرون .

الملحق رقم " 01 "

خـــريطة تـــوزيع قبـــائل البـــربـــر في بـــلاد المغـــرب العـــربي [1]

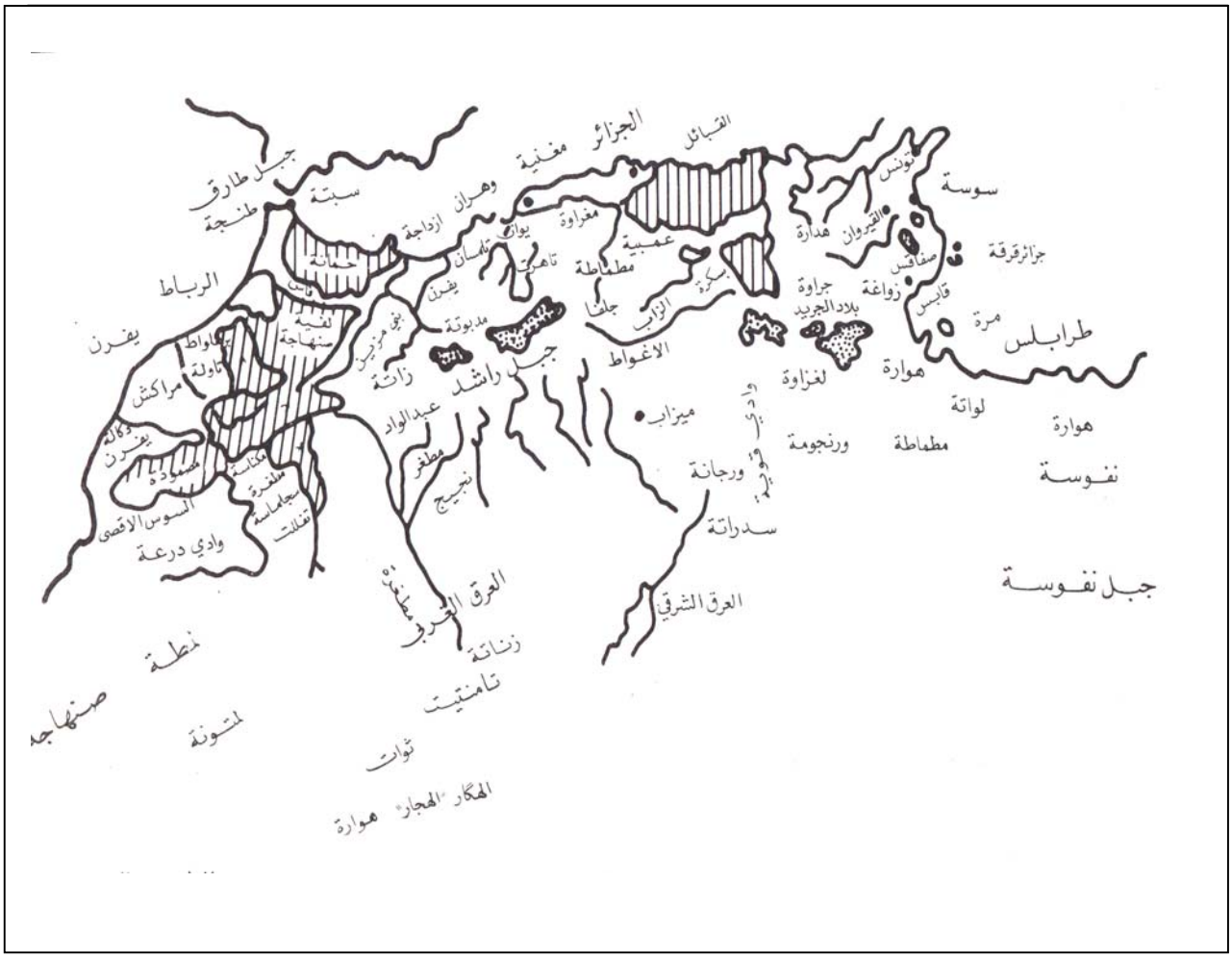

(1) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج1، ص 92 .

الملحق رقم " 02 "

خـــريطة الـــدولة الفـــاطمية في أوج تـــوسعهـــا [1]

(1) ابـــن حمّاد الصنهاجي، **أخبـــار ملـــوك بني عبيـــد**، تحقيق و تعليق جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتـــاب، الجزائر، 1984 ، ص 131 .

الملحق رقم " 03 "

بعض ما ينسب للحـــاكم بأمـــر الله العبيدي من كفـــر و جهـــل

ثمّ ولي الحـــاكم فأظهر أكثر مذهبهم ، فكان ممّا أحدث أنّه بـــنى دارا و جعل لها أبـــوابا و طباقا و جعل فيها قيودا و أغلالا ، و سمّاها جهنّم ، فمن جنى جناية عنده قال : " أدخلوه جهنّم " ، و أمر أن يكتب في الشوارع و الجوامع بسبّ الصحابة رضي الله عنهم ، ثمّ أرسل داعيا إلى مكة ، فلمّا طلع المنبر و ذكر ما ذكر ، اقتحم عليه بنو هذيل فقطّع قطعة قطعة و كسر المنبر و فتّت حتى لم يجتمع منه شيء ، ثمّ أرسل رجلا خراسانيا من بني عمّه فضرب الحجر الأسود بدبوس فقتل من حينه ، و أخذه الناس قطعة قطعة و أُحرق بالنار ، و أرسل لعنه الله إلى مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم من ينبش القبر المعظّم ، فسمع الناس صائحا يقول : " القبر ينبش " ، ففتّشه الناس فوجدوه و أصحابه فقتلوهم .

ثمّ إنّـــه ادّعـــى الربوبية من دون الله ، و جعل داعيا يدعو إلى عبادته و سمّاه المهدي ، فكتب داعيه الكـــتاب و كان اسمه حمزة ، و ذلك في سنة 410 هـــ / 1019 م ، و قرئ بحضرة الحاكم لعنه الله علـــى أهل مملكته ، ذكر فيه – تعـــالى الله عن إبطال المبطلين علوا كبيرا – : " الحمد لمولاي الحاكم وحده ، باسمك اللّهم الحاكم بالحق " ، ثمّ تمـــادى فقال : " توكلت على إلهي أمـــير المؤمنين جلّ ذكره و بـــه نـــستعين في جميع الأمـــور " ، ثمّ طوّل في الكتـــاب بالتخليط ، فمرة يجعله أمير المؤمنين و مرة يجعلـــه الإلـــه ، و قال فيه : "

قائمة المصادر والمراجع

I – قائمة المصـــــادر :

- القــرآن الكريم .

- ابن الأبـــار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658 هـــ /1286 م):

1 – الحلـــة الســـيراء ، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985 .

2 – الـــتكملة لكـــتاب الصلـــة، تحقيق إبـــراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، 1989 .

- ابـــن الأثيـــــر الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكـــرم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الـــواحد الشيباني (630 هـــ / 1222 م) :

3 – الكـــامـــل في التـــاريخ ، تحقيق عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيـــروت، الطبعة الثانية، 1995 .

- الإدريـــسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني (ت 560 هـــ / 1165 م) :

4 – نـــزهـــة المشتـــاق في إختـــراق الآفـــاق، عالم الكتب، بيـــروت، الطبعة الأولى، 1989.

- الإسفرائيني، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت 429 هـــ / 1037 م) :

5 – الفـــــرق بين الفـــرق، تحقيـــق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، دون سنة الطبع .

- ابـــن أبي أصـــيبعة ، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يوسف السعدي (ت 668 هـــ / 1270 م) :

6 – عـــيون الأنبـــاء في طبقات الأطباء، تحقيق د/ نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون سنة الطبع .

- بن أبي الضياف ، أحمد (ت 1291 هـــ / 1874 م) :

7 – إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976 .

- الـــبرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت 841 هـــ / 1438 م) :

8 – فـــتـــاوى الـــبرزلي " جامع منـــازل الأحكـــام لمـــا نزل من القضايا بالمفتين و الحكام "، تقـــديم و تحقيق د/محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002 .

- ابن بسّام الشنتريني، أبو الحسن علي (ت 542 هـ / 1147 م) :

9 – الذخـيرة في محـاسن أهل الجزيرة، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979 .

- أبو بكر الشيباني ، عمرو بن أبي عاصم الضحّاك بن مخلد (ت 287 هـ / 899 م) :

10 – كتـاب السنة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993 .

- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر (ت 487 هـ / 1094 م) :

11 – المغـرب في ذكر بـلاد إفريقية و المغـرب، مكتبة المثنى، بغداد، دون سنة الطبع .

- التـادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحي بن عيسى بن عبد الرحمان المعروف بابن الزيـات (ت 627 هـ / 1229 م) :

12 – التـشـوّف إلى رجـال التصـوّف، اعتنى بنشره و تصحيحه أدولف فور، مطبوعات إفريقيا الشمالية الفنية، الرباط، 1958 .

- التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت بعد 717 هـ / 1317 م) :

13 – رحلـة التجـاني، قـدّم لها حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1958 .

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (874 هـ / 1469 م) :

14 – النجـوم الـزاهـرة في ملـوك مصـر و القـاهـرة، المـؤسسة العـامة للتـأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، دون مكان و سنة الطبع .

- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحرّاني الدمشقي (ت 728 هـ / 1328 م) :

15 – مجمـوع الفـتـاوى، اعتنى بها و خرّج أحاديثها عامر الجزار و أنور البـاز، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع ، المنصورة، الطبعة الثانية، 2001 .

16 – منهـاج السنة النبـوية في الـرّد على الشيعة و القـدرية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1322 هـ / 1904 م .

- ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد (ت 310 هـ / 922 م) :

17 – تـاريخ الأمـم و الملـوك، دار الكتب العلمية، بـيروت، الطبعـة الثـانية، 1988 .

- الجـوذري، أبو علي منصور العزيزي (القرن 4 هـ / 10 م) :

18 – سـيرة الأسـتـاذ جـوذر، تقديم و تحقيق د/محمد كامل حسين و د/محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948 .

- ابن الجـــوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن محمد (ت 597 هـــ / 1202 م) :

19 – المنتظم في تـــاريخ الملـــوك و الأمـــم، تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، دون سنة الطبع .

- ابن حمديس عبد الجبار (ت 527 هـــ / 1133 م) :

20 – ديـــوان ابن حمـــديس، تصحيح و تقديم د/إحسان عباس، دار صادر، بـــيروت، 1960 .

- ابن حـــزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456 هـــ / 1064 م) :

21 – جمهـــرة أنســـاب العـــرب، دار الكتب العلمية، بـــيروت، الطبعـــة الأولى، 1983 .

22 – الفـــصـــل في الملـــل و الأهـــواء و النحل، تحقيق د/محمد إبراهيم نصر و د/عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، دون سنة الطبع .

23 – رسائل ابن حزم " نقط العـــروس في تـــواريخ الخلفـــاء" ، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة الثانية، 1987 .

- ابن حمّـــاد الصنهاجي، أبو عبد الله محمد بن علي (626 هـــ / 1230 م) :

24 – أخـــبار ملـــوك بـــني عبيد، تحقيق نشيدة سليماني، معهد العوم الإجتماعية جامعة الجزائر، الجزائر، 1979 .

- **أخـــبـــار ملـــــوك بـــني عبـــيـــد**، تحقيق و تعليق جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتـــاب، الجزائر، 1984 .

- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626 هـــ / 1228 م) :

25 – إرشـــــاد الأريـــب إلى معـــرفة الأديب المعروف بمعجم الأدبـــاء، تحقيق د/ عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1999 .

26 – معجـــم البلـــدان، دار صـــادر، بيـــروت، الطبعة الثانية، 1995 .

- الحميدي، أبو عبد الله بن محمد بن أبي النصر (ت 488 هـــ / 1095 م) :

27 – جـــــذوة المقتبس في تـــاريخ علمـــاء الأنـــدلس، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1989 .

- ابن حـــوقل، أبو القـــاسم النصيبي (ت 367 هـــ / 977 م) :

28 – صـــورة الأرض، منشـــورات دار مكتبـــة الحيـــاة، بيـــروت، دون سنة الطبع .

- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (469 هـ / 1076 م) :

29 – المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمان علي حجر، دار الثقافة، بيروت، 1983 .

- الخشني، محمد بن حارت بن أسد (ت 361 هـ / 971 م) :

30 – طبقات علماء إفريقية، نشر محمد بن أبي شنب، طبعة باريس، 1915 .

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463 هـ / 1071 م) :

31 – تاريخ مدينة السلام و أخبار محدثيها و ذكر قطّانها العلماء من غير أهلها و واردیها المعروف بتاريخ بغداد ، تحقيق د/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001 .

- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت 776 هـ / 1374 م) :

32 – أعمال الأعلام " القسم الثالث "، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، دار الكتاب، الدار البيضاء، دون سنة الطبع .

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد (ت 808 هـ / 1406 م) :

33 – كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر و أخبار العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983 .

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681 هـ / 1211 م) :

34 – وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، دون سنة الطبع .

- الدّباغ ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت 696 هـ / 1296 م) :

35 – معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق د/ عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005 .

- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670 هـ / 1271 م) :

36 – طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاّي، مطبعة البعث، قسنطينة، دون سنة الطبع .

- ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت 1110 هـ / 1699 م) :

37 – المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993 .

- الـــذهـــبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـــ / 1372م) :

38 – تـــــاريخ الإســـــلام و وفيـــات المشاهير و الأعـــلام، تحقيق د/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003

39 – ســـير أعـــــلام النبـــلاء، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003 .

- ابن رشيق القيرواني، أبو الحسن علي (ت 456 هـــ / 1064 م) :

40 – أنمـــــوذج الزمـــان في شعـــراء القـــيروان، تحقيق و جمع محمد العروسي المطوي و بشير البكوش، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991 .

41 – ديـــــوان ابـــن رشيـــق، تحقيق و جمـــع و شـــرح د/محي الدين ديب، المكتبـــة العصرية للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998 .

- ابن أبي الـــزرع، علي بن عبد الله الفاسي (ت 741 هـــ / 1340 م) :

42 – الأنـــيـــس المطـــــرب بروض القرطـــاس في أخبـــار ملـــوك المغرب و تاريخ مدينـــة فـــاس ، طبعـــة أبسالـــة، 1843 م .

- ابن زيري، عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن زيري (ت 483 هـــ / 1091 م) :

43 – مذكـــرات الأمـــير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التبيـــان، نشر و تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعـــارف، القاهرة، 1955 .

- السبكي، تاج الدين أو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771 هـــ / 1369 م) :

44 – طبقـــات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي و شركاه، الطبعة الأولى، 1965 .

- السراج، محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج (ت 1149 هـــ / 1736 م) :

45 – الحلـــل الـــسندسية في الأخبـــار التونسية، تقديم و تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1985 .

- ابن سعيد المغربي ، أبو الحسن بن موسى (ت 685 هـــ / 1268 م) :

46 – المغـــــرب في حلـــى المغـــرب، تحقيق د/ شـــوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، دون سنة الطبع .

- ابن سعيد المغـــربي، أبو الحسن بن موسى (ت 685 هـــ / 1268 م) و آخـــرون :

47 – الـــنجـــوم الـــزاهـــرة في حلى حضرة القـــاهرة، تحقيق د/ حسين بصار، مطبعة دار الكتب، دون مكان الطبع، 1970 .

السيوطي، جـــلال الدين (ت 911 هـــ / 1511 م) :

48 – حسن المحـــاضرة في أخبـــار مصر و القـــاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى،1967 .

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (548 هـــ / 1153 م) :

49 – المـــلل و النحـــل، تحقيـــق محمد سيـــد الكيـــلاني، دار المعرفـــة، بـــيروت، دون سنة الطبع .

- الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي (ت 470 هـــ / 1077 م) :

50 – ســـيرة المـــؤيد في الدين داعي الدعـــاة، تقديم و تحقيق محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، 1949 .

- ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت 542 هـــ/ 1147 م) :

51 – الإشـــــارة إلى من نـــال الـــوزارة، تحقيق و تعليق عبد الله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعـــاديـــات الشرقية، القاهرة، 1924 .

- الضـــبي، أحمد بن حيان بن أحمد بن عميرة (ت 509 هـــ / 1202 م) :

52 – بغـــيـــة الملتمس في تـــاريخ رجـــال الأنـــدلس، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1989 .

- أبو العرب ، أحمد بن تميم (ت 333 هـــ / 944 م) :

53 – طبقات علماء إفريقية و تونس، تحقيق علي الشابي و نعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الثانية، 1985 .

- ابن عـــذارى المراكشي، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت بعد 712 هـــ / 1321 م) :

54 – البيـــان المغـــرب في أخبار الأندلس و المغـــرب، تحقيق ج.س كولان و ل.بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983 .

- عماد الدين إدريس الداعي (ت 872 هـ / 1488 م) :

55 – تـــاريخ الخلفـــاء الفاطميين بالمغـــرب، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1985 .

- ابن العماد الحنبلي، أبو فـــلاح عبد الحي (ت 1089 هـ / 1678 م) :

56 – شـــــذرات الـــذهب في أخبـــار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، دون سنة الطبع .

- عياض ، موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت 544 هـ / 1149 م) :

57 – تـــرتيب المـــدارك و تقريب المسالك لمعرفـــة أعـــلام مذهب مالك، تحقيق د/أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحيـــاة، بيروت، 1968 .

- ابـــن فـــــرحون، بـــرهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المدني المكي (ت 799 هـ / 1369 م) :

58 – الديبـــاج المـــذهب في معرفـــة أعيـــان المذهب، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1911 .

- ابن الفرضي عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي (ت 403 هـ / 1013 م) :

59 – تـــاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1989 .

- الفرماني، أحمد بن يوسف (ت 1019 هـ / 1610 م) :

60 – أخبـــار الدول و آثار الأول في التاريخ، دراسة و تحقيق د/ أحمد حطيط و د/ فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1996

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ / 1418 م) :

61 – صبـــح الأعشـــى في صنـــاعـــة الإنشـــــا، المـــؤسسة المصـــريـــة العامـــة للتـــأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، دون مكان و سنة الطبع .

- الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764 هـ / 1363 م) :

62 – فـــوات الوفيـــات و الذيل عليها، تحقيق د/إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974 .

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر الدمشقي (ت 774 هـ / 1373م) :

63 – البـــدايـــة و النهـــايـــة، مكتبة المعـــارف، بـــيروت، دون سنة الطبع .

- المـــالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 483 هـــ/ 1090 م) :

64 – ريـــــاض النفـــوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهّادهم و نسّاكهم و سير أخـــبارهم و فـــضائلهم و أوصـــافهم، تحقـــيق بشير البكوش و محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1994 .

- مجهـــــول :

65 – كـــتـــاب مفـــاخـــر الـــبربر، تحقيق مجمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1960 .

- المراكشي، عبد الواحـــــد بن علي (ت 669 هـــ / 1270 م) :

66 – المعجـــب في تلخـــيص أخبـــار المغـــرب، شرح وتعليق د/صلاح الدين هواري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2006 .

- المقـــدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البناء (ت 380 هـــ / 990 م) :

67 – أحسن التقـــاسيم في معرفـــة الأقـــاليم، دار إحيـــاء التراث العربي، بيروت، 1987 .

مقديش محمود (ت 1228 هـــ / 1813 م) :

68 – نـــــزهة الأنظـــار في عجائب التـــواريخ و الأخبـــار، تحقيق علي الزواري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988،

- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041 هـــ / 1631 م) :

69 – نفـــح الطيب في غصن الأنـــدلس الرطيب ، شـــرح و ضبط و تعليق مـــــريم قـــاسم الطويل و يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، 1995 .

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـــ / 1441م) :

70 – اتعـــــاظ الحنفـــاء بأخبـــار الأئمة الفـــاطميين الخلفـــاء، تحقيق د/جمال الدين الشيال، وزارة الأوقـــاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1996 .

71 – المـــواعظ و الإعتـــبـــار بذكـــر الخطط و الآثـــار، بـــولاق القـــاهرة، 1270 هـــ / 1853 م .

72 – كـــتـــاب المقفى الكبـــير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991 .

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت 711 هـ / 1311 م) :

73 – لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون سنة الطبع .

- ابن ميسّر، محمد بن علي بن جلب (ت 677 هـ / 1278 م) :

74 – أخبار مصر " القسم الثاني " ، اعتنى بتصحيحه هنري ماسيه، مطبعة المعهد العربي الخاص بالدراسات الشرقية، القاهرة، ، 1914 .

- ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي (ت 481 هـ / 1060 م) :

75 – سفر نامة " رحلة ناصر حسرو القبادياني "، ترجمة و تقديم د/أحمد خالد البدلي، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، 1983 .

- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي (ت 1315 هـ / 1897 م) :

76 – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، دون سنة الطبع .

- النعمان، النعمان بن محمد (ت 363 هـ / 974 م) :

77 – كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، الطبعة الثانية، 1986 .

- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التميمي القرّشي (ت 733 هـ / 1333 م) :

78 – نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2004 .

- ابن هانىء الأندلسي ، أبو القاسم محمد الأزدي (ت 362 هـ /973 م) :

79 – ديوان ابن هانىء، دار بيروت، بيروت، 1980 .

- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي (ت 914 هـ / 1508 م) :

80 – المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1981 .

II – قائمة المراجـــــــع :

- إدريس (هادي روجي) :

1 – الدولـــــة الصنهـــاجية " تـــاريخ إفـــريقية في عهـــد بني زيـــري من القرن 10 م إلى القرن 12 م " ، تعريب حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1992 .

- أمين (أحمد) :

2 – فجـــر الإســـــلام، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الحادية عشر، 1975 .

- بن بية (محمد محمود عبد الله) :

3 – الأثـــــر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، دار الأندلس الخضراء، جـــدّة، الطبعة الأولى، 2000 .

- بروكلمان (كارل) :

4 – تـــــاريخ الـــشعـــوب الإســـلامية، تعريب : نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، 1993 .

- بـــل (ألفـــرد) :

5 – الفـــــرق الإســـلامية في الشمـــال الإفريقي من الفتح العـــربي حتى اليـــوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987 .

- بن عامر (أحمد) :

6 – الـــدولـــة الصنهـــاجيـــة، الـــدار التـــونسية للنشر، دون مكان الطبع، 1972 .

- بن عميرة (محمد) :

7 – دور زنـــاتـــة في الحـــــركة المذهبية بالمغـــرب الإســـلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .

- بن قربة (صالح) :

8 – المـــسكـــوكـــات المغـــــربية من الفتـــح الإســـلامي إلى سقـــوط دولـــة بني حمّـــاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 .

- بن منصور (عبد الوهاب) :

9 – قبـــائـــل المغـــرب، المطبعـــة الملكيـــة، الربـــاط، 1968 .

- بـــونـــار (رابح) :

10 – المغـــــرب العـــــربي تـــاريخـــه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجـــزائر، 1986 .

- تـــامر (عـــارف) :

11– الدولـــــة الفـــاطمـــية الكبـــيرة، ريـــاض الريس للكتب و النشر، لندن–قبرص، الطبعة الأولى، 1991 .

- التهامي (إبراهيم) :

12 – جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2005 .

- جابر (أبو بكر الجزائري) :

13 – العلـــم و العلمـــاء، دار الكتب العلمية، بيروت، دون سنة الطبع .

- حسن (إبـــراهيم حسن) :

14 – تـــــاريخ الإســـــلام الـــسياسي و الـــديني و الثقـــافي و الإجتماعي، دار الجيـــــل، بيـــروت، الطبعة الثالثة عشر، 1991 .

15 – الدولـــــة الفاطمـــية في المغـــــرب و مصر و سورية و بـــلاد العـــرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1964 .

- الدشراوي (فرحات) :

16 – الخـــلافـــــة الفاطمـــية بالمغـــــرب " التاريخ السياسي و المؤسسات"، تعريب حماد الساحلي، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994 .

- ديـــاب (صابر محمد) :

17 – سيـــاســـة الـــدول الإســـلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري إلى نهـــاية الفاطميين، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1973 .

- الزركلي (خير الدين) :

18 – الأعـــــــلام ، دار العلـــم للمـــلايين، بـــيروت، الطبعة العاشرة، 1992 .

- الساحلي (حمّادي) :

19 – فصول في التاريخ و الحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1992 .

- سالم (السيد عبد العزيز) :

20 – المغرب الكبير " العصر الإسلامي"، دار النهضة العربية، بيروت، 1981 .

- السرحاني (راغب) :

21 – الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005،

- سرور (محمد جمال الدين) :

22 – سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967 .

- السيّد (أيمن فؤاد) :

23 – الدولة الفاطمية في مصر " تفسير حديد"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الثانية، 2000 .

- سيمينوفا (ل. ا) :

24 – تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة و تحقيق حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، 2001 .

- الشلبي (مصطفى أبو النصر) :

25 – صحيح أشراط الساعة، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002 .

- صالح (عبد القادر) :

26 – العقائد و الأديان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 2003 .

- طقّوش (محمد سهيل) :

27 – تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس، بيروت،الطبعة الأولى، 2005 .

- الطّمار (محمد) :

28 – الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الجزائرية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.

- الطيبي (أمين توفيق) :

29 – دراســـات و بحـوث في تـاريخ المغـرب و الأنـدلس، الـدارالعربية للكتـاب، ليبيا – تونس، 1984 .

- الطيبي (محمد الأمين) :

30 – دراســـات و بحـوث في تاريـخ المغـرب و الأنـدلس، الـدار العربيـة، تـونس، 1997 .

- ظهير (إحسان إلهي) :

31 – بـين الـشيعة و أهـل السنة، دار الإمام المجدّد للنشر و التوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005 .

32 – الشيعة و التشيع، دار الإمام المجدد للنشر و التوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005 .

- العبادي (أحمد مختار) :

33 – في التـاريخ العبـاسي و الفـاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، دون سنة الطبع .

- العـربي (إسماعيل) :

34 – دولـة بـني حمّـاد ملـوك القلعة و بجـاية، الشركة الجزائرية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980 .

- عبد الحميد (سعد زغلول) :

37 – تـاريخ المغرب العـربي " الفاطميون و بنو زيري الصنهاجيون إلى قيـام الـمرابطين"، منشأة المعارف، الإسكندرية، دون سنة الطبع .

- عبـد الوهـاب (حسن حسني) :

38 – خـلاصة تـاريخ تـونس، الـدار التونسية للنشر، تـونس، الطبعة الرابعة، 1968 .

39 – شهـيرات التـونسيات، المطبعة التونسية، تونس، 1934 .

40 – كتاب العمر في المصنفات و المؤلفين التونسيين، مراجعة و إكمال محمد العروسي المطوي و بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990 .

41 – ورقـات عن الحضارة العربية بإفريقيـة التونسية، مكتبـة المنار، تـونس، 1964 .

- عفيفي (عبد الحكيم) :

42 – موسوعة ألف مدينة إسلامية ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأول، 2000 .

- عنّان (محمد عبد الله) :

43 – دول الطوائف منذ قيامها إلى الفتح المرابطي، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس، الطبعة الثانية، 1990 .

- عويس (عبد الحليم) :

44 – دولة بني حمّاد، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1980 .

- غلاّب (عبد الكريم) :

45 – قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2005 .

- الغنيمي (عبد الفتاح مقلد) :

46 – موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994 .

- فاحوري (محمد) :

47 – موسوعة وحدات القياس العربية و الإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2002 .

- فروخ (عمر) :

48 – تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، 1992 .

- الفوزان (صالح بن عبد الله) :

49 – الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد و الرد على أهل الشرك و الإلحاد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الثانية، 1997 .

- لقبال (موسى) :

50 – دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979 .

51 – تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2005 .

- مارسي (جورج) :

52 – بـــــلاد المغـــرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمد عبد الصمد هيكل، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، 1991 .

- متز (آدم) :

53 – الحـــضارة الإســـلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت .

- المجـــذوب (عبد العزيز) :

54 – الـــصراع المـــــذهبي في إفريقية إلى قيـــام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الثانية، 1985 .

- محمد (سوادي عبد) :

55 – تـــاريخ المغـــرب الإســـلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004 .

- مخلـــوف (محمد بن محمد) :

56 – شـــجـــرة النـــور الزكيّة في طبقـــات المـــالكية، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، دون مكان و سنة الطبع .

- مرمول (محمد الصالح) :

57 – السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983،

- مصطفى (شـــاكر) :

58 – مـــوســـوعـــة دول العـــالم الإســـلامي و رجالها، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الأولى ، 1993 .

- المطوي (محمد العروسي) :

59 – ســـــيرة القـــــيروان رسالتها الدينية و الثقافية في المغـــرب الإســـلامي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981 .

- المنـــاوي (محمد حمدي) :

60 – الـــوزارة و الـــوزراء في العصر الفـــاطمي، دار المعـــارف، القاهرة، 1970 .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	الصفحة
﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ الأحزاب 40	16
﴿ وَهُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيم ﴾ الحديد 3	17
﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ النمل 14	125
﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ آل عمران 85	140
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشّراً وَنَذِيرًا وَدَاعِياً إِلَى اللهِ ﴾ الأحزاب 45 – 46	141، 143
﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَالِحُونَ ﴾ الأنبياء 105	141 ، 144

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
" يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة "	21
" فـــاقـــــدروا لـــه "	135

فهرس الأعلام

– أ –

إبراهيم بن الأغلب 9 ، 16 .

إبراهيم بن بلكين 64 ، 65 ، 75 ، 86 .

إبراهيم بن الدمني 16 .

إبراهيم بن موسى الماردي 102 .

أحمد بن بكر 31 .

أحمد بن الحجاج 91 .

أحمد بن سليمان (المعرّي) 131 .

أحمد بن عبدون العطار 16 .

أحمد بن متعب 16 .

أحمد بن نصر الداودي 19 .

أحمد بن أبي الوليد 22 .

ابن إسحاق الإسرائيلي 10 .

إسحاق بن إبراهيم 117 .

أبو إسحاق التونسي 131 ، 132 ، 133 ، 135 ، 136 ، 176 .

أبو إسحاق السبائي 21 .

إسماعيل بن إبراهيم 119 .

إسماعيل بن أسباط 47 ، 48 .

الأكحل 124 .

أيوب بن يطوفت 75 ، 77، 82، 86، 90 .

– ب –

باديس بن حمامة 75 .

باديس بن ماكسن 162.

بـــاديس بن المنصـــور هـــ ، 59 ، 61 ، 62 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 67 ، 68 ، 70 ، 71 ، 74 ، 75 ، 76 ، 78 ، 79 ، 85 ، 93 ، 105 ، 106 ، 138 ، 151 ، 161 ، 180 .

باديس بن يوسف بن بلكين 82 .

ابن البردون 17 .

أبو البركات الجرجرائي 130 .
أبو بكر بن إسحاق بن عذرة الأيدي 113 .
أبو بكر الصدّيق 108 ، 109 ، 132 .
أبو بكر بن عبد الرحمان الخولاني 123 ، 124 ، 176 .
أبو بكر عتيق السوسي 101 .
أبو بكر بن القمودي 17 .
أبو بكر بن محمد بن أبي زيد 133 ، 134 ، 135 .
بلكين بن زيري هـ ، 34 ، 35 ، 36 ، 44 ، 45 ، 46 ، 47 ، 48 ، 49 ، 51 ، 52 ، 53 ، 60 ، 93 ، 100 ، 138 ، 179 ، 180 .
بلكين بن محمد 162 .
أبو البهار بن خلوف 91 .
أبو البهار بن زيري 55 ، 56 ، 61 ، 62 .

– ت –

تميم بن المعز بن باديس 23 ، 84 ، 96 ، 99 ، 102 ، 129 ، 161 ، 166 .
تورين الغلام 86 .

– ث –

ثمال بن صالح المرداسي 120 ، 121 ، 131 .

– ج –

جبارة بن كامل 172 .
جبارة بن مختار العربي 129 ، 157 .
جبلة بن حمود 18 .
أبو جعفر بن خيرون 20 .
جعفر بن أبي طالب 150 .
جعفر بن علي بن حمدون 30 ، 32 ، 33 ، 42 ، 43 .
جوذر 42 ، 43 .
جوهر الصقلي 7 ، 30 ، 31 ، 38 ، 40 .

- ح -
الحارث بن مروان 102 .
الحاكم بأمر الله الفاطمي 68 ، 69 ، 70 ، 75 ، 113 ، 118 ، 123 ، 150 ، 151 .
حباسة بن ماكسن 162 .
حباشة بن حسن اليحصبي 19 .
حبوس بن حميد الصنهاجي 91 .
حبوس بن زيري 51 .
حبوس بن القائم بن حمامة 86 .
حبيب بن أبي سعيد 75 ، 76 ، 77 .
حسن بن برجان 155 .
حسن بن ثعلب 172 .
الحسن بن خلدون 107 ، 110 ، 111 ، 112 ، 116 .
الحسن بن علي (ابن الزنجي) 114 .
حسن بن علي 44 .
الحسن بن علي الزيري 166 ، 169 ، 170 .
الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي 155 .
الحسن بن قنون 51 .
أبو الحسن المغربي 133 .
حسين بن خلف الموصدي 47 .
حسين السباب 18 .
حكم بن محمد بن هشام 18 .
الحكم المستنصر الأموي 33 .
حمّـــاد بن بلكين هـــ ، ح ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 71 ، 75 ، 76 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 90 ، 93 ، 105 ، 106 ، 180 .
حمامة بن زيري 51 .
حمامة بن يطوفت 86 .
ابن حمديس 171 ، 172 .
حمديس القطان 16 .
حمو بن مليل البرغواطي 92 ، 164 .

- خ -

أبو خزر الزناتي 31 ، 35 ، 42 .

خزرون بن سعيد 67 .

خزرون بن فلفل 46 .

خلف الحميري 64 .

خلف بن خير 48 .

خلوف بن محمد 46 .

خليفة بن المبارك 61 .

- د -

داود بن صولات 14 .

الداودي 113 .

درة الكاتبة 102 .

- ر -

ربيع بن سليمان القطان 21 ، 22 .

ابن أبي رئال 122 ، 123 .

ابن رشيق 73، 102 ، 114 ، 115 ، 117 ، 176 .

أبو ركوة 70 .

روجار الثاني 169 ، 172 .

- ز -

زاوي بن زيري 51 ، 62 ، 80 ، 81 ، 82 ، 88 ، 93 .

زليخاء أم يوسف 83 ، 97 .

ابن أبي الزمان 92 .

زيادة الله الثالث 3 .

زيادة الله بن عبد الله بن القديم 47 ، 48 .

زياد بن الدونية 157 .

زيري بن عطية 52 ، 56 ، 61 ، 66 .

زيري بن مناد هـ ، 26 ، 27 ، 28 ، 29 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 34 ، 35 ، 43 ، 44 ، 61 ، 63 ، 179 .

– س –
سحنون (القاضي) 15 .
ابن سريج الشافعي 134 ، 135 .
سعدون الورجيني 38 .
أبو سعيد التستري 154 .
سعيد بن خزرون 52 ، 53 .
سعيد بن محمد 16 ، 17 .
سعيد بن يوسف الخارجي 34 .

– ش –
الشافعي 134 .
ابن شداد 23 .
شفيع 29 .
شمس بن وائل 23 .

– ص –
صندل 91 .
صنهاج بن المثنى 23 .

– ض –
ابن الضابط 136 .

– ظ –
الظاهر الفاطمي 118 ، 119 ، 120 ، 123 ، 154 .

– ع –
عباد بن مروان 92 .
أبو العباس الشيعي 5 ، 6 ، 17 .
عبد الجبار الخراساني 47 .
عبد الحق بن خراسان 165 .
عبد العزيز بن محمد القرشي 102 .

عبد الله بن الحسن 90 ، 94 .
عبد الله بن حمّاد 79 ، 80 ، 88 ، 96 .
أبو عبد الله الشيعي 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 9 ، 10 ، 11 ، 13 ، 16 ، 17 ، 58 ، 60 ، 179 .
عبد الله بن محمد بن الرند 92 .
عبد الله بن محمد الكاتب 47 ، 49 ، 53 ، 54 ، 55 ، 57 .
عبد الله بن المعز124 .
عبد الله بن منكور 168 .
عبد الله بن يخلف الكتامي 44 .
عبد الله بن الوليد بن المغيرة 70 .
ابن عبدون الحنفي 16 .
عبد الملك بن محمد الضبي 20 .
عبـــيد الله المهدي 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 11 ، 13 ، 14 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 38 ، 60 ، 104 ، 109 ، 110 ، 145 ، 150 ، 179 .
عتيق بن محمد 114 .
عثمان بن عفان 13 .
أبو العرب تميم 21 .
العزيز بالله الفاطمي 49 ، 50 ، 51 ، 57 ، 58 ، 59 ، 60 ، 69 ، 150 .
علي إقبال الدولة 122 .
علي بن أبي طالب 18 ، 26 ، 121 ، 132 ، 138 .
علي بن أحمد الوراق 102 .
علي بن أبي الرجال 108 ، 109 ، 117 .
علي بن سعيد (ابن القيني) 115 .
علي بن محمد الصليحي 162 .
علي بن المنصور 27 .
أم العلو 79 ، 80 .
أبو عمران الفاسي 123 ، 124 ، 176 .
عمر بن الخطاب 108 ، 109 .
أبو عمرو النميلي 98 .
عيسى بن أبي الأنصار 50 .
عيسى بن حسن 172 .

عيسى بن مسكين 16 .

– غ –

أبو غالب الشيرازي 129 ، 137 .

– ف –

فارس بن أبي الغيث 160 .

فارس بن كثير 157 .

فارس بن معروف 157 .

فاطمة رضي الله عنها 123 .

فاطمة الحاضنة 78 ، 79 ، 102 .

أبو الفرج 59 .

فرج بن أبي حسان 157 .

أبو الفضل البغدادي 131 ، 132 ، 136 ، 137 .

الفضل بن أبي علي 160 .

أبو الفضل الممسي 21 ، 22 .

فضل بن أبي يزيد 29 .

الفلاحي (الوزير) 131 ، 154 .

فلفل بن سعيد بن خزرون 53 ، 62 ، 66 ، 67 ، 69 ، 150 .

أبو الفهم الخراساني 15 ، 58 ، 59 .

– ق –

القائد بن حمّاد 87 ، 88 ، 89 ، 157 .

القائم العباسي 122 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 ، 131 ، 132 .

القائم الفاطمي 7 ، 11 ، 20 ، 26 ، 28 ، 38 ، 138 .

أبو القاسم الجرجرائي ك ، 120 ، 121 ، 121 ، 124 ، 130 ، 152 ، 153 ، 154 .

القاسم بن حمّود 80 ، 118 .

أبو القاسم بن خلف البراذعي 19 .

أبو القاسم اللبيدي 132 ، 133 ، 176 .

القاسم بن محمد بن أبي العرب 90 ، 91 .

القاسم بن مروان القفصي 114 .

أبو القاسم مولى مهرية 16 .
أبو القاسم بن المعز بن باديس 83 .
أبو القاسم بن اليزيد 118 .
قسطنطين 128 .
أبو قضاعة الداعي 21 .
قيصر 29 .

– ك –

كادو بن معارك (المارطي) 11 .
كافور 39 .
كباب 29 ، 30 .
كباب بن المعز 83 .
كتاب بن زيري 50 .
كرامت بن المنصور 75 ، 76 ، 85 ، 90 .
ابن كلدة 98 .
ابن كلس 39 .

– م –

ماكسن بن زيري 51 ،

فهرس الموضوعات

المقـــــدمـــــة ..... ب
الفصل الأول : العلاقات الفاطمية الصنهاجية قبل تأسيس الدولة الزيرية 02
أولا : مشاكل الدولة الفاطمية في الدور المغربي و سياستها المذهبية 02
1 – قيام الدولة الفاطمية 02
2- علاقة الفاطميين بالقبائل..... 08
أ – علاقة الفاطميين بكتامة 08
ب – علاقة الفاطميين بزناتة 13
3- سياسة الفاطميين المذهبية و موقف المالكية منها 15
ثانيا : العلاقات الفاطمية الصنهاجية قبل رحيل المعز لدين الله إلى مصر 23
1- تعريف صنهاجة 23
2- زيري بن مناد و علاقته بالخلافة الفاطمية..... 26
أ – ابتداء أمر زيري بن مناد 26
ب – خدمات زيري بن مناد للخلافة الفاطمية..... 28
3- ظهور بلكين بن زيري و خدماته للدولة الفاطمية 34

الفصل الثاني : العلاقات الزيرية الفاطمية قبل عهد المعز بن باديس 38
1- رحيل الفاطميين إلى مصر 38
2- العلاقات الزيرية الفاطمية خلال عهد بلكين بن زيري 42
أ – تأسيس الدولة الزيرية الصنهاجية 42
ب – أعمال بلكين بن زيري و علاقته بالخلافة الفاطمية 46
3- العلاقات الزيرية الفاطمية خلال عهد المنصور بن بلكين 52
أ – ولاية المنصور و علاقته بزناتة و بعمّاله 52
ب - علاقة المنصور بالخلافة الفاطمية 57

4- العلاقات الزيرية الفاطمية خلال عهد باديس بن المنصور 61
أ – ولاية باديس بن المنصور و الصراعات داخل الأسرة الزيرية 61
ب – الصراع بين زناتة و صنهاجة في عهد باديس بن المنصور..... 66
ج - علاقة باديس بن المنصور بالخلافة الفاطمية 68

الفصل الثالث : عهد المعز بن باديس و أوضاع البلاد الداخلية 73
1- ولادة المعز بن باديس و ولايته العرش و علاقاته بآل بيته 73
أ – ولادة المعز بن باديس 73
ب – ولاية المعز بن باديس العرش 75
ج – علاقات المعز بن باديس بآل بيته 78
د – زواج المعز بن باديس 83
2- علاقة المعز بن باديس بحمّاد بن بلكين و بعمّاله 85
أ - علاقة المعز بن باديس بحمّاد بن بلكين..... 85
ب - علاقة المعز بن باديس بعمّاله 90
3- الإضطرابات و المشاكل الداخلية في عهد المعز بن باديس 93
أ – الصراع مع زناتة 95
ب – المشاكل الداخلية و الصراعات الإقليمية 97
4- إزدهار الدولة الزيرية خلال عهد المعز بن باديس 101

الفصل الرابع : الإنفصال عن الدولة الفاطمية 104
أولا : قتل الشيعة في إفريقية و بلاد المغرب 104
1- أحداث سنة 405 هـ / 1014 م 104
2- أحداث سنة 406 هـ / 1015 م 106
3- أحداث سنة 407 هـ / 1016 م 108
4- أحداث سنة 409 هـ / 1017 م 115
5- أحداث سنة 423 هـ / 1031 م 116

ثانيا : القطيعة مع الفاطميين و الولاء للعباسيين 118
1- العلاقات بين إفريقية و مصر قبل القطيعة 118
2- القطيعة مع الفاطميين و الولاء للعباسيين 120
أ – الأوضاع العامة التي سبقت القطيعة في المشرق و المغرب 120
ب – تحديد تاريخ القطيعة مع الفاطميين و الولاء للعباسيين 126
ثالثا : تغيـــير العملة 138
1- العملة الفاطمية 138
2- العملة الزيرية الجديدة 140
3- إعادة المعز بن باديس علاقاته مع الفاطميين 145

الفصل الخامس : زحف بني هلال و بن سليم نحو إفريقية و بلاد المغرب 148
1- تعريف بن هلال و بني سليم 148
2- سير عمليات الزحف الهلالي نحو إفريقية و بلاد المغرب 152
3- نتائج الزحف الهلالي 165
4- وفاة المعز بن باديس 174

الخـــــاتمـــــة 179
المـــــلاحق 183
قائمة المصادر و المراجع 192
فهرس الآيـــات القرآنية 211
فهرس الأحاديث النبوية 211
فهرس الأعـــلام 212
فهرس الأماكن و البلدان 223
فهرس الشعوب و القبائل و الدول 228
فهرس المذاهب و الفرق و الأديان 231
فهرس الموضوعات 232